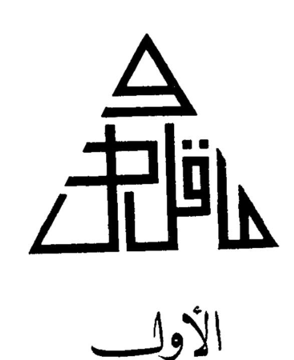


الأول

أحمد الصاوي محمد

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٤

للمؤلف

تاييس	}	عن أناتول فرانس
الزنبقة الحمراء		
أفروديت القديمة	}	عن پيرلوٰيس [نفدت]
أفروديت الجديدة		
طرطوف	}	عن موليير [بطلب وزارة المعارف]
عدوّ المجتمع		
فى الحياة والحب		
باريس		
ماقل ودل		[أجزاء مسلسلة تصدر سنويا]
الصحافة المصرية منذ نشأتها الى اليوم	}	بالفرنسية [نفدت]
الاصلاح فى مصر منذ ثورة ١٩١٩		
قبور فى جنة الحب	}	تحت الطبع
ثقافة وصحافة		

تحت الطبع :

عروس الشرق	ماقل ودل
بالاشتراك مع الدكتور أحمد موسى	الثالث والرابع
مجلدان مصوران فى ١٠٠٠ صفحة	مجلدان مصوران فى ٥٠٠ صفحة
فى القطع الكبير	فى القطع الصغير

*

الاهـــداء

إلى أمى !

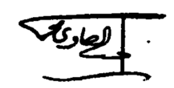
الى التى مات عنها أبى وهى فى سن العشرين ، وعمـرى خمسة أشهر، فوقفت الى جانبي أربعة وثلاثين عاما تدفع عنى الجهل والألم بمـا وراءهما من ظلمات .

الى التى تحبنى لنفسى أكثر ممـا تحبنى لنفسها، يزداد حبها على الأيام فى الرضا والغضب، فى البعد والقـرب، فى الصحة والمرض، فى اليأس والأمل، فى الفقر والغنى .

الى التى أحببت المرأة من أجلها ، لأنهـا علمتنى مـدى ما تستطيعه المرأة الفاضلة من خير .

الى التى لو وقفت كل حياتى للدفاع عن المرأة لمـا استطعت الوفاء بذرّة من جميلها .

إليك، أمّاه، أضع هذه الكلمات، تحت قدميك !



*

مقدمة

للأستاذ الجليل أنطون بك الجميل

رئيس تحرير « الاهرام »

ليس مؤلف هذه المجموعة، ولا مجموعته هذه ، فى حاجة الى التقديم .

أما المؤلف فقد اقتعد مكانه فى عالم الكتابة بما أنتجته قريحته من التصانيف الطريفة .

وأما هذه المجموعة — وهى منتخبة مما يكتبه كل يوم فى «الأهرام» بعنوان «ماقل ودل» — فقد عرفها القراء قبل أن تضمها دفتا هذا الكتاب .

لهذا كان المؤلِّف والمؤلَّف فى غنى عن التقديم والتعريف . ولكن الأستاذ الصاوى — على ما فى كتابته من جرأة ، وعلى ما فى آرائه أحيانا من تطرف — رجل يغلب عليه الحياء .

وهذا دليـــل على أن قول «بوفون» إن « الإنشاء هو الرجل »* ليس دائمـا بالقول الصحيح . فان « موليـير » مثلا ، وهو الكاتب الروائى الهزلى الذى أضحكت رواياته الخالدة الأجيال المتعاقبـة، كان فى حياته الخاصة أشـدّ ما يكون الانسان حزنا وكآبة .

فلم يكن بد، والصاوى حيي خجول، من أن يتقدّم أحد أصدقائه فيأخذ يده بيده،ويأخذ كتابه باليد الأخرى، ويقول للقـــراء :

«هذا هو الصاوى، وهذا كتابه ! » .

طلب الىّ فى كثير من التردّد أن أقوم بهذه المهمة ، عن حسن ظن بإخلاصي؛ فقبلتها أنا من غير تردّد، عن حسن ظن بفائدة هذه المجموعة .

قد يكون غيرى أولى منى بتقديم سائر مؤلفات الصاوى؛ وقد أكون أولى من غيرى بتقديم هذهالمجموعة، لأنى دارجت

---

* Le style c'est l'homme (Buffon)

كاتبها من أول عهده بكتابتها ،وتابعت هذه المقالات من بداية ظهورها .

لا أزال أذكر «أحمد الصاوى محمد أفندى» يوم كان موظفا صغيرا بمصلحة المناجم والمحاجر، وهو شاب فى مقتبل العمر، يجرِّب خطواته الأولى فى ميدان الكتابة . أذكره ، وهو يحمل مقالته الى «الأهرام» ، محاولا أن يُطلع عليها أيا كان ، قبل أن يدفعها الى رياسة التحرير .

وقد شاءت الظروف أن أكون مرارا ذلك الذى يلقاه ليستأنس برأيه . فكنت أشجعه وأشدّد من عزيمته، لأنى كنت أحس من خلال تلك السطور المعدودة نفسا تواقة الى الجهر بما تعتقد، كما كنت ألمح فى عينى كاتبها بريقا منبعثا عن ميل الى النقد والتقريع ، وأتبين من وراء ابتسامته الساخرة جنوحا الى الاصلاح عن طريق الاستهزاء، وإذ كنت أجد فى شكل تقديم تلك المقالات للنشر كثيرا من التواضع والحياء، كنت أقرأ فى عنوانها «ما قل ودل» كثيرا من الفخر والجرأة .

ثم، لم يكد يصلب عوده ويشتد ساعده، حتى وقع له ،

وهو على ما وصفنا ، ما لم يكن بدّ من وقوعه : طلّق منصبه فى الحكومة، والمنصب الحكومىّ أعزّ أمانى شباننا وأحلاها، وانصرف عنه غير آسف عليه، ولا وجل مما يخبئه له المستقبل، لأنه كان بفطرته طموحا الى الحرية، نزوعا الى « الحياة البوهيمية» . وما كاد يستقرّ له ما أراد من الانطلاق من قيود « الوظيفة » حتى قصد الى باريس لأوّل مرة رغبة منه فى زيادة التعلم والتحصيل .

ذهب الى باريس ليأخذ منها ، فتم له ما أراد ، ولكنها أخذت منه أيضا، فاستولت عليه كما تستولى على غيره، وطبعته بطابعها الخاص ، حتى ان أمانته لها اليوم أشد من أمانته لنفسه . وإنى لأذكر ما كان يكتبه لى من تلك العاصمة معربا عن شدّة أمله بالتوفيق فى مزاولة الصحافة وخدمة الأدب .

ولما عاد الى مصر، وقد اتسعت دائرة معارفه وامتد أفق أفكاره ، انضم الى هيئة تحرير « الأهرام » وأخذ يدوّن ملحوظاته اليومية تحت عنوان ثابت ، حتى أصبح العنوان

يدل على الامضاء ، والامضاء يدل على العنوان ، كأن هـذا وذاك لفظان مترادفان .

وقد شاءت الظروف أيضا بعـد ذلك أن أكون بمقتضى عملى فى « الأهرام » أول من يقرأ « ما قل ودل » ويقدّمها للطبع . وهكذا أرانى أول القراء اطلاعا عليها ، وأعرف الناس بالشخص أو الحادث الذى أوحاها . وكثيرا ما أناقش كاتبها ويناقشنى مغزاها ومرماها . فسرعان ما يبـدّل ويحوّر ، لأنه غير متعنت فى ما يريده من الاصلاح ، بل هو يدافع عن رأيه عامدا الى الصلابة حينا ، والى الملاينة أحيانا ، لا يهمه القالب الذى يبرز فيـه فكره ، ما دام قد أتيح له ابرازه . وقد يكون هـذا الرأى مخالفاً لمـا تواضع عليه الناس ، مناقضا لمـا جرى به العرف ، ولكنه لا يبالى مايقال ولا يعبأ بما يوجه اليه من نقد ، بل يقول كلمته ، تصريحاً أو تلويحاً ، ويمشى . وكثيرا ما يكتب المرة والمرتين فى موضوع لا يتفق وهوى الجمهور ، فتشتد الحملة عليه ، فيترك الموضوع أسابيع أو شهورا ، ثم يعود اليه حتى يغرزه فى رءوس القراء . وهكذا أصبح قراؤه يحتملون منه ما لا يحتملونه

من غيره، ونشأ بينه و بينهم اشتراك روحى هو أقصى ما يطمع فيه الكاتب .

بعض مقالات « ما قل ودل » وليد الحوادث اليومية العابرة يذهب معها و ينطوى بطيها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لاتضيع بهجتها ، ولا تبلى جدتها . فسألته تخير طائفة من هذا النوع الأخير وجمعها فى هذا الكتاب ، فكنت مسئولا عن تقديمها اليوم للقراء .

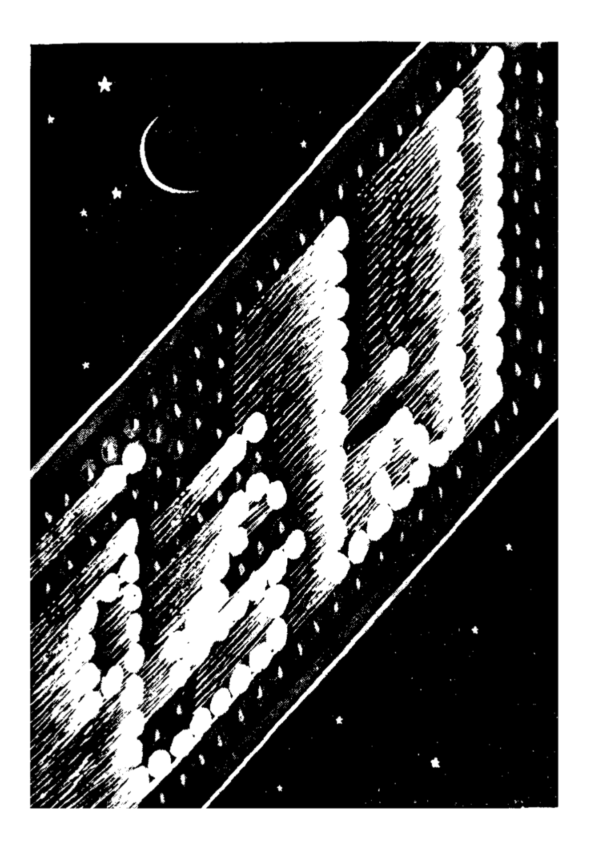
والآن أرى أنه لايليق بكتاب عنوانه « ماقل ودل » أن تتجاوز مقدّمته حدّ ما كتبتُ، بل كان من حق هذه المقدّمة، مراعاة للنظير، أن تحصر فى بضعة سطور ، لافى بضع صفحات . ولكنى أردت التغلب على حياء صديق الصاوى، فتبسطت بعض التبسط فى تقديمه وتقديم كتابه للقراء .

فهذا هو الصاوى، وهذا كتابه !

أنطون الجميّل

القاهرة فى أوّل يوليه سنة ١٩٣٤

*



*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . نشكره ، ونطمع فى المزيد من فضله و إحسانه ، ونسأله تعالى أن يوفقنا دائما الى الوفاء بعهدنا لقومنا ، إن العهد كان مسئولا .

أما بعد فقد أسلفنا الوعد فى كتاب « باريس » لأصدقائنا القراء بأن نخرج لهم كتابين أو ثلاثة فى العام تكون فيها للمشتركين مزايا السبق الى الفضل ، وقد لبوا نداءنا واستجابوا دعاءنا ، فأخرجنا لهم هذين الجزءين الأول والثانى من مجموعة « ماقل ودل » بعشرة قروش ، وجعلنا سعرهما بعد الطبع عشرين قرشا ، تفريقا ، كما قلنا فى « باريس » أيضا ، بين المشترك المساهم فى نشر الأدب ، العامل على إذاعة الثقافة ، والآخذ بيد المؤلف على إخراج ثمرات فكره ، و بين القارئ العارض الذى لا يثق إلا بما يراه رأى العين .

ولقد كان أول مشترك عندى فى هذه المجموعة هو حضرة صاحب العزة جرجس أنطون بك مدير المستشفى القبطى بالقاهرة الذى اشترك فى عشر نسخ ثم حضرة صاحب العزة إسماعيل بك الحكيم المستشار، بالاسكندرية، فى عشر نسخ أيضا .

وقد طبعنا ستين نسخة على ورق «إمبريال» ثمين وجلدناها بالشجران وجعلنا عشر نسخ منها للهدايا مرقومة من ١ الى ١٠ والخمسين الأخرى المرقومة من ١١ الى ٦٠ للاشـتراك مقابل جنيهين مصريين للنسخة الواحدة فكان أول مشترك هو الأستاذ ألبير القو من الاسكندرية، ثم السيدة م . ع هانم .

وإنى شاكر لحضرات المشتركين جميعا جميل ثقتهم وحسن ظنهـم ونعدهم بمضاعفة الجهـد فى خدمتهم ونرجو أن نوفق قريبا الى إخراج سلسلة كتب قيمة فى حجـم « ما قـل ودل » بحيث يظهر منهـا جزء كل ثلاثة أشهر بانتظام وبذلك تتكون فى وقت قصـير مكتبة جديدة أنيقـة يسهل حملها فى الجيب وتزين البيت وتجمع بين الثقافة والطرافة .

وإنى مدين بالشكر لصديقى النبيل الأستاذ أنطون الجميل بك

الذى أكرمنى بتقديمى وتقديم كتابى هذا لقرائى بأسلوبه الجذاب ولا غرو فقد عودنى دائما عطفه الخلاب .

ونشكر أصدقاءنا الفنانين الذين زانوا هذا الكتاب بلمحات من فنهم النابغ حضرات الأساتذة حسين يوسف أمين وراغب عياد ومحمد حسن وعلى الديب و ب. أسعد و م. الغرابلى ومذسى واوقا وصاروخان وسانتيز .

ونشكر الأستاذ الجليل محمد أسعد براده بك ، مدير دار الكتب المصرية ، على رقيق تشجيعه لهذا العمل وحسن ارتياحه اليه ، كما نشكر صديقنا الفاضل محمد نديم أفندى ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية على ما بذله من جهد وفن وعناية فى اخراج هذا الكتاب .

ونجدد لقرائنا الكرام عهدنا بأنهم كلما زادونا إقبالا زدناهم إتقانا والله كفيل بأن يوفقنا جميعا الى خدمة الفكر ومجد مصر .

ا . ص . م

*

فهرس

فهـــرس

قوميات

دروس التـاريخ

في ٢٠ أكتوبر من عام ١٨٢٧ ، وقعت معركة فاصـلة في تاريخ العـالم وهي موقعـة نافارين التي اجتمعت فيهـا قوات انجلترا وفرنسـا وروسيا ، وهي الدول العظمى الثلاث في ذلك الحين ، لتغرق الأسـطولين المصري والتركي . وكان المقصود بالذات أسطول محمـد علي باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة الذي كان من سادة البحر الأبيض المتوسط . وكانت خططه الحربية مع ابنه العظيم ابراهيم باشا من أروع ما عرف في تاريخ الحروب .

ولم تكن هـذه المعركة الفاصـلة بين الدول وانمـا كانت معركـة الشرق والغرب ، كانت مظهر جزع أوربا من راية مصر الفتاة التي جعلت تتقـدم ثم تتقدم والنصر معقود لهـا في كل مكان .

وما كانت مصر لتطمع فى تهديد سلام العالم وانما تطمع فى حماية حدودها ، وحفظ كرامتها ، وصيانة سيادتها . ويستحيل على دولة ذات شواطئ طويلة كمصر أن تبقى بلا أسطول ، لذلك كان تحطيم ثلاثة أرباع الأسطول المصرى يوم حداد لمصر .

إنا نحب أن يسجل جميع أساتذة مدارسنا هذا التاريخ عندهم ، وأن يقفوا ربع ساعة عن دروسهم اليوم لطلبتهم وطالباتهم للكلام عن موقعة نافارين ، وأن يذكروا لهم لمحة عن محمد على الكبير ، وعن ابراهيم أعظم بطل حربى فى تاريخنا الحديث الذى يعيد الى الذهن فتوحات رمسيس الثانى ، وأن يخبروهم أن أسود أيام مصر هو يوم نافارين ثم يوم الاحتلال البريطانى ، وأن بريطانيا التى اشتركت فى اليوم الأول كانت تحضر لليوم الثانى .

وهذا اليوم المنحوس الذى هدم سيادة مصر فى البحار قد بنى استقلال اليونان . ولكن اليونان قد عرفوا كيف يرفعون بناء استقلالهم طبقات بعضها فوق بعض . ولسنا ننسى

أن تجارا يونانيين نشــطين قد أثروا بيننا وأهدوا الى بلادهم سفنا حربية تزيد فى قوة أسطولهم .

أما نحن فقــد كنا الى عهــد غير بعيــد نكثر الكلام ؛ وكانت جميع ثروتنا الأهليــة فى حلى النساء من « الفرج الله » الى الخلخال الى « البندانتيف » ؛ وكان أغنيــاؤنا لا يعرفون إلا مصالحهم الشخصية . أما اليوم فقد لمست النهضــة جميع الكائنات ، وتخلصت المرأة المصرية نوعا ما من أثقال الذهب والفضــة ، وابتدأ الأغنياء يساهمون فى الأعمــال الوطنيــة والمنشآت الأهلية ، وتأسست لمصر شركات للملاحة فى الداخل والخارج ، وتعلم شباب ناهض منا الملاحة ، ووضعوا شارة البحر على أكتافهم وأكمامهم ، ونالوا شهادات فى قيادة السفن .

ففى اليوم الذى تهز فيه الوطنية المرأة المصرية الى تقدمة حليها ، كما فعلت المرأة الفرنسية التى قصت شعرها وباعته لتدفع جزية فرنسا لألمــانيا لهزيمتها فى الحرب السبعينية ، فى اليوم الذى تفعل فيــه ذلك المرأة المصرية لبناء نواة الأسطول المصرى ،

ويتنزل لهذا الغرض أيضا الأغنياء الذين يملكون ألوف الأفدنة ولا يكادون يعرفون كيف يحصون دخلهم ، ولا يكادون يتنزلون عن قرش لوطنهم ، فيتنزلون عن بعض مالهم لخدمة وطنهم ، وبقاء مجدهم ؛ ففى هذا اليوم يحيا أملنا ، ونرفع رءوسنا ، ونثق بأن علمنا البحرى الذى نكس فى مثل هذا اليوم فى خليج ناقارين لا يلبث أن يرتفع وأن يخفق فوق البحار فيقلب على تاريخ ناقارين المؤلم صفحات تاريخ جديد مجيد .



*

بلادى بلادى !

وقفت أمس فى ساعة الغـروب على شاطئ النيل ، عند ذلك المنعرج العجيب بعد دار المندوب السامى ، أتأمل ذلك النهر المقـدّس الذى عبده بالأمس أجدادنا ، وأرى الضـفة الأخرى بنخيلها وجناتها وأشجارها الباسقة، والسماء ورد ذهبى، أجمل من البندقيـة، ومن نابلى، ومن فلورنسا ، ومن روما ، ومن لندن، ومن باريس ...

القصـور الشاهقة على الجانبـين تنبئ بالغنى الفاحش ، وبعضها ينـبئ بذوق سـليم . وهى الى جنب بعضها البعض متماسكة منفصلة كأنها تتدلل وتتناجى .

لا السـين ولا التاميز ولا التيـبر ولا الرين ولا بحـيرات سويسرا وايطاليـا يمكن أن تفوق جمـال هـذا النهر . من شرب من مائه مرة عاد فشرب مرة أخرى ولو راح الى أقصى الصين ... هكذا كتب على ورق البردى . وكذلك

من كل جانب، ومن كل مكان، فى مصر من أقصاها الى أقصاها ، ترى النيل ، ولا تشبع منه . ملأت قلبي من جمال المساء، ومن جمال الشرق، ومن جمال مصر ... رأيت الوداعة والسلام والحنان كأنها تعطر الجو حولى وتنطق بكل ما فى هذا البلد من جمال وخير. هذا الخير تقدمه بسخاء الى الذين يقدمون الى هذه الديار دون نظر الى جنس أو دين؛ ولكن هذا السخاء ليس هو التفريط . فنحن كل يوم نزداد اعتزازا ببلادنا وشعورا بمركزها النادر الذى لا مثيل له ، و برخاء العيش فيها، و بجمال الحياة بين ربوعها . ففى يوم الاستقلال ، ذكرت الموقف الشاذ الذى نحن فيه : أمة عريقة ناهضة مستكملة كل وسائل القوة والاستقلال لا تزال مقيدة بقيود تحير العقول من تحفظات وامتيازات ! فعلى الآباء والأمهات أن يأخذوا أولادهم منذ نعومة أظفارهم و يقفوهم على روائع بلادهم . فليأخذوهم الى المتحف الذى تنحنى أمام آياته الرءوس ؛ وليأخذوهم أمام النيل ليروا تلك التربة من حوله تطرح ذهبا وتعكس لون الذهب على سطح الماء، وعلى وجه السماء ...

وليقولوا لهم أن يعتزوا بهذه البلاد ، وأن يحبوها حبا خالصا مطلقا قويا لا حدّ له ، بكل عيوبها وحسناتها ، بكل ما فيها من شقاء وهناء ، أن يحبوها محبة الابن لأمه لا يفكر هل هي قبيحة أو جميلة ، وليقولوا لهم إن أمهم مصر أجمل بلاد الدنيا ، وهي بحاجة الى أبنائها ليذودوا عنها ، ويكسروا آخر قيودها ، فيصبح يوم استقلالها حرا صادقا كأخلاق أهلها .



*

أمام الكرنك !

عند ما وقفت منذ يومين أمام الكرنك عند غروب الشمس ، وحولى عشرات* من رجال الصحافة وأهل الأدب من كافة أنحاء المعمور ينظرون مثلى مأخوذين مدهوشين فاغرى الأفواه من هذا الجلال وهذه العظمة لقوس النصر الفرعونى الذى لم تمحه ثلاثون قرنا تعاقبت بأيامها ولياليها وشمسها وأعصارها وزلزالها ... ، عند ماوقفت هكذا ورسمت ظلا ضئيلا الى جانب ذلك الظل المهول شعرت بعظمة الأمس وذلة اليوم ، شعرت بأن هذه الأيام التى نحياها مهما ملأناها ستظل فارغة ، وبعد قليل سيمحو بعضها بعضا وكأنها لم تكن .

هؤلاء القدماء — وكل رأس مالنا الانتساب اليهم — كان لهم مثل أعلى نقشوه على الحجر فأصبح كهذا الكرنك غرة

---

* هم أعضاء مؤتمر الصحافة اللاتينية الذى دعته « الأهرام » الى القاهرة فى يناير ١٩٣٢

فى جبين السماء، وحققوه بالذوق وبالفن . وإن المرء ليتساءل : أيكون الذوق أو الفن قد ارتقى عما كان عليه منذ هذه القرون العديدة ! ؟ كلا . فهاهم أولاء الأمريكيون، وهم الآن أغنى أهل الأرض وهذه الكهرباء والمناجم والآلات فى خدمتهم ، فماذا صنعوا ! ؟ لقد أقاموا بفخر وكبرياء عمارات هائلة سموها نواطح السحب ،وهى أدوار وشقق ومكاتب ومخازن وغرف للايجار . وهذا ليس مثلا أعلى ، وإنما هى آلية مادية ترمى إلى استغلال المال بأنفع الوجوه ؛ والمصريون القدماء لم يفكروا فى المال وانما فى الروح . فالإنسانية إذًا قد انحطت وتقهقرت ، وتحول جزء كبير منها الى حيوانية ؛ وهذه عواقبها نراها فى دول مثقلة بالديون ، منهوكة القوى ، يريد بعضها أن يفتك بالبعض الآخر بالحرب أو بالمال ،و بعد ما كانت تبحث عن سلام الروح وهناءة الخلود ، وتدخر دنياها لآخرتها ، وتقيم الأهرام الشامخة لهذا دون سواه ، نراها اليوم قد تكالبت وأصابها السعار وأنكرت آخرتها وأبت إلا أن تملأ دنياها بالصغار . وهكذا أيضا سار الناس فيما بينهم على دين دولهم وحكوماتهم ، فقلّت النجدة

والمروءة والتعاون والخير والمعروف، وأصبح الجار يسرق أرض جاره، ومستأجر الضـيعة يحرق صاحبها ، والولد يقتل أباه من أجل القرش .

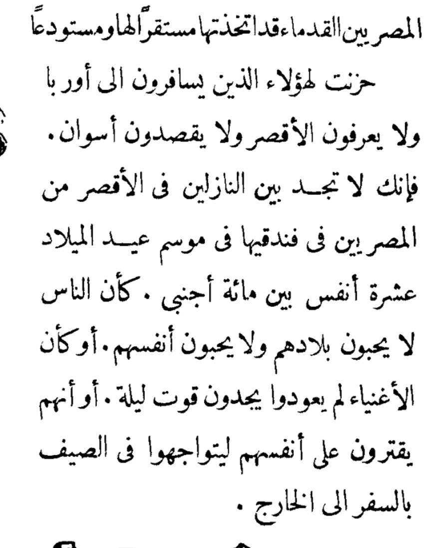
فهذا زمن أسود لاخير فيه . فلنقف أمام عظمة الأمس حاسرى الرءوس لأنها كانت عظمة النفس، ولنحاول أن نوارى فى ظل هـذه المقابر والمعابد حياء أيام الكسل والخمول ، وأن نوارى فى ظلها ذل الدنيا لتكالبها على الدنيا !



*

الأقصـــــر

الأقصر! . جنة من جنان الأرض . لا عجب اذا كانت آلهة



المصريين القدماء قد اتخذتها مستقراً لها ومستودعاً

حزنت لهؤلاء الذين يسافرون الى أوربا

ولا يعرفون الأقصر ولا يقصدون أسوان .

فإنك لا تجـد بين النازلين فى الأقصر من

المصريين فى فندقيها فى موسم عيـد الميلاد

عشرة أنفس بين مائة أجنبي . كأن الناس

لا يحبون بلادهم ولا يحبون أنفسهم . أو كأن

الأغنياء لم يعودوا يجدون قوت ليلة . أو أنهم

يقترون على أنفسهم ليتواجهوا فى الصيف

بالسفر الى الخارج .



تناولنا الشاى أمس، مع أعضــاء نادى السيارات الملكى الايطــالى الذين قطعت معهم الرحلة من القاهرة الى الأقصر بالسيارة ، عند قنصــل ايطاليا ، فى داره الجميــلة المشرفة على النيل . وكانت الساعة الخامسة والربع مساء . وقفنا ذاهلين ، فان هذه السماء هى سماء ملوك وسماء آلهة ، وهذه الشمس التى عبــدها يوما أسلافنا كانت فى تلك اللحظة بكل جمالها وجلالها مغربة على وادى المــلوك ، واذا الجبــال قد اتخذت منها لون الأرجوان الشاحب ،واذا النيل فضة وذهب وياقوت كالسماء . فكأن هــذا النهر المقدّس يردّد وراء الشمس أغانيها و يتخذ من السماء صورتها ، والزوارق الصغيرة ذات الأشرعة البيضاء فوق سطحه المديد كأنها زهور النيلوفر . ومن أقصى الوادى فى ذلك السكون المخيم والسلام الحار ، كانت تصلنا كما لو كنا فى حلم ، أناشيد النوتية يرتلونها فى حب النيل .

شعرنا عندئذ أننــا أغنى أغنياء العالم . كانت قلوبنــا قد عمرت منــذ قليل بروعة الكرنك ومعبد الأقصر ومنظر البحيرة المقدّسة . كنا وقفنا مشدوهين تحت الأعمدة الهائلة المتوجة ،

وأمام ذلك المجد الغابر الناطق فى المسلات الرشيقة، وفى تماثيل الملوك والأرباب كنا قد انتشينا بخمر الماضى، وثملنا من رائحة التاريخ المجيد التى تسكر الجوارح. وجئنا الآن نشهد على أن الله لم يتخل عنا. فان الذين هذه أرضهم وهذه سماؤهم حقا من أحباب الله !.

إن عجبت لشيء فى الدنيا فهو عجبي للذين أعطاهم الله المال وحرمهم المزاج. فكأنه تعالى لم يعطهم إلا ليذيقهم معنى الحرمان!. فهو يكرههم، لأنه لو كان يحبهم لجعلهم فقراء سعداء أصفياء البال يأكلون بكل شهيتهم، ويصلون بكل قلوبهم، وينامون ملء جفونهم. ولو كان يحبهم لعرفوا الأقصر!.

كانت زيارتى الأخيرة للاقصر فى العام الماضى مع مؤتمر الصحافة اللاتينية الذى دعته «الأهرام». وكان دليلنا الى آثارنا العالم الكبير «مسيو فوكار» فبهر عقولنا بتفسيره وفصاحته ومعرفته. جعل الأبواب السحرية، الأبواب التى أغلقت منذ أربعين قرنا، تفتح ثانية وتتقبلنا فى معابد الآلهة. نتقبل إعجابنا العميق وتحيتنا وخضوعنا، خضوع أربعين شعبا كانت ممثلة فى مؤتمر الصحافة.

والآن إذ أعود الى الأقصر لقضاء أسبوع لا يسعنى إلا أن أذكر مسيو « فوكار » الذى جعل الحجارة يوما من الأيام أمامنا تتكلم . وأن أذكر الصفاء والهناء الذين يشعر بهما كل من قصد الأقصر، ففى جوّها الدافئ يسترد البدن قواه، وتحت سمائها الرائعة الصور والألوان تكتشف النفس أسبابا جديدة للتمسك بالعيش وتقدير الوجود ، وعند آثارها الخالدة نستلهم الأمس فننتعش للغد ونعتزم أن نجعل الحياة أحفل وأغنى بمعانى الحياة ! .



*

ســـر المـاضى

قبل أن ننزل الى قبر توت عنخ آمون فى وادى الملوك ، فى صباح يوم جميل ، بين رفاق طابت عشرتهم على قرب العهد بهم ، شـعرنا بأننا قادمون على زيارة عظيمة تسـتلزم الصمت والوقار ؛ فسكتنا جميعا حتى السيدات ، ونزلنـا ستة ستة ، وكان النور الكهربائى القوى مسلطا على التـابوت الذهبى ؛ فوجدنا الذهب يكسف النـور ، بل إن الذى كان يكسـف النـور والكائنات جميعا هو روح توت عنخ آمون الملك الشاب .

فعن طريق هـذا الملك تملك مصر الآن أعظم ثروة أثرية عرفها التاريخ . إنها لا تقدر بمال . إن جميع متاحف الأرض لا تملك مثلها .

هذا التابوت الذهبي الرائع ، هذه العيون السوداء النجلاء

التى تنظر للناظر اليهـا بتهكم فتانـ ، تهكم الذى وصل بمن لم يصل ولن يصل مع مضى ثلاثة آلاف عام على العهدين!

وصل الى ماذا ؟

هذا هو السؤال الذى قد يوجهه القارئ الكريم . ولست أريد أن أفيض هنا فى الروحانيات، وإنما أشير بلمحة واحدة الى المـاديات . فإن الذى يقف أمام تلك النفائس المدهشة بمتحف القاهرة،وأمام هذا الناووس الذهبي بمقبرة توت عنخ آمون، بل وأمام تلك اللوحات المنقوشة على الصخر والأعمدة والمسلات والتماثيـل ، لا يسعه إلا أن ينحنى أمام هـذا الفن العظـيم .

ولم يكن هـذا العلم والفن قائمـين على رمال خائرة ، بل إنهما نتيجة الدرس الطويل والصبر الجميل ، هنا نجد الإتقان الكامل فى أصغر الأشياء وأكبرها على السواء : من صور البط الوحشى والقـردة والثعابين والعجول على الصـخر، الى تلك الحلى الذهبيـة والجواهر التى يعجز عن تقليـدها أبناء القرن

العشرين . فآية الصانع كانت الإتقان . كان يعمل لا لساعة، أو ليوم، أو لعام، و إنما للابد ؛ لذلك وقف ممثلو أربعين أمة من أمم الأرض مأخوذين يقولون : هــذا هو الفضل العظيم وهذا هو الخلود !

ذكرت هذا كله فى هذا المساء لأننى وجدت بين أوراقى خطابا من مؤلف كتيب صغير أرســله الى منذ مدّة ونسيت الاشارة اليـــه، أو بالأحرى تردّدت فى هذه الإشارة، فوجدته فى رسالته غضبان أسفا فهو قد وضع كل أمله فى هذا الكتيب. وهو يائس، ولو أنصف نفسه والناس لحاول خيرا من هــذا، ولمــا علق مســتقبله على كلمــة تكتب فى الصحف وينساها الناس بعد قليل . إن فى الحياة أشياء أجمل وأعظم من ذلك كله .

حقا إننا فى حاجة كل يوم الى النظر الى الوراء لنمضى الى الأمام ، وأخــذ دروس عن الذين أتقنوا الحيــاة والموت ، وتركوا فى كل خطوة عبرة وذكرى . ولن نترك نحن وراءنا عبرة، وأكبر ظنى أننا حتى بما غبر لن نعتبر .

*

حياة الجندية

ضابطان فى رتبة محترمة فى جيشنا المحترم ، يتحدثان فى مكان عام بصوت مسموع ، ويهنئ أحدهما صاحبه بأن خدمة (الطوبجية) عندنا قد أصبحت مقبولة محمودة ؟ لماذا؟ هل اشترى جيشنا مدافع هائلة جديدة مثل « برتا » التى كانت تقطع قنابلها الألمانية خلال الحرب بلچيكا طولا وعرضا؟ ! هل زادت التمرينات (العسكرية) التى يطلق فيها الجنود المصريون مدافعهم بحماسة ونشاط كما يفعل الانكليز فى صحراء هليو بوليس؟ كلا ! ... ولكن هذه التهنئة راجعة الى نقل نقطة السلوم الى الدخيلة !

نسأل الله أن يكون هذا فى جيشنا استثناء ، فان هذه الروح الناعمة من أخطر ما يكون على الضابط الذى يجب أن يكون مثال الرجولة والشجاعة والاحتمال . فليست الجندية هى الرغد ولكنها العناء والكفاح، وليست الجندية هى الفراش

الوثير ولكنها المركب الخشن . وما هـذه السلوم التى تعد فيها الطو بجية جحيا !؟ أليست قطعة من مصر ؟!

هـذا هو المتعلم . فانظروا الآن الى الجاهل . فالقاطنون هليو بوليس أو ضواحيها يرون قبل منشية البكرى الوف الخلائق من نساء ورجال ينتظرون فرز أولادهم فاذا قبـلوا لطم النساء الخدود وضرب الرجال الصدور وساروا كانهم وراء نعش ، لأن ابنهم دخل الجندية . ويحاولون قبل ذلك أن يقطعوا أصبعين من أصابعه أو يقلعوا له عينا أو يحـدثوا له عاهة فى جسده . فلماذا ؟ هل سيذهب ابنهم الى جهنم ! ؟ كلا !... إنه سينتقل من درجة بعيدة عن الانسانية الى درجة انسان، فيعرف كيف يأكل وكيف ينام وكيف يعيش وكيف يعمـل وكيف يصبح عضوا عاملا فى المجتمع الإنسانى .

فهذه الروح الخائرة يجب أن نقاومها ، يجب أن تغـرس كل أم فى قلب ولدها الشجاعة وحب البلد! . يجب أن نعرف أنه إذا كان للانكليز السلطة على المدرسة الحربية فليس للانكليز سلطة على قلوب أولادنا منذ نعومة أظفارهم، فيجب أن نصب

فيها الجرأة والشهامة كما نصب الحديد فى أخلاقهم ، فان هذا الزمن اللين الناعم الذى نعيش فيــه على الأرائك نلوك الكلام كما يشتر البعير طعامه هو زمن لا خير فيه . وما أحرانا أن نمرن أولادنا جميعا على حياة الجندية ، فهى تخلقهم خلقا آخر وتجعل من « أولاد الذوات » رجالا ! ...



الفـــــلاح

فى مولد السيد البدوى قد احتشدت ألوف الخلائق كأنه يوم الحشر، أقبلت من جميع أنحاء البلاد التماسا لبركة السيد .

وعلى ذلك فقـد انتهز أصحاب المقاهى الفرصـة فكدسوا الكراسى وجاءت « الغوازى » يرقصن رقصـة البطن المعيبة، وفاحت رائحـة خبيثة لأطعمة يعلم الله كيف طبخت، وملأ التراب الجـو أذى للأنوف ، وقذى للعيون؛ و وقف الأتباع والمريدون وصـغار الآخذين بالعهود على أبواب كبار المشايخ والسادة وموزعى العهـود ومقسمى البركات ، وكثرت العمائم الخضراء والحمراء ، وصـدحت موسيقيات الحكومة بنغمـة واحدة ، وتقدّمت فرقها الجنود ، وتقـدّم الموسيقيين جندى يختـال بعصاة طويلة فيها رمانة معدنية يلعب بها ويقـذفها ويلقفها، ولا يرى على الأرض أحدا أبرع منه ولا أبدع !

حقا إننى عدت محـزون النفس من مولد السيد ، فقـد

غلب لون واحد على جميع ما رأيته : من خضرة المزارع، وصفاء السماء، ومنظر الشفق الياقوتى الذى يأخذ بمجامع القلوب . ذلك اللون هو تلك الصفرة الفاقعة التى اكتست بها وجوه الفلاحين. لقـد جعلت أتأمل تلك الوجـوه الذابلة الشـاحبة الكسيفة الكئيبة فأرى فعل البلهارسيا والانكلستوما .

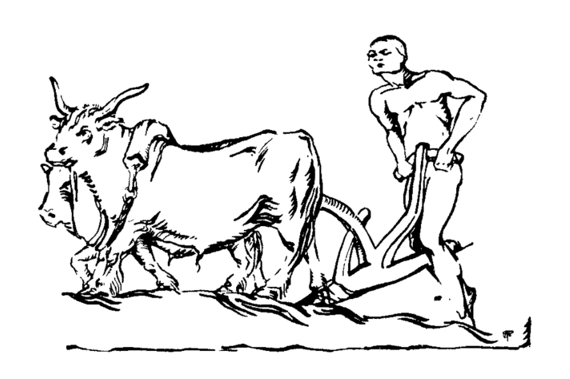
هل هذا هو الفلاح الذى صمد عشرات الأجيال وأخرج مئات الذرارى القوية؟ هـل هذا هو الفـلاح الذى ضرب بطن هـذه الأرض منـذ ألوف السنين وجعلها بهمته وصبره وقوته من أخصب بقاع الدنيا ؟

هل هذا هو الفلاح الذى امتاز بذكائه المفرط، بل بدهائه العجيب الذى يفوق فى «دبلوماسيته» ومكره دهاة الساسة ؟ !

هل هـذا هو الفـلاح الذى كان يتزوج ويترك عشرين وثلاثين وأربعين ولدًا كلهم أقوياء أذكياء ؟ !

كلا ! ليس هذا هو فلاح الأمس! إن تسعين فى المـائة من الفلاحين الذين رأيناهم فى مولد السـيد البدوى رضى الله

عنه تدعو حالتهم الصحية الى أشـدّ القلق والجزع . واذا كنا نردّد حديث الأزمة والبؤس فعلينا قبل ذلك أن نعرف ما يهدّد الثروة المصرية فى يدها العامـلة ، وذكائها الوقاد ، من انهيار صحة فلاحيها .



*

بنـــك مصر وشركاته

حضرنا افتتاح مصـبغة شركة مصر لنسج الحرير، وكان يوما عاصفا باردا، لكننا كنا ممتلئين دفئا وقوة من فرط الفرح والابتهاج بعيد من أعيادنا القومية .

فرأينا من بعيد، فوق ذلك الموقع البديع بكفر العلو قرب حلوان، مدخنة مصنع الصباغة وهى ترسم فى الأفق علما هائلا من الدخان . هو علم الصـناعة هو العـلم الذى ينشره طلعت حرب باشا على هـذه البـلاد رمزا لنهوضها ووقـوفها مع الأوربيين جنبا الى جنب .

هذا العـلم المرسوم بالدخان فى الأفق الأزرق هـو رمز الكرامة التى جعل يستردها لنا طلعت حرب باشا جزءا جزءا .

منذ ثلاثة عشر عاما وهو يعمل بلا انقطاع؛ فى كل يوم يرفع مهانة عنا ويزيح عبئا من أعباء الخمـول والتقاعد، فى كل يوم يفتح فتحا جديدا بالفعل لا بالقـول؛ لأن رجل العمـل

المنتج، رجل العمل الصامت، رجل العمل العظيم هو طلعت حرب باشا .

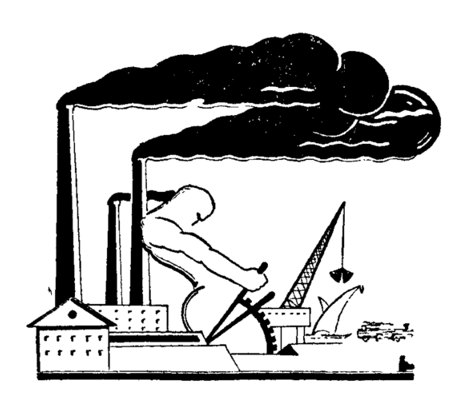
هذا الرجل هو خلاصـة نهضتنا؛ هو الذى أبرز للوجود عزتنا القومية من دمياط الى القاهرة، ومن باريس الى أسوان. ولذا فإن قطرا بأسره ، شعبا بأسره من ورائه ينظر ويتأمل ويعجب وينحنى مغرورق العينين بدموع الشكر وعرفان الجميل .

كان بيننا أمس فى آخر الصفوف هـذا الذى هو زعيم أمة ! كان فى معطفه الأزرق وكوفية صوف الجمـل لا يكاد يبدو تواضعا . وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر كان لدى الباب فى عصف الهواء، ينتظر الموكب الجديد الوافد؛ فقد وصلت سيارات (أوتوكار) مكتب مصر للسياحة تحمل بعض موظفى بنك مصر الذين جاءوا لمشاهدة المنشأة الجـديدة ؛ فنزل مائة شاب من ذلك الشباب الناهض الكريم الذى قامت على ذكائه ونجابته وأمانته ووفائه دعائم بنك مصر وشركاته .

وكان الأب الكبير ينظر بعطف ومحبـة الى أبنائه هؤلاء الذين تربوا فى مدرسـته العملية العظيمة . هؤلاء الذى تربوا تربيتهم المـالية مستظلين بعلمه وفضله وحنانه .

أى كلام أو أى إلهام يمكن أن يصور هذا الخير كله ! ؟

لسنا نحن الذين نردّد آيات الحمـد لطلعت حرب باشا . إننا أعجز من ذلك . إن هذا الجيـل كله أعجز من ذلك . إن الأجيال القادمة ، الذريات القـادمة هى التى ستعرف فضـل طلعت حرب باشا ، وهى التى ستعرف كيف تكرمه وتقدّسـه لأنه هو الذى مهد لها الطريق الوعر ، الطريق القفـر ، وهو الذى عبّده لها فصار طريق الحياة !



"زمزم" و "النيـــل"

تهادت «زمزم» باسم الله مجريها ومرساها بين الاسكندرية وبورسـعيد، فى طـريقها الى البقاع المقدّسـة التى وعد الله المتقين . فشعرنا بالدين العظـيم الذى فى عنقنا جميعا كمصريين لرجال بنك مصر . ذلك البنك الذى يقـدّم كل يوم خدمـة جديدة، خدمة لهذا الجيل لأنه يفتح صدره لشبانه يعملون فيه وينتفعون به، وخدمة للجيل القادم لأنه أساس طيب لمستقبل مجيد، خدمة ليست مادية فقط بل أدبية أيضا، لأنها ترفع من كرامتنا وتزيدنا ثقة فى أنفسنا وتجعل لاستقلالنا وجاهة التدعيم الذاتى المتجدد المرتكز على عمل الشعب ، وثقة الشعب ، وتعاون الشعب .

فهذه البواخر التى ينزلها اليوم بنك مصر الى البحر، تحمل علم مصر الأخضر بهلاله الناصع ونجومه المتألقة، هى من أجمل رموز استقلالنا وأشرف علامات جهودنا فى سبيل حريتنا الاقتصادية.

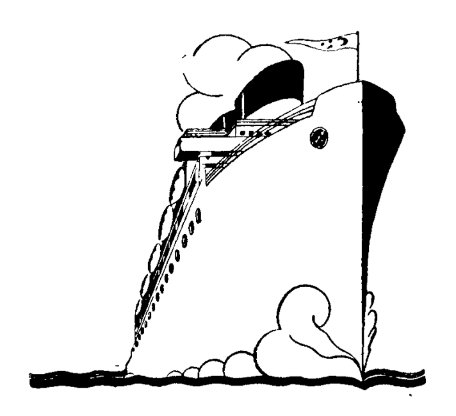
وهى دين آخر لهذا الزعيم العظيم « محمـد طلعت حرب باشا » ولعضده اليمين الصادق الأمين « الدكتور فؤاد بك سـلطان » ونحن نحب أن تكثر لها عندنا هذه الديون القومية، لأنها هى التى تقيم جبهة واحدة متينة مرتفعة شامخة فى وجه الانحلال القديم الذى كان يسود مرافقنا المـادية، وكان يجعلنا عالة فى كل ناحية على الأجانب، وكان يشعرنا بمذله هذه الحاجة، وهذا الضعف، وهذا العجز .

فنحن فى هذه المشروعات الخطيرة التى يقوم بها بنك مصر وشركاته نجد تحقيقا للأمانى التى تجيش فى صـدورنا من زمن مديد ولا نعرف الى تحقيقها سبيلا . نجد أن الدهر قد أصبح أرفق بنا وأحنى علينا مما كان حتى الآن، لأن المرآة الوحيدة التى تعرف فيهـا أمة من الأمم نفسها إنمـا هى التى يصنعها بنوها ويصقلها الأحفاد على مدى الأيام .

وعلينا إذًا أن نضاعف ثقتنا بالله وبأنفسنا وبمصـيرنا، وأن نسأل الله أن يقيض لنـا رجالا أبطالا كهؤلاء يخـدمون الخدمة فى صمت وسكون، ويبعدون عن ضجيج الفراغ لينسجوا

فى هدوء نسيجا جديدا لحياة بلادهم ، لحياة هذا البلد الذى نحبه ، ونعيش من أجله ، ونفديه بالنفس ...

حيا الله بنك مصر ورجاله ! فمن هذه الناحية تشرق علينا كل يوم شمس تظل مشرقة ولا تغيب باذن الله أبدا . فان وطننا الذى أشرقت منه يوما شمس الحضارة بحاجة الى تجديد قواه ، بحاجة الى حرارة قوية والى ضوء شديد يبهر الأبصار ويعمر القلوب بالايمان ، بأن لمصر الحظوة عند الله يحبوها بالنعم التى تتوالى ولا تنقطع ، وهو سبحانه ولى العاملين المخلصين .



*

الوطنيـــة العمليـــة

انظر الى مدينة القاهرة، عاصمتنا الجميلة، عروس الشرق، وتأمل ماقام بها من عمارات فخمة لا مثيل لها فى لندن نفسها، وانظر الى السـيارات الوجيهة التى تجـرى فى شوارعها، وإلى الأجناس التى تزدحم بهـا، وما تتكلمه من لغات، وما تعتنقه من ديانات .

انظر الى هـذا وتأمل قليلا، تشعر بهيبة الحضارة ومقدار الضريبة الهائلة التى تفرضها على من يريد أن يعيش ممتعا بها ؛ لأن الاختلاط الذى نراه بين العناصر الشرقية والغربيـة يهذب الذوق ويلهب العزائم . فالتاجر الذى لا يجدّد بضاعته لتوافق مزاج الزمن الذى نعيش فيـه ، ولا يتفنن فى عرضها بواجهة محله، مقضى عليه بالفشل حتما .

أضرب مثـلا تقريبا لصورته فى الذهن : تصـوّر دكان

بقـال تفتح فى شارع المناخ وتضاء بمصباح غاز فى فانوس ... فهو بالطبع لن يبيع فى يومه بثلاثة قروش .

وقد أدرك ذلك الغربيون وأخذوا به ، ودرسوا نفسـية «الزبون» . والزبون هو هو لم يتغير ولكن كل ماحوله قد تغير . فالأنوار التى تزين واجهات المحال التجارية كانت قبلا ساطعة تخطف الأبصار فأصبحت اليوم مختفية تشع شـعاعا غير براق على الأشياء فتظهرها أجمل مما هى ، لأن فى ذلك الشعاع الخفى نداء الى الذهن والقلب ، وفيه دون شك حنان و إغراء . فاذا عرف التاجر أيضا كيف يختار بضاعته ، وكيف ينسقها ، وكيف يعلن عنها بلباقة ، فانه ناجح حتما .

ودعوى الوطنيـة فى الأخذ والعطاء قليلة الجدوى ، لأن الزبون أصبح مغاليا ، يريد أن يأخذ بأكثر من نقوده أو على الأقل بمـا يساويها . وليس يهمه ان كنت من جنسه أو على دينه ، وانما يهمه أن يأخذ ماهو فى حاجة اليه من أحسن صنف بأرخص ثمن ، ولا يتكبد للذهاب اليه مشوارا طويلا بعيدا عن الوسط التجارى للمدينة .

ومنـذ شهرين اثنين رأينـا مصريين عصاميين قد أنشآ فى أعظم حى بالمدينة مطعما ومحلى . هما الحاتى والرمالى . فأقبل عليهما الأجانب قبـل المصريين . فلماذا ؟ لأنهما عرفا كيف يختاران المكان، وعرفا كيف ينسقان محليهما ، وقدّما صـنفا جيدا بسعر معقول .

وهـذه عندى هى أعظم ضروب الوطنية . فنقتبس عن الغرب آخر ما وصل اليه تقدّمه المـادى ، ونجتهد فى أن نجعـل له وجها شرقيا محببـا فى الوقت نفسـه، ونحرص على ملاحظة هـذا التقدّم كل يوم فى تجارتنا وصـناعتنا كما يحرص الطبيب البارع على الوقوف على تقدّم علوم الطب كل يوم .

فعندئذ، وعندئذ فقط ، نزحزح الغربى الذى نشكو منـه بالكلام الفـارغ والرغاء بالوطنية . فوطنيـة القرن العشرين هى وطنيـة العمل والجرأة والتجديد لا وطنية الثرثرة والخمول والجمـود .

*

الوطنية الصادقة

خطب الصديق النابغ الأستاذ فكرى أباظة منذ أيام في حفلة افتتاح سينما فؤاد فقال : ماذا تريدون أكثر من هذه الوجاهة؟ فنحن لا نناشدكم الوطنية وانما نقول لكم انظروا هذه الأنوار ، وهذه المقاعد المريحة، وهذه القاعة الفسيحة، وهذا وهذه ... فرد عليه الأستاذ أحمد حسين بقوله : لماذا لا تناشدنا الوطنية ؟ ! لو كانت هذه السينما « اسطبلا » لحضرنا اليها طائعين مرتاحين لأنها خير من الدور الأجنبية .

فهاتان الفكرتان المتعارضتان بحاجة الى الوقوف والتأمل . فنحن فى دور انتقال نحاول تحقيق ما فاتنا من منشآت صناعية ومالية وتجارية . وقد استيقظنا على الصوت القومى ينادينا بالنهوض بعد السبات والركود فوجدنا كل شىء فى يد الأجانب .

ولكن لو أن طلعت حرب باشا الزعيم العظيم قد جعل يطبل ويزمر باسم الوطنية مع الطبالين والزامرين ولم ينشئ

هذا البنك الكبير وتلك الشركات النافعة الناجحة لنظر العالم كله إلى وطنيتنا نظرة احتقار لأنها تكون وطنية كلام فارغ وتهويش .

فالوقت الحاضر هو وقت أزمة شديدة، كل انسان فيها لايعيش من ميراثه وانما بعرق جبينه . والوارثون هم فى أزمة شديدة حتى انهم الآن أفقر من العمال . فالرجل الذى يكد ويكدح ويكسب القرش ببذل دمه وقواه وروحه لا يرضى أن يذهب إلى « اسطبل » ليتفرج على جريتا جاربو أو بهيجة حافظ . لذلك عند مافتحت سينما فؤاد أبوابها عمدت إلى تجديد واجهتها على شكل عصرى ووضع النور بشكل فنى . واذا لم تكن قد فعلت ذلك فانها كانت تبق فى حالة يرثى لها أمام غيرها من دور السينما، منافستها وجها لوجه ، ولم تكن الوطنية وحدها تكفى لتجتذب الناس، لأنه لماذا تكون الوطنية حقيرة مظلمة قذرة، ولماذا لا ترفع رأسها أيضا بالعز والوجاهة والنور كالأجنبية سواء بسواء أو أعلى منها درجات ؟ !

فاذا فتح أحد الوطنيين مقهى قذرا فناجينه مكسرة

رخيصة، وماؤه ساخن، وبنه رديء، وخدمته فوضى، ونوره ضئيل ، ومناضده خشنة ، فهل نتهافت على الجلوس عنده ونترك الرومى الذى أمامه وهو ضده فى كل شيء ؟ !

كلا !

لأن الوطنية عندئذ لا تنطبق على ذلك «الوطنى» ؛ لأنه رجل لم يدرس حالة السوق ،ولم يعرف أن النعرة وحدهالا تكفى ليشرب الزبون « الدردى » من يد الوطنى لأنه وطنى . وكأن الزبون اذا لم يقبل ذلك لايكون وطنيا ؟ !

يجب أن يعرف الوطنى كيف يبذل ليملك السوق، و يقف وجها لوجه أمام الأجنبي لا ليشحذ ولكن ليكسب ... وعلينا نحن أن نتسامح اذا كان الفرق قليلا بينه و بين الأجنبي . أما الفرق الشاسع فهو يضر بسمعة البلد بدلا من أن ينفعها، وهو يضر بالتاجر نفسه ، ولن يكون الاقبال عليه إلا كالهشيم تذروه الرياح .

*

فى الزعامة السياسية

فى مثل هـذا اليوم من عام ١٨٥١ كتب « جيزو » المؤرخ الفرنسى السياسى الكبير الى «الكونت دى جارناك» يقول : « ينبغى أن أكون أشدّ الناس تفاؤلا حتى لا أيأس من المستقبل » .

وهذه الكلمة يجوز أن تكون شعار الرجل السياسى، سيما ذلك الذى يضطلع بمسئوليات كبيرة قد تتعلق بمصير أمة .

وقف يوما «سعد زغلول» وقد تخلى عنه أكثر أنصاره ، وكأن القدر نفسه قد تخلى عنه، فلم ييأس بل صمد ، وانجلت أزمة الأنصار عن أنصار جدد ليسوا دون السابقين قوة .

والحياة السياسية كلعبة الروليت تظل تدور . فالكاسب فيها اليـوم خاسر غدا . والعكس بالعكس . لكن السـياسى الفطن عند ما تسنح له الفرصة لا يدعها تمر بل يقتنصها بعزم

وحزم . وهذه الفطنة من مميزات الزعامة ، وهى مزيج من الذكاء والحكمة وبعد النظر والصبر الجميل .

وإذا لاحظنا أن كثيرين من النـاس تضيق بهـم الحال ماديا فينتحرون . أو روحيا ، كأن يحبوا من ليس يحبهم فينتحـرون أيضـا ، إذا لاحظنا أن كثيرين يذهبون بمحض إرادتهم ضحايا أول صـدمة لهم فى الحياة ، عرفنا المتاعب التى يلقاها الذين يتصـدّون للخدمة العامة . حتى هتاف الناس لهم على جوانب الطرقات لا يدفع إلا جزءا يسـيرا من متاعبهـم ومشاغلهـم .

كل خطوة وكل كلمة يحاسبون عليهـا حسابا عسـيرا . خصومهم يحيلون قوتهم ضعفا وأناتهم تردّدا وصـبرهم جبنا . اذا اجتمعوا أصحـابا للمشـاورة ، قالوا مؤامرة ، واذا انفضوا إخوانا ، قالوا تشاحنوا ودب فيهم دبيب الشقاق ! ...

فالرجل السياسى الذى يناخ عن مبـدئه بإخلاص وشهامة هو بمثابة الرجل الواقف فى حقـله يدفع المـاء وقد سال على جوانبه بشدّة من اليمين والشمال .

حتى الأنصار، ليسوا دون الخصوم إرهاقا لكبار الرجال .

فعنـد ما يكون الخصوم فى الظل يجىء الأنصار فى الشـمس يلحون على الرجل السـياسى فى طلب أيام الصـفاء . يرون ذلك حقا لهم غير منازع . يقولون : إن من يعطى باليمين له أن يأخذ بالشمال .

فحياة الرجل السياسى ليست مما يحسد عليه إلا اذا حسد على حياته الجندى الساهر فى الميدان بين الرصاص والقنابل .

ولكن على الذى يشعر بأنه أوتى رسالة خاصة أن يبلغها ، وله أجر القدّيسين المصطفين .

*

اتحـــدوا !

كل من راجع تاريخنا فى الفـترة بين ١٥ مارس ١٩٢٢ و ١٥ مارس ١٩٣٤ شعر بالحزن والأسى وقامت أمامه لوحة سوداء، لأننا لم نعرف كيف نقدّس دم الشهداء ونحتفظ بكرامة التضحيات التى بذلت فى سبيلنا ، وفى سبيل الأجيال القادمة .

فكل هذا الاستقلال هو نتيجة نهضة عامين اثنين كنا فيهما مثالا للأمم فى الجهاد والاتحاد، وكنا فيهما مثالا للبـذل وحب الوطن والفناء فى سبيله ، فانظروا وقارنوا بين جهاد عامين قبل الاستقلال، و بين تخبط اثنى عشر عاما بعد الاستقلال . نسير على غير هدى، ونتجه الى الحكم كأنه هو كعبتنا من دون أمتنا، وليست لنا سياسة معينة مرسومة .

فنحن قد اندفعنا بشهوة الحكم الى أحضان الانكليز وترامينا على أقدامهم بمذلة لا تليق بالأمة التى بذلت أولادها المسالمين قرابين فى سبيل الاستقلال . فلما اعترفت انجلترا تحت ضغط

نهضتنا وقوة تضحيتنا بهذا الاستقلال رحنا نتزاحم على عشرة مقاعد و يود كل آمرئ لو شرب من دم أخيه حيا . وهذا هو الفشل المروع . ولقد نلنا من أنفسنا فى هذه الاثنى عشر عاما أضعاف ما نال الانجليز منا فى نصف قرن . فنحن لم نعد كتلة واحدة أمام الانجليز، ولا أمام الأجانب، ولا أمام برنامج معلوم وخطة مرسومة نمضى فى تحقيقها مهما كلفنا الأمر . وكل محاولتنا السياسية والمالية والقضائية والاجتماعية بمثابة الترقيع فى ثوب خلق قد اتسعت خروقه على الراتق . فروحنا المعنوية التى انتصرت بالأمس ودفعتنا نساء ورجالا الى الوقوف عزلا أمام الخصم المسلح قد ضعفت وخارت وذهبت بريحها الأهواء، وأصبح سلاحنا النفسانى الذى غامرنا به وانتصرنا مفلولا صدئا لا يصلح لحرب أو طعان .

ليس الانكليز هم الذين منحونا ما نحن فيه من خير حتى نترامى على أعتابهم ونتزلف الى رجالهم ونتوسل الى مقاماتهم بكل الوسائل . بل إن قلوبنا هى التى ثارت وهى التى فازت بقوة الحق وعون الله . فكيف يضعف أيماننا فى أنفسنا وكيف

نتولى عن عشائرنا وتنتصر منا الأنانية، حتى ينفصل بعضنا عن بعض ونتكايد ونفرح لتولى الانجليز عن حزب ونصفق لابتسام الانكليز لحزب آخر ونعـد رضا الانجلـيز أو غضبهم هو أقصى منانا؟ ... « وكل حزب بما لديهم فرحون » !

فلنذكر هذه الهزيمة المنكرة فى يوم استقلالنا لنعرف ضعف مركزنا وسخرية القدر والخصم منا . ولنذكر تلك الدماء الزكية التى سفكها الشهداء من أجلنا فدسناها فى سبيل شهواتنا .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .



ادبیات

*

الأهرام

عند ما يتجدّد شباب « الأهرام » — كما تراه اليوم — تتجدّد به عزائمنا ؛ ونقف فى هذا المعترك الهائل الذى اسمه «الصحافة» فخورين بهذا الميراث العظيم يقوى على الأيام ويزيد ويتضاعف ، حاملًا على جبينه سمة معجزة الدهر ورمز حضارتنا القديمة ، كما ان « الأهرام » رمز من أجمل رموز حضارتنا الحديثة . وكان الفيلسوف الفرنسى « لابولاى » يقول : «حدّثنى عن صحافة قوم أخبرك بمكانهم من المدنية » .

فاليوم عند ما نقلب النظر فى صحافة أو ربا نجد «الأهرام» فى حجمها الحالى وطبعها وتنظيمها ومادتها تقارع كبريات صحف الغرب . فهى دنيا نتمتع بمتاعها دون أن نتكبد متاعبها . تذرع بها المعمورة طولا وعرضا مع مراسلين من أنحاء العالم كافة لاعمل

* بمناسبة صدوره فى قطع وحجم جديدين وبه صفحة كاملة مصوّرة .

لهم إلا اقتناص كل طريف وسبق سواهم فى إرساله ، دون أن تنتقل عن كرسيك أو تبذر أموالك . يشترك فى تقديمها لك على هذه الصورة شـيوخ وشباب . شيوخ بتجاريبهـم وحنكتهم وحكمتهم وشباب بحماستهم وتطلعهم واطلاعهم . شيوخ بلتهم أهوال الليالى والأيام، وعركتهم حوادث الدهر : من الباسمة كالزهور الى القاصمة للظهور . وشباب تواقون للجديد، راغبون فى الحكمة، دائبون فى العمل . وهؤلاء يأخذون عن أولئك كل يوم أمثالا فى الحلم وسعة الصدر والجلد والتجدّد والفطنة وحب الصنعة حبا يستهينون من أجله بصحتهم وحياتهم . والشيوخ يكملون الشباب والشباب يتممون الشيوخ . فهو تعاون مجيد.

فاليوم إذًا معـدود من مفاخر أيام نهضتنا . ولست أنظر الى الأمر كعضو من أسرة « الأهرام » وانما كعضو فى المجتمع المصرى . لأن هذه الصحيفة، عند ما تفتح اليوم فى أى مكان فى أوربا أو فى الشرق من أقصاه الى أقصاه على صفحاتها الأربعة عشرة، كفيلة برفع اسم مصر وزيادة كبريائها الوطنى؛ وليس فى فرنسا نفسها اليوم صحيفة كالأهرام. فالصحافة من أهم مقاييس

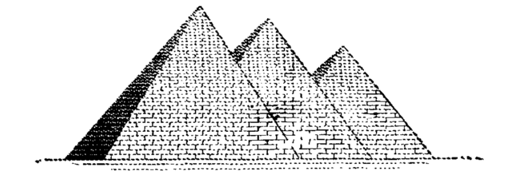
الحضارة، وقد ارتفع بنهضـة « الأهرام » الجـديدة مقياس حضارتنا .

نعم، نفخر بذلك، نحن الشباب الذين احترفنا هذه الصناعة النبيلة بثقة فى الغد واطمئنان الى المستقبل، لأننا نعلم أنها من أشرف الحرف، وأن سرّها ليس براعة الأسـلوب، أو سـعة الاطلاع، أو رجاحة العقل، أو دقة الملاحظة، بقـدر ما هو الأخلاق . فنقول ما نعتقده بقوّة وشجاعة دون وقاحة، ونصمد فى الحق للحق نفسه دون تهيب أو تردّد أو ارتداد، ونثبت حتى النهاية، ونغتفر للذين يشتموننا لأنهم ضعاف عجزة عن اللحاق بنا أو الارتفاع الينا . وليست تنطبق نظرية بقاء الأصلح على قوم مثل انطباقها على الذين يشتغلون بالصحافة، فان عشرات الذين يفدون عليها من باب يخرجون من الباب الآخر . و إذا أصروا على البقاء فانما ليكون نصيبهم الخمول وأداء أتفه أعمالها، أو يعيشون و يموتون دون أن يبقى من بعدهم سـطر واحد . على حين أن الصحفى الموهوب مصوّر ومفكـر . وما تصويره وتفكيره إلا لفائدة الجماهير التى يعيش لخدمتها . أما الشهرة التى يكتسبها

فهى عبء ثقيل ما إن يناله حتى يزهد فيه و يمله و يود لو كان قد خلق خلقا آخر .

وهــذه الصحافة الرشــيدة التى نخــدمها هى التى عناها « جفرسون » الرئيس الثالث للولايات المتحدة عند ما قال : « لو خيرت بين دولة تديرها حكومة أو دولة تقــودها صحافة لاخترت الثانية » .

وهذه هى الصحافة التى نعنيها ونفهمها ونحبها ، ونعمل على إعلاء كلمتها ،وتدعيم نفوذها ، ومد سلطانها ؛ وكلمتها كلمة الأمة ، وسلطانها مستمد من سلطة الأمــة ، لا نضن بشىء فى سبيلها ولو ذهبنا ضحيتها .



*

لا يوم بغير سطر !

كان فى بيت الكاتب الفرنسى العظيم أميل زولا لوحة محفور عليها باللاتينية Nulla dies sine linea وترجمتها الحرفية « لا يوم بغير سطر » أى لا يجوز أن يمضى عليه يوم واحد دون أن يكتب ولو سطرا واحدا . وكان هذا منه مبدأ متواضعا لأنه كان من أكثر الكتاب إنتاجا . كان يكتب فى اليوم ألف سطر . وخلف لنا عشرات الكتب الممتعة والقصص الشائقة . ولكن هذا المبدأ المتواضع هو الذى يجب أن يكون للشباب شعارا . فان الكثيرين منهم فى المدارس يتركون كتبهم ودروسهم الى قبيل الامتحان ، ويتركون حياتهم نهبا مقسما بين الفراغ والفوضى .

وقديما قال الشاعر العربى مثل هذا تماما :

اذا مرّ بى يوم ولم أستفد يدا

ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى !

فتنظيم العمل هو من أهم أسباب النجاح فى الحياة . والمثابرة عليه كل يوم دون انقطاع فيها سر السلامة ؛ لأن التعب القليل أو بعض الضجر والسآمة ، وطلب الراحة الكاملة والوعد بالتعويض غدا هو بمثابة تلقيح النفس والعزيمة بالخور والفتور .

فالنفس معرضة للمرض أكثر من الجسم . فاذا كنا نتقى البرد والزكام والتراب حرصا على صحة الجسد فكيف لا نتقى الآفات التى تنتاب النفوس وتعمل على انحلالها ؟

وليست العبرة أن نبدأ فنسرف ثم نحط تدريجيا فى مهمتنا ، بل أن نتدرج كل يوم ونزيد مجهودنا حتى لا يكون لتقهقرنا تأثير سيئ فى روحنا المعنوية .

هذه هى الدروس التى يمكن أن يتلقنها الطفل منذ أيامه الأولى . فالآباء والأمهات يستطيعون أن يسدوا يدا عظيمة الى أولادهم وبلادهم اذا نظموا عزيمة الطفل منذ أول عهده بالوجود ، ويمكنهم أن يجعلوا منه رجلا عاملا بدلا من أن يجعلوه طول حياته طفلا ولو تدلت لحيته على صدره .

*

سهـــم الشرق

ظهــر « سهم الشرق » وهو كتاب فرنسى للكاتب المعروف پول موران . بطل هــذا الكتاب « ديمترى » رجل روسى مبعــد من بلاده جاء فتوطن لأمــد طويل فى باريس وأثرى وطاب عيشــه . وفى ذات يوم يركب الطيارة فى رهان من باريس الى بوخارست، ويقوده صديق الى «بسارابيا» على تخوم رومانيــا وروسيا الجـديدة ، وهنالك يرى الريف الروسى، ويعود فيحتك بالفلاحين السذج، ويستنشق أريج مسقط رأسه وعطر زهور البرية، ثم يسمع نورية تنشد أغانى روســية فيشعر بأن قــد استيقظ فى روحه حنان لا يوصف، هو مزيج من القوة والقنوط لأنه الحنين الى الأوطان ؛ حنين رجل مبعــد عن بلاده الى بلاده ... فذلك الرجل الذى صار مواطنا فرنســيا عاقلا حكيما مثريا وقد ربتــه فرنسا وأنضجته وأغنته آن أوان انحلاله وذوبانه وعودته الى أصله ، وظهر فيه

ثانية العنصر السلافى الغلاب ،وانحلت العقدة التى كانت تربطه الى الحياة . ذلك الرجل الذى كان يعيش على فلسفة أبيقور، ويتمتع بصباحه ومسائه، ويشغل نهاره وليله بالعمل واللذة فى هدوء، قد آن له أن يختفى ليفسح المجال للروسى الصميم الذى ألقت به الموسيقى فى قلق وحشى، وأحدثت عنده انجذابا محزنا نحو الأرض التى أنبتته ثم لفظته وألقت به خارجها شريدا ...

أجل ! ... لقد تجاوبت أضلاعه بنداء روحى قوى متكرر، يتردّد مائة مرة ومرة، حتى أصبح لا يقاوم ولا يدفع . فلبى النداء ... وطلّق حياته العصرية ورفاهيته وقصوره وسياراته، بل وطلق امرأته الأمريكية وعاد الى وطنه مجردا من كل شىء ... لأنه فى روسيا لا يوجد غنى وفقير .

هذا رجل أدرك تفاهة الحياة وعدم فائدتها على الوجه الذى كان قد ارتضاه لنفسه، وخرج عن شخصيته الزائفة، واستعاد آخر الأمر نفسيته المفقودة : استعاد الاحتكاك بروحه ، روحه التى كأنها كانت فى الغربة قد ضلت ثم عادت الى الوطن فاهتدت ...

*

جيتـــــــــه

أقرأ الآن « جيته » لأكتب عنه شـيئا « للاهرام » . تغرقنى قراءته فى معين عذب ،وتنسينى كل شىء حتى الكتابة ، وتجعلنى أتساءل : هل توجد فى الدنيا لذة تفوق القراءة ! ؟أعتقد أن الرجل الذى يحب القراءة هو من أحباب الله ؛ لأن القراءة تنقل الروح الى عالم ممتلئ بالأرواح التى هى فى حاجة الى الوجود بينها ومناجاتها . أشعر وأنا أقرأ غرام جيته كأننى مغرم ، كأننى أرى ذلك الجمال الذى عشقه وفهمه ، وأننى لو وجدت أمامه لحكم على بمـا حكم عليـــه من دموع ولوعة ووحشـة حتى فى الهناءة؛ فقد كانت هناءة الحياة تثقل عليه وتصيبه بنوع من الكآبة، وكانت القراءة أكبر ملذاته. كان يختلى بالكتاب كأنه أعز صديق، كأنه الحبيبة . وكان الوسط الذى حوله يبدو له غريبا لأنه لايفهمه ؛ فان الناس يكرهون الشعراء ويضحكون منهم ، ولو أتيح للناس أن يروا لمحـة من عالم الشـعر والتأمل

لاندهشوا من تفاهة العالم الذى يعيشون فيه، يأكلون ويلعبون وينامون ...

إن الكاتب والشاعر كالمتصوف . فهذا المتصوف المنصرف الى التأمل والانجذاب ينظر الى هذه الدنيا نظرة الغريب عنها الساخر منها ، الذى يعلم أن وراء ذلك ما هو خير وأبقى .

خذ منه كل شيء ، خذ منه المال والحب، بل خذ منه نور عينيه فانه سيستمع الى من يتلو عليه الكتب، من كتب الله الى كتب البشر، فيشعر أن كل عرق فيه ينبض بالحياة ، وأن الدنيا ممتلئة بالنور والحبور ساعة فهو بها سعيد، أو أن الدنيا عبث كلها وتعب،فهو غير معنى بها أو مقبل عليها، فهو سعيد أيضا .

يقول جيته : « كل المثل العليا لا تحول بينى وبين أن أكون أنا نفسى كما خلقت، أعنى طيبا ورديئا كالطبيعة » .

لقد ظل هو نفسه، صدقها ورسمها لنا كما خلقت . كانت دموعه حارة ونحن نراها الآن مرأى العين ونحس حرارتها لدى

قراءتنا « ڤرتر » . و « ڤرتر » هو جيته . فهل يستطيع الكاتب المصرى أن يصدق نفسه والناس ، و يطلعهم على خبيئته لا يحابى ولا يغش ولا يلون حيـاته بألوان براقة أو كئيبة ؟ لا يتصنع الفرح ولا الحزن ، و إنمـا يكتب ما يشـعر به من مشاعر ، و يذكر ضعفه على علاته مهما كان بشعا ، و يذكر قوّته كما هى إن كان قويا .

لنفرض أن كاتبا مصريا عاش فى أوروبا ، وكان له حب عظيم ، فهل يستطيع أن يكتب اعترافاته ، و يرسم غرامياته ، و يبوح بكل ما خالج قلبه وما انضمت عليه جوانحه إذ ذاك ؟ هل يستطيع أن يقول مثلا إنه كثيرا ما كان لا يجد طعاما ومع ذلك كان أهنأ بالا وأسعد حالا من أيام جاءت بعد ذلك يلعب فيها بالمـال لعبا ولا يجد للعيش طعما .

كلا ! وعلى ذلك سيظل كل واحد منا مثلا أعلى ، وليس كما خلق طيبا ورديئـا كالطبيعة . ولذلك لن يكون منا بعض « جيته » ولا ظل « جيته » .

*

زوجة نبيــلة

نعود الى « جيته » . تركت ما كتبه عنــه اميل لودفيج ، وأخذت كتاب «چان مارى كاريه» الأستاذ بالجامعة المصرية . هكذا تكتب السير وإلا فلا ! . هل يوجد أبدع من هذا العقل الفرنسى المنظم ؟ هــل توجد أبدع من طريقتــه فى البحث والاستنتاج ؟

وقفت عند صفحة منه وتأملت طويلا . وذكرت قاسم أمين الذى كان ينشد امرأة لها جمال المرأة وعقل الرجل .

انتصر نابليون فى معركة « ايانا » المشهورة ووصــل غداة فوزه الى فيمار حيث تقام الآن أعياد «جيته» العظيم التى يشترك فيها العالم بأسره، حتى مصر . وصل فى موكبه الظافر الى قصر دوق فيمار الذى كان فى خدمة ملك بروسيا عدو نابليون . وكانت فى أعلى سـلم الشرف امرأة تنتظر الفـاتح العظيم الذى دوخ الدنيا دون أن يصيبه دوار . وكانت متــدثرة بمعطفها ،

طويلة القامة ، نحيفة ، نبيلة التقاطيع ، على وجهها شحوب الحزن ومسحة الهدوء .

فصاح فيها نابليون بصوت صادع : من أنت؟ فأجابته : « أنا دوقة ڤيمار » فقال لها : « إننى أرثى لك ، لأننى سأعدم زوجك ! » .

ثم دخل الجناح المعدّ له فى القصر. وتعشى وحده. ولكنه فى اليوم التالى خفت حدته قليلا فقبل الغداء مع مضيفته .

وكانت هى فى ثوبها الأبيض الناصع وشالها الحريرى الأسود على كتفيها العاجيتين تنظر بصفاء واستسلام الى حكم القدر . وجعل هو يروح ويجىء فى الغرفة كأنه محموم ، ويداه وراء ظهره ، ثم فاجأها قبل الجلوس الى المائدة بقوله :

— ولكن كيف كان زوجك من الجنون بحيث تجرأ على محاربتى ؟

فأجابته : لو أنه لم يفعل لاحتقرته جلالتكم .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ إنه منذ ثلاثين عاما فى خدمة ملك بروسيا، فهل يتخلى عنه فى اللحظة التى عليه فيها إن يواجه خصما مهيب الجانب كجلالتكم ؟ أفلا يكون ذلك جبانة منه ؟

فبهت الامبراطور لهذا الجواب اللبق الجرىء الجدير بها وبه ؛ وأبدى على الطعام دماثة ولطفا ، وأصدر أمره بالعفو عن الدوق إذا استقال للحال من وظيفة القيادة وعاد الى أملاكه، وختم ذلك بقوله :

ـ إنك يا سيدتى أشرف امرأة عرفتها ، فقد أنقذت زوجك ، وإنى أعفو عنه ، وإنما يرجع ذلك اليك ، أما هو فلا يستحق، لأنه مسىء .

وعندما عاد الى جناحه فى القصر همس فى أذن أركان حربه : ها هى ذى امرأة مع ذلك لم تخش مدافعنا المئتين !....

أما الذى جهله نابليون فهو أن هذه المرأة كانت أعظم من ذلك شجاعة ، كانت تبدى بطولة فى حياتها الخاصة، وعظمة

نفسانية ليست دون ذلك. لأنها كانت امرأة شريفة صابرة على ماقدّر لها، فقد كانت تعرف أن زوجها يخونها علانية، وله خليلة ممثلة...ولد له منها ولد، كتب عنه «جيته» خطابا يبشر به الأمير بقوله : «أنه شبيه جميل، نضر الوجنتين !» . وكانت تترفع عن الشكوى وتأنف أن تشير فى حديثها مع زوجها الى خيانته بكلمـــة !



*

شـــوقي والجميّــــل

عنـــد ما فرغت من قراءة الدراســـة* التحليلية الشائقة التى وضعها الأديب، الشاعر، المفكر، أنطون الجميل بك، فى شوقى أمير الشـــعراء خطرت لى مقالة « ما كولى » فى « ملتون » . وليس ذلك راجعا الى أن ثمت وجها للقارنة بين ملتون وشوقى . فان القدر قد حرم الأول كل شيء، وحبا الثانى بكل شيء . ولكن لأن الأدب العالمى مدين لمـــا كولى بتلك الصورة الخالدة التى حفظناها فى المدرسة عن ظهر قلب .

فشوقى ككل نابغة له من الأعداء بقدر ما له من الأصدقاء . وبيـــن هؤلاء وهؤلاء يقف الكثيرون حائرين بين جيشين متقاتلين، أحدهما يجرّده من أهم صفاته، والآخر يلثم طرف ثوبه بخشوع كالقدّيسين حتى يجيء المنصف الحكيم فيعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

---

* شوقى — بقلم أنطون الجميل بك — مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩٣٣

فرسالة الأستاذ الجميل بك هى ميزان الإنصاف لشعر شوقى . موازينه الدقيقة مأخوذة من فطرة الناقد الشعرية، ومن ثقافة واسعة عربية غربية، وحساسية مرهفة، وذوق سليم ، ونظرة عميقة صادقة فى الأدب والحياة .

لقد تجول المؤلف المجيد فى تلك الجنان الفيحاء الفسيحة الأرجاء التى غرسها شوقى ؛ وتجوّل كخبير بسر الأشواك وسر الزهور ؛ وجمع لنا بعد ذلك طاقة نضرة فى نحو مائة صفحة جمعت نحو أربعمائة بيت شعرى ؛ ونمقها بيد بارعة وذوق سليم ؛ وبذلك أبرز لنا فن شوقى وفضل شوقى دون أن يحملنا عناء الجهد أو عذاب التشكك .

هذه الطاقة اليانعة التى يقدمها الينا الجميّل لا ترضى العين وتصقل النفس فحسب، بل إن كل زهرة منها على جمالها عظة ودرس . نجد فيها معنى الشعر وقيمة الشاعر، ومواقف الروع ، ومواقع الحروب ، ومواطن الطمأنينة والابتهاج ، ونسمع فيها أوتار الدين والايمان ، والتسامح والوطنية ،

والإخلاص والحرّية، والحكمة والهوى، وتمجيد السيف والقلم، والشورى والدستور، واستنهاض الشباب وحثهم على العمل والاقدام، وهديج الأمل الموموق من مصر فى مستقبلها، وغناء فى وصف الجارات الشرقية . ونرى فيها لوحات رائعة للنيل والأهرام وأبى الهول وأنس الوجود ودمشق ولبنان ...

ورسالة الأستاذ الجميل بك هى أنموذج بديع للدراسات التحليلية القائمة على الأصول العلمية . هذه الأصول التى تنكر الغرض من تحامل أو ملق . وهى المذهب الأمين الذى يجب أن يعتنقه الشباب المتأدب ويأخذه عن أهله . وحبذا لو درس جميع الطلبة هذه الدراسة فهى تعرفهم بشوقى ومميزات شاعريته ومميزات عصره . وهى لوحة اجتماعية لمصر فى نصف قرن ، وهى مثال لأدب النقد جدير بأنطون الجميل ، فهو جدير بأن يحتذى .

*

السينما والكتاب

من أخطر الأمور على أخلاق الفتى أو الفتاة أن يذهب أحدهما الى السينما مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع ثم لا يقرأ كتابا



واحدا كل ثلاثة أشهر . فان الجيل الذى ينشأ هذه النشأة يهدّد بلاده بالانحلال . السينما تسلية وليست ثقافة . والشاب أيا كان اتجاهه فى الحياة بحاجة الى الثقافة، سواء أكان عاملا بيده أم عاملا بفكره، سواء أكان مدرّسا أم طبيبا أم محاميا أم مهندسا

أم موظفا ؛ فإن الثقافة هى التى تعــرفه بمناطق جديدة ينهــل الذهن منهــا غذاءه كما ينهــل النحل من الورد غذاءه . والفتاة المصرية يجب أن تطّلع على آخر الكتب وأن تنقــدها لنفسها وأترابهــا وأن تكوّن لنفسها فكرة عن الموضوع وعن الكاتب ، فلا تغــتر بالأسماء الضخمة بل تستقل فى رأيها دون غرور . وتكون تلك الكتب الجــديدة موضع أحاديث الصالونات المصرية بدلًا من أحاديث الفساتين البائخة ، ولا يجوز للفتاة المصرية الجــديدة أن تكون دون العاملة الأوربيــة الصغيرة الفقيرة ، فإن أولئك العاملات لا ينقطعن عن مطالعة الصحف اليومية والمجلات الأدبيــة والكتب الجديدة . وهن فى حالة عجــزهن المطلق عن الشراء يلجأن الى مكاتب البــلدية فيجدن فيهــا كتبا وإن لم تكن جديدة فهى لا تقل عنها فائدة ولذة . وهكذا لكل فــرد فى البلاد الحية ميزانيــة للثقافة مهما كانت ضئيــــلة .

وكل من الوالدين مســئول فى هذا البــلد أمام الله وأمام الوطن عن وضع الكتب المختارة فى أيدى بنيه منــذ نعومة

أظفارهم. فانه بذلك يحصّنهم ويحميهم بأحسن مما تحميهم التعاويذ والتمائم، وبأحسن مما تحميهم العضلات القوية المفتولة .

الكتاب الجيد أفضل ألف مرة من الفلم الجميل . خذوا أى فلم مهما كان جميلا ودلونى : أليس فيه ناحية من الاغراء والابتذال الذى لا يتفق وحشمتنا الشرقية وحياءنا الفطرى؟ ! ألسنا فى أحوال كثيرة نحمد الله على أنه ليست لنا بنات تشهد تلك الأفلام التى تبيحها وزارة الداخلية عندنا إباحة تدعو الى أشدّ العجب والاستنكار ؟ !

فيجب أن يتذوق أبناؤنا القراءة منذ الصغر، فانهم سيرون تجاريب الدنيا منبسطة أمامهم مبذولة لهم بسخاء . وإذا نظر طالب العلوم الى كتاب الأدب بنفور واستصغار فهو دليل على حماقة تستحق الرثاء ؛ لأن طالب العلوم عند ما يتعصب ضدّ الأدب؛ أو طالب الآداب عند ما يتعصب ضدّ العلم ، يكون كلاهما قد دل على أنه أبعد مايكون عن العلوم والآداب جميعا.

والقرش الذى يدفع فى الكتاب هو قرش مدخر طول الحياة. لأن الكتاب الجيد يظل طول العمر، كالقلب الطيب، منبع الخير.

*

المعلم الجاهل

سيارات وزارة المعارف الكبيرة تجوب الشوارع في الصباح نافخة في أبواقها، لتحمل البنات والأطفال الى المدارس والرياض، وكأنها تحمل الزهور والورود .

إنهم أسعد حظا منا . لم يكن في زمننا سيارات ولا رياض أطفال . كان «الوجيه» فينا يأتي راكبا حمارا يتعثر في الوحل صيفا من ماء الرش، وشتاء من ماء المطر . وكان الذي يأتي في مركبة بحصان واحد أبيض يقبل غارقا في ركن من أركانها ويخرج يتعثر في خجل وغرور .

إنهم اليوم أسعد حظا لهذه الديمقراطية الشاملة، فقد أصبحوا يركبون سيارة واحدة ويتزيون بزي واحد، وتمتزج عواطفهم ولا تتضارب .

وهم أسعد طالما كذلك لأن لهم معلمات رقيقات ومعلمين فضلاء لا يعرفون ضرب المساطر ولا ضرب «الأقلام» ! . .

وما أنس لا أنس يوم دخلت عام ١٩٠٨ المدرسة الابتدائية (ج) الأميرية فقد كان يوم نحس لم تطلع شمسه . وكان معلم اللغة الانجليزية ، ومعلم الحساب فى الوقت نفسه ، رجلا جاهلا ؛ وكنت قد تأخرت أياما لسبب لا أدريه ، فما رآنى حتى كأنه نشبت بينى و بينه عداوة . (هل كانت قد ضايقته منى مخائل النجابة والذكاء الواعد مثلا ! ؟) وراح يمتحننى فى اللغة الانجليزية ، وكانت لوحة (الألف باء A B) مسندة الى حامل — ولا زلت أرى لونها أصفر فاقعا كوجهه — فسألنى فيها فكررتها . لكنه سألنى بعد ذلك عن (حرف H) ولم يكن يسعنى معرفته إلا اذا ابتدأت — ولو فى سرى — أكرر الحروف من الألف حتى الهاء ، فغضب (لبلادتى وجهلى) ! .

ولم يكفه منى أنى لم أكن أعرف ، ولم يرد أن يعطينى فرصة ولو الى الغد لأتعلم ، فصفعنى هذا الـ ... صفع صبيا صغيرا عمره سبع سنوات أول يوم دخوله المدرسة ! كأنما كان يجب أن أولد فى لندن ! فنظرت اليه بكل ما كان يمكن أن تنطق به عيناى ، أنا الصبي الصغير الضعيف ، من شزر واحتقار .

فضايقته نظرتى وأدركها ، فأمعن فى النكاية ، وأعلن فى الأولاد
أن كل سؤال عن حرف أعجز عن معرفته ويجيب عنه أحدهم
فله الحـق فى أن (يضربنى قلمـا) ؛ فرفع عشرة منهم أيديهم
ووقفت أنا كتمثال بارد من الرخام فقد الحس والشعور ، لأنى
لم أكن أعتقد وجود حيوانات فى المدارس الأميرية .

وكان بعض الصبيان يمسح على وجهى والبعض يضربنى
فعـــلا .

ولكننى لم أكن أشعر بألم الضرب لأنى كنت قد غرقت
فى ألم الاهانة . كم أخذت يومها من «الأقلام» ؟ ! عشرة ،
عشرين ؛ والله ما أدرى ! . أظن بعـدد حروف الهجاء
الانكليزية ! .. أما الذين امتنعوا فقد كانوا سلفا أصدقائى .
فعدت الى البيت وبكيت طول ليلتى . وأصررت على عدم العودة
الى المدرسة ، أو على الأقل ، على عدم تعـلم اللغة الانكليزية ،
ومن يومها كرهت الانكليز . أما والدتى فقد جن جنونها
وحزنت حزنا شـديدا . فأشارت عليها صاحبة لها أن تلجأ الى
السيدة زينب — رضى الله عنها — فلجأت وتعلقت بشباكها ،

وبكت بين يدى ضريحها ، ونذرت ثمن خروف لصندوقها ، ووفت بعد قليل نذرها .

تذكرت كل هـذه الآلام إذ رأيت تلاميذ اليوم وكيف ينعمون . وحمدت الله على تطوّر التربية وتنوّر العقول . ولو جاء « حمـدى افندى » اليوم وامتحنته فى اللغة الانكليزية لأريته كيف يكون الصفع الأدبى ! . .

والآن ، وقد مضى على ذلك ربع قرن من الزمان ، فقـد غفرت له الألم الذى انتابنى ، والاهانة التى لحقتنى ، ولكننى يستحيل على حتى الممات أن أغفر له حزن والدتى ...

*

الهجاص !

ما أقل النـاس الذين يعملون عملهم بإتقان! وكل الذين لا يتقنون عملهم فى هـذا الزمن المـادّى يخسرون خسارة قد لا يعرفون هم أنفسهم مداها إلا بعد الأوان . وإنى أحب أن أضرب لك مثلا عمليا على ذلك لترى الفرق بين الخلق الشرقى والخلق الغربى ، وان ما طبعنا عليه حتى فى أبسط الشؤون من الاهمال وعدم الاكتراث يكلفنا أحيانا السخرية بنا .

هل رأيت مرة ذلك الرجل المعمّم الذى يلبس جبة زرقاء ونظارة، ويضع فى عمامته قلما من الرصاص ... ويسير وراءه رجل بجلباب قذر جدا يحمل له ورقة من الكرتون عليهـا رسم كف بحبر أحمر ... وهو يدور على المقاهى يقول: «دكتور! ... البخت ! ... الكف ! ... شانس ! ... علم الكف الهندى على أصوله ! ... » ويتمايل عجبا واختيالا بمهارته فى الكلام و ... و «خيابته» فى علم الكف ! ...

هذا الرجل هو من أجهل الناس بهذا العلم . وأول دليل على جهله ذلك الكيف الذى رسمه بحبر أحمر ولا معنى له مطلقا . و بالأمس فى بار اللواء، جعل يقول لسيدة أجنبية و يعيد لها القول عن زوجها وحبها وأولادها وحياتها . وبعد ربع ساعة فى هدير و رغاء كانت خلاله تهز رأسها إعجابا بعلمه الغزير قالت له « لقد صدقت فى كل شيء ... بس أنا مش متجوّزة ! » .

وانظر الآن اعلانا ظهر يوما ما فى صحف باريس : « السر العظيم ، الطريقة المضمونة للنجاح فى الحياة والتأثير فى عقول الآخرين و إعدادها لتكون فى جانبك وترتاح اليك، والأمر يرجع الى تيار حيوى موجود فى جميع الناس، ولكن العالم المشهور فلان ... هو وحده الذى يعرف استخدامه . وهو يعلمك ذلك مقابل عشرة قروش ... وقد أصبح من الآن فصاعدا فى الإمكان أن يقال : ان الذين لا ينجحون فى أعمالهم ليس معهم عشرة قروش ! » .

فانظر مبلغ ما وضعه هذا الرجل فى اعلانه من الذكاء والفطنة . ولست أشك فى أن الذين بذلوا القروش العشرة

عن طيب خاطر كثيرون جدا . لأنه يوجد فى كل أمة أناس لا يحصى عددهم يبحثون عن وسـائل النجاح، وهم لا يعرفون استعدادهم وماخلقوا له ؛ فيتعللون بالخرافات .

ولكن مقابل هذا الرجل الذكى الفؤاد نرى ذلك «الهجاص» يخب فى جبته وقفطانه متمشدقا بكلمات مضحكة يكررها بذاتها لكل الناس و يفقد بذلك كل ثقة فى معرفته ، مع انه لو كان قد انعكف شهرا واحدا على دراسـة الكف لعرف هذا الفن البسيط وأتقنه، وكان يستطيع أن يقول فعـلا أشياء حقيقية تسترعى النظر والاهتمام حتى من الناس المتعلمين .

والخلاصـة : ان شيئا من الصبر الجميل يمكننا من اتقان ما انقطعنا له ، ويجب أن نحب هـذا الذى نعمله وأن نقتنع بأنه الخير كله وأن نؤمن به ليكون كاملا .

*

الشـــرق والغـــرب

نشر كاتب ظريف فى إحدى زميلاتنا مقالا استهله بقوله : انه يضحك ملء شـدقيه من أوربا ثم يضحك ملء فمـه من فضيلة أوربا ...

وبالطبع سيجد هـذا الرأى أنصارا كثيرين ومعجبين كثيرين . ولست أنا الذى يدافع عن أوربا لأنهـا أوربا أو لأننى عشت فى أوربا ، وإنمـا أنا كمصرى ، أحب وطنى وأحارب الرذيلة وأنصر الفضيلة ولا أتردّد فى قول الحق مهما كلفنى ذلك ، أعتقد أن هذه الآراء غريبـة جدا وليس فى تشجيعها إلا تضليل الناس وتملق الحمق .

إن كل ما نراه فى بلدنا من وسائل التقدّم والرفاهية والحضارة هو من واردات أوربا . هـذا النور الكهربائى الساطع الذى نعيش فيـه ، هذا التليفون الذى يربطنا بأقصى البلاد ، وهـذا التلغراف وهـذه السيارة وهذا الترام وهذا القطار وهذه البواخر

وهذه الملابس وهــذه العلوم وهذه الفنون وهذه الأدوية وكل شيء! كل شيء هو من صنع أوربا ووارد أوربا .

فنحن لا نستحي من أن نمدّ أيدينـا الى أوروبا فى كل شيء ، لأن الانسانية تتجاوز التخوم وحدود البلدان وتصــل القطب بخط الاســتواء ، وأمس صعد الأســتاذ بيكار مدى ألوف الأمتار فى الهواء مجازفا بحياته من أجلى وأجلك ؛ وكذلك مدام كورى التى مات زوجها المنقطع معها للراديوم تعمل فيه مع ابنتها من أجلى وأجلك ، وهؤلاء الذين قد انقطعوا لدراسة الميكروب ووصف الوقاية منه والعلاج له هم أصحاب الفضائل الحقيقية التى تهزأ بها وتضحك منها .

فعند ما نعــرف كيف نصنع أصبع الطباشــير ، أو مصلا للحمى التيفودية ، أو نورا كنور الكهرباء ، عند ما نعرف كيف نبتكر ما هو دون الطيارة أو زبلين ، عند ما نعرف شيئا من هذا أو من مثله أو من بعضه يجوز لنا أن نتحدّث عن فضــيلة الآخرين الذين نعيش عالة عليهم ... أما قبل ذلك فهو افتئات وإسراف ونكران للجميل .

*

اللسان العف

فى إحدى القضايا الشرعية المرفوعة من سيدة على ضابط قدر علينا أن نطلع على خطاب منه اليها تقشعر من وقاحته الفضيلة وتولى الأدبار جزعا . قرأنا فيه جملا وألفاظا لو قطعت يد كاتبها لكان العقاب هينا . ويصدر هذا من رجل هو بمهنته حارس للنظام والأخلاق ! ...

لو كنت قاضيا لحكمت عليه بالسجن والتجرد من رتبته . إن هناك بعض الضباط هم عار على إخوانهم وزملائهم وعار على الأمة جميعا .

أليست هناك لغة يخاطب بها الإنسان زوجته أو حبيبته غير لغة بذيئة غريبة فى إسفافها الى حدّ تترفع عنه — فى ظنى — فى تخاطبها البهائم ؟ !

نعم توجد . وجهالتهم هى التى تحول بينهم وبينها . وإنما

المخيلة الشهوانية الوضيعة هى التى نتعرض لذكر ما ينبو عنه حسن الذوق وسلامة الطبع . فهم قوم مرضى ولا شك .

وللحب قداسته . فكل من لا يعرف هذه القداسة أو لا يحترمها يسىء الى الحب ويجرم . وهذا الضابط الوقح قد كتب ما كتب وهو يزعم أنه سيكون فقط بينه وبين تلك السيدة . ولكن ها هو الآن خطابه (واخد رقم فى حافظة) ويتداوله كتاب المحكمة والمحامون والقضاة، وينتقل حتى يصل الى الصحف . لذلك كان ينبغى أن يكون له من نفسه وازع، وأن يحسب حساب الحب نفسه وحرمة الأنوثة قبل أن يحسب حساب وقوع خطابه فى يد الغير .

ونحن سنضرب له مثلا لضابط آخر يعرف الحب ويدرك أن عمله رجس من الشيطان . ولسنا نقتبس له رسالة كاتب كبير أو شاعر عاشق ، وانما خطاب ضابط انجليزى كتبه فى عام ١٧٤٦ الى زوجته عشية معركة «كولودن» التى هزم فيها آخر أنصار « الستيوارت » وقضى كاتب الخطاب فيها نحبه . وقد وجده بطريق الصدفة كاتب كبير فنقله وهذا نصه :

« حبيبتى

عدت الى معسكرى الآن . الساعة تبلغ الحادية عشرة مساء . ليس فى روحى إلا الله وأنت .

ولست أستطيع الرقاد قبلما أقول لك إننى لا أشعر أبدا بالتمام عند ما أكون مفترقا عنك . ما أسعدنى لوكنت الآن بين يديك ! سأذهب للرقاد على أسف دون مسرة أخرى غير تلك التى يمكن أن يمنحها لى ضميرى . حمدا لله على سلام الروح الذى يسودنى ، وعلى المدد الكريم الذى أمدنى به شخصك . إن طباعنا جبلت بحيث لا نكون إلا سعداء فى الغاية أو أشقياء للنهاية . انك تعطيننى كل المسرة التى تستطيع أن تعطيها امرأة أحبها وكل الهناءة التى يمكن أن تهبها رفيقة فاضلة فى نفس مليئة بها ، إن فى مقدورك إحالتى شقيا أشق مما أستطيع أن أعبر لك لأنه فوق كل تعبير ووراء كل تصوّر . ولكننى أومن بحقيقة وقوة محبتنا وأؤمل ألا ينتهى إلا بانتهاء الحياة نفسها .

سآوى الآن الى فراشى ولا أدرى هل أنام ؟ واذا نمت هل أستيقظ ؟ قد تكون اليوم غفوة الموت . شكرا لله على نعمه الغابرة و إنى أسأله المزيد فليباركك الله أنت وولدنا العزيز . و إنى لك الزوج المحب المخلص » .

ولكن ثمت فرقا كبيرا أيضا بين عام ١٧٤٦ وعام ١٩٣١ وقد انحطت صلات الناس بعضهم ببعض ، واختفت أجلّ وجوه والشهامة والنبالة . فكيف يسلم من الشر أرق المشاعر وأشدها تأثرا وهو الحب ؟ !

*

الجمـال المصـــرى

غدا يكون بيننا « المســيو دى واليف » على رأس وفــد الصحافة اللاتينية التى تعقد مؤتمرها العاشر فى القاهرة فى ضيافة « الأهرام » .

وهــذا يذكرنى بتلك الشخصية المحبوبة من جميع أهــل الذوق لا فى فرنسا أو أوربا وحدها ، بل فى العالم كله . فالرجل حجة عالمية فى الجمال . آراؤه أحكام . وطوبى للتى يشهد لهــا « موريس دى واليف » . فهو منظم ومدير مسابقات الجمــال التى تجرى فى باريس .

وكنت أقرأ جريدته « بارى — ميدى » بلذة وسرور . فهو صحفى متفنن قدير وستنوب عن هذه الجريدة عقيلته «مدام دى واليف» . فى حين أنه هو يمثل جريدة «الجورنال» الذائعة الصيت . فأنت ترى أن هؤلاء النـاس يتعاونون فى داخل البيت وخارجه على السواء ، وأن للمرأة شخصيتها ، وأن هــذا

يزيد المحبة بينهما ولا ينقصها ، وأن هذا التعاون الفكرى يزيد فى ثروة الرجل الأدبية وفى كبريائه ، لأن صاحب المرأة الممتازة النابهة هو غير صاحب المرأة الخاملة . وكذلك كم من امرأة تطفئ الذكاء فى عقل الرجل وتخمد الأمل فى قلبه .

ترى ... هل يتاح «للمسيو دى واليف» أن يشهد بطريق الصدفة لمحة من جمال المرأة المصرية ؟ ! هل يمكن أن يقدّر أنه توجد فى مصر فتيات من أجمل بنات الأرض ؟ !

فنحن لانشترك فى مسابقات الجمال بفتياتنا . ولسنا نأسف على ذلك الآن فان التقاليد ما زالت تحول دون ذلك . ولو أن مسابقة البيچامات فى كازينو سان استفانو هذا العام كانت بذلك نذيرا . وسيأتى يوم نرى فيه الفتاة المصرية تعرض وجهها النحيل الخمرى الجميل، وعينيها السوداوين النجلاوين العميقتين اللتين تشعان بسحر هاروت وماروت ، وتطفئ كل جمال غربى الى جنب جمالها . ولكن نرجو ألا يدركنا هذا اليوم إلا وقد بلغنا من الكبر عتيا ! .

نهايته . إذا لم ير « المسـيو دى واليف » قبسا من ذلك الجمال الشرقى العريق فليته لا يرى أيضا أولئك السائلات المقنعات المخيفات اللواتى يتعلقن بأهداب المـارة فى شارع قصر النيل، ويضطهدن السائرين بشارع فؤاد الأول . وليته لا يشهد من شرفة شبرد جنازات تتبعها نساء حافيات الأقدام ، مخضبات بالنيلة الزرقاء، ربطن أعناقهن بالمناديل السوداء، يولولن ويملأن بعويلهن الفضاء، وهن يشققن الجيوب، ويلطمن الخدود .



*

العطلة المدرسية

يسألنى تلميذ نجيب كيف يقضى عطلته المدرسية، وهو موفور الحظ من المال والراحة لا ينقصه شيء ، وانما ينقصه ما يملأ عليه أيامه ولياليه . أى أنه فى الواقع ينقصه كل شيء. فليس المال والراحة إلا فى متناول ألوف الناس الذين مع ذلك يقتلهم الفراغ . والرجل الذى يعرف كيف يشغل كل لحظة من حياته ، هو الرجل الذى لا تتسرب اليه الوساوس والهواجس .

بقى أن نعرف بماذا نشير على هذا الفتى المستيقظ الحريص على أن يشغل أجازته الصيفية بما يجعل لها قيمة .

أقول له إننى لما كنت فى سنه كنت أسافر الى الريف، وأبقى ساعات برمتها فى الغيط أتأمل تلك الأرض السوداء التى تنبت أزكى النباتات وألذ الفاكهة وأغنى المحاصيل . وكنت أحيانا كثيرة أمسك الفأس الثقيلة بيدى الصغيرة وأداعب الأرض أشق فؤادها كأننى أسألها مكنون سرها . وكنت أحب

ما حولى من تلك المواشى الوديعة الجميلة التى ترى فى عيونها الصفاء والسلام، من الجمل الى البقرة الى الخروف الى العنزة... وهى تحيي الدار عند خروجها وتحييها عنـد عودتها ، وتعرف طريقها دائما ولا تخطئ أبدا ، وتعرف أهـل الدار والمنـوط بخدمتها، وهم يعرفون مكرها ودهاءها اذا تمارضت أو تكاسلت.

وكنت احب أن أجلس الى النيل ساعات . أراه أحيانا يغضب فيأكل الأرض التى لم يخلق الله أخصب منها و يلتهم خيرها و بركتها . وأحيانا يرضى فيحمل اليها ثروتها من الطمى والخصب فلا تزداد كل يوم إلا قوة كأن شبابها خالد يتجدّدأبدا.

وكنت أحب أن أجلس لأستمع الى القرآن الكريم يرتله شيخ رخيم الصوت غالبا كفيف البصر. فتفتح لى تلك القراءة عوالم مجهولة من الخير والبر والصـلاح والتقوى ، وأرى الجنة والنار جنبا الى جنب أحدهما تجرى من تحتها الأنهار والأخرى تتلظى سعيرا أعدت للآثمين !...

وكنت أحب المرأة الفلاحة، وهى عضد زوجها وساعده الأيمن، تعرف دخله وخرجه، وتحفظ له مكسبه،وتوجه أعماله

ما طاب لها . فهى سيدته من جانب وهى خادمته من جانب آخر . جبارة احيانا ومطيعة أحيانا .

وكنت لا أتلهف من القاهرة إلا على الجريدة أقرؤها ، فاذا فات القطار ولم يحضرها الخادم أو لم أعثر عليها شعرت بنكد طول يومى . و وضعت همى فى الكتب التى أجدها وهى كتب الأزهر لأنك لا تجد فى بيوت الفلاحين «أناتول فرانس» أو «فولتير» .

والى هذا كله كنت أحمل البندقية أحيانا وأطلقها فى الحقل على هدف كنت قلما أصيبه ! ... وكان قلبى يخفق لمرور قطار العصر الراحل الى القاهرة . وكنت كلما شعرت بحنين الى العاصمة ألقيت فى النيل بعض (النكلات والقروش التعريفة) سلاما على مصر ! ... فيغوص الأولاد وراءها يجدون فى العثور عليها .

والآن وقد حرمتنا الأيام عيشة السذاجة والفطرة لا يسعنا إلا أن نشيد بها فهى عهد الصفاء الخالص . وطوبى لمن يحب الفلاحة و يعيش و يموت فلاحا بعيدا عن المدنية ! ...

الفنون والجنون

يقولون إن الجنون فنون، فهل الفنون جنون ؟! هذا هو السـؤال الذى كثيرا ما يتبادر الى الذهن عنـد ما يرى الإنسان بعض الفنانين يلبسون زرى اللباس زهدا وتقشفا. وفى أحوال كثيرة لا يكون الفقر حائلا دونهم ودون الهندام اللائق . فقد عرفنـا «مارى باشكر ستيف» الفنانة الروسية المشهورة تسـير فى باريس ، وان كان لا ينقصها المـال ولا الجمال، فى قميص الفنانين الأسود تربط زناره حول عنقها وتخب فى أكمامه .

وأمامنا الآن حياة فنان مشهور كان يضن بلوحاته أن تباع ولو مات جوعا، هو «هارولد فاراوى» مصوّر البحر الذى صوّر الموج، وصوّر الزبد، وصوّر النوء، وصوّر الخضم الفائر، وصوّر البحر فى روحه لا فى شكله . فهو لم يرسم الأمواج ولكن رسم سرها . كذلك يفعل الفنان النابغ . كذلك يفعل الموسيقى العظيم الذى يوقع على البيانو لا النوتة الموضوعة أمامه، ولكن ماوراءها

من نداء أو بكاء . فإذا جلس الموسيقار يضرب ألحانا تمثل ، فى نظر المؤلف ، هياج البحر ، فانه يسمعك هياج نفسه هو قبل هياج البحر . فاذا لم يكن ثائرا بطبعه ، أو اذا لم يكن محبا لفنه حبا يملك كل حواسه ويجعله يتقمص فى روح البحر نفسه وفى سر أمواجه وهياجه فإن الأنغام تصدر فاترة كأنها رذاذ المطر .

وهكذا كانت لوحات «فاراوى» الثلاث عن البحر من أروع ما تراه العيون . يقف أمامها الناقد ذاهلا إذا يشعر أنه بازاء قوة خارقة ، بازاء شيء ليس من هذا العالم ، يقف بازائها شاعرا بالخوف والرهبة والوجل كأنه أمام سر هائل محظور على البشر . ثم يتبع ذلك شعور مثير غامض كأنه عقيب مخدر قوى ، فاذا ما وجب التخلص — آخر الأمر — من هذا الإعجاب المضنى ومغادرة هذه العجائب المصوّرة بالألوان الزرقاء الخضراء ليعود المرء فيستأنف تكاليف الحياة ، يشعر بما لا حد له من الكآبة الخرساء .

ومع ذلك فإن هـذا الفنان قد رضخ لبيع لوحاته الثلاث النابغة عن البحر أمام عرض باهظ من أمريكى ثرى هاو عمل ما لا يعمـل للحصول عليها . وما أن سافرت لوحاته حتى راح

فريسة للهم والغم . ولم يره أحد أياما طوالا . سجن نفسه في غرفته لا يزور ولا يزار كأنه في حداد يأبى العزاء .

ثم جاء نبأ مؤلم عن غرق الباخرة «الباتروس» التي تحمل اللوحات، فحمله له أحد أصدقائه فلم يكد يصيبه من الحزن إلا ظل شاحب، وهمس كأنه يناجي نفسه : إن آلهة البحر قد استردت سرها لأنها لم ترد فضيحته على الجهال ! فهو عند ما كان يلاحظ البحر و يدرسه ليصوره قد كشف عن بعض خفاياه، وتعود على طبعه وسروره وغضبه، وأحبه وراح فغاص في أعماق الأمواج ولم يقنع بالطفو على سطحها . فهو طالب حقيقة . وهذه هي وظيفة الفنان المصور والموسيقي والكاتب الشاعر . وقد أدرك « فاراوي » القوة الهائلة تحت اللجة ، وفاجأ الارادة الكامنة في الموجة ، وعرف الناس القاطنين في الأمواه ، وسمع وفهم أصوات الشجي والحنان التي تتجاوب بها شواطئ البحر وحناياه ، وأصغى وأحب غناء بنات البحر وجنيات البحر ، وهيمن على روحه رب هذا كله، رب الأرض والسماء جميعا، فراح يجثو خاشعا

على الشاطئ تكاد عيناه من نور الله تعشى . وعكس في تصويره الأمواج لمحة من هذا النور الرباني ، أو لمحة من ظل النور ، كاللمحات التي نراها ونسمعها في أنغام «شوبان» . فكيف يحزن إذًا إذ استردت جنيات البحر سرها الغالي ؟ ! وكيف يبكي لوحاته الأرضية وقد اجتذبتها القوة التي أوحتها ؟ !

ولكن ! ... هذا الاستدراك الأبدي ، الأليم غالبا ، ولكن البحر لفظ صندوقا من الصناديق المغرقة وجدوا في خباياه اللوحات الثلاث لم تمس بأذى .

أما مصورنا الفنان فلم يتقبل هذا النبأ السار بارتياح بل وجم له في قنوط غريب ، وراح يكتب هذه السطور الأخيرة قبلما ينتحر : «زعموني مخبولا . وقد أصابوا فقد كنت مجنونا إذ زعمت أن رجلا فانيا مثلي يمكن أن يصور لمحة من النور الأعلى ، ولو أن عملي كان كاملا لاحتفظ به صاحب السر الأسمى ، ولكنه رده الي ، ولست أستطيع العيش بعد هذا الازدراء ... ! » .

كم قارئا سيفهم هذا ويحبوه ! ؟ قليلون جدا ... ولكنني أكتب أحيانا لشخص واحد ! .

*

الموسيقى

حضرت منذ يومين الحفلة الساهرة التى أقامها المعهد الملكى للموسيقى العربية . حقا ان الموسيقى نعمة من نعم الوجود . كيف يمكن أن يوجد فى هذه الدنيا أشرار، ظلمة، جبابرة، قساة، أنذال، جبناء، وفى الدنيا موسيقى ؟ !

عند ما كان السيد المهدى أو كان السنباطى يوقع على العود تساءلت أى فؤاد يخفق فى هذا العود، أى سر فيه وأى حنان ! ؟ انه يزيل وحشية الضارى ! . ان فى العود سلاما حارا لو عرفه «شكسبير» لذكره فى روايته «تهذيب الشريرة» . ان فى صدر العود قلب رجل، رجل يعانى ويألم ويحب ألمه ويراه جزأ من الرجولة ويعدّ العذاب قطعة من الحياة لا تنفصل عنها .

وعند ما وقع الأستاذ مصطفى رضا بك رئيس المعهد على « القانون » دب فى النفوس أمل خفى . وبدت الحياة غنية

غنى طائلا تستحق البحث فى جوانبها عن أسرار جديدة، كان التوقيع الفنى على أداة غنية، كفيلا بأن يغنى الشعور، أحسسنا لذة فى التمنى والرجاء من جديد . شعرنا بأن الأمل ليس بعيدا عن اليأس، وما دام هناك أمل فكيف نيأس ؟!

ونفخ عزيز صادق «بالناى» . هنيئا له هذا النبوغ، انه متواضع خجول كالناى ، الناى فيه حياء غريب ولكنه حياء فاتن، ان شكواه فى وحدته ، فى وحشته ، ذات لوعة مرة تضنى النفوس . ذكرتنى بجبران خليل جبران الذى قال :

هات لى الناى وغن فالغنا خير الصلاه
وأنين الناى يبقى بعد ما تفنى الحياه

نعم ان أنينه غريب ، أنين يحمل الإنسانية كلها معه على الأنين، أنين تتجاوب به أجواز الفضاء ولو كان همسا .

ومع ذلك فليس الناى كله حزنا . ان فيه فرحا ومرحا ، ان فيه الى جنب قلب الشيخ قلب الطفل . ان فيه هتافا بالحياة، هتافا نبيلا ليس جهيرا مبتذلا ، بل مكتما متغلغلا يدخل حنايا القلوب ويسكن فى الضلوع ! .

جزى الله المعهد الملكى للموسيقى العربيـة خيرا . انه أنقذ كرامتنا الفنية من جوانب كثيرة ولو أنه أبعد « الكمنجة » عن التخت العربى واستعاض عنهـا بالرباب لأحسن صـنعا لأن الموسيقى تكره التنافر بين الذوق العربى والغربى . والموسـيقى الصادقة تنكر توقيع الأغانى الشرقية على الأداة الافرنجية .

يستطيع الناس أن يجدوا عزاء وهناء فى الموسيقى . لأن الموسـيقى وحدها عالم قائم بنفسه ، معتد بنفسه ، يسـخر من هذا العالم .



اجتماعیات

*

المساواة

رأيت فى سينما ريجال لما كنت فى لندن رواية «ابن الآلهة»
وهو فتى صينى طائل الغنى واسع المعرفة، مهذب ظريف
يقود السيارة ويلعب الجولف . وقد لقى من تناقض الوسط
الذى حوله فى نيو يورك وشدّة تعصبه ضد الشعوب الملوّنة
ما حمله على هجر أمريكا الى أوربا . وهناك فى إحدى بلاد
فرنسا الجميلة التى يقصدها السياح، التقى بفتاة أمريكية متأنقة
بصحبة أبيها . فيتحابان ويخفى عنها أنه صينى، وليس فى مظهره
أو مخبره ما ينم عن شعب ابن السماء ، الى درجة أنها تهيم به
وتجن حبا وتبوح له ؛ فيؤمن لها على الحب وتصير خطيبته .
فيضجر أبوها الرجعى ويعنفها ويوقفها على حقيقة جنسه
قائلا لها : أما كفاك تعلقا بهذا الصينى ! وعندئذ تجرى كالمجنونة
الى (الكازينو) وهو حافل بعلية القوم وأغنيائهم وخطيبها
الى مائدة فى انتظارها وكان فى يدها سوطها الذى تقود به

حصانها فتنزل به على وجه ذلك الغنى الصينى الكريم . واحد! اثنان! ثلاثة! أربعة! خمسة! ستة! سبعة! ...

لقد عددتها والسوط يصفر فى آذاننا وهو يمزق وجهه من اليمين واليسار ووجنتاه تنضحان بالدماء وهى تصيح فيه : « أيها النذل! أيها الجبان! أيها الصينى الخسيس! . »

فسافر لساعته وعاد الى بلاده يخفى عاره وانكساره فى صدر أبيه المحتضر . أما هى فلم تلبث أن أخذتها اللوعة وجنت من وحشة الفراق ، وندامة الجرم الفظيع نحو رجل لا ذنب له ؛ فتنصرف الى الخمر تحسوها فيزداد بها الشجن والحنين حتى تصبح شبحا . ويذهب بها أبوها الى نيويورك يتوسل الى صاحبنا «ابن الآلهة» أن يقف الى جانب فراشها وهى فى غيبوبة الخطر، فقد كانت تلك هى آخر وسيلة لجأ اليها الطب لإنقاذها ، ففعل . وكان نبيلا . وتعرف هى بعد إبلالها أنه هو الذى أنقذها . فتأتى تترامى على قدميه، وتطلب الصفح عن كفرانها بالحب والحق ، وتقول : «مالى و لجنسك؟ أنت هو أنت يا حبيبى!» فيغفر .

أما أنا الشرقى الجالس فى مقعدى محزونا فما غفرت له غفرانه لأننى عند ما انهالت على وجهه تلك الضربات الممزقة من سوط الفتاة شعرت بأنها على وجه الشرق كله .

واليوم تدور الدائرة ويبدأ العدل يقيم ميزانه . فقد أدخل نائب السنغال وهو زنجى فى الوزارة الفرنسية . فيا له من درس جميل فى المساواة تضربه فرنسا لأوربا وأمريكا، والنفور من الشعوب الملونة ما زال فى كل مكان .

وهذا الحادث التاريخى الذى لم يسبق له مثيل قد أتاه رئيس الوزارة الجديدة «المسيو لافال»، وهو فى السابعة والأربعين من عمره، وهو ابن جزار، رأى أباه منذ نعومة أظفاره يضرب (بالساطور) والسكين ويقطع فعمل مثله فى السياسة . وبينا الزنوج حتى اليوم يشنقون فى أشجار الغابات بأمريكا ويجرون بالحبال وراء الخيول الجامحة ويمثل بهم بأكثر من ذلك . يجىء ابن الجزار ويشرك الزنجى معه فى حكم جمهورية فرنسا والملايين التابعة لها .

فلتهنأ الشعوب الشرقية والأجناس الملونة بهذا التقدير من الدولة التى حررت بثورتها أكثر العالم من قيوده السياسية والاجتماعية ، وهو مثل رائع وخطوة كبرى فى المساواة بين الناس .



*

زواج الطلبة بالأجنبيات

حسنة لمعالى وزير المعارف يجزى عليها الجزاء الأوفى بقدر ما تأخر الى اليوم تحقيقها، وهى تحريم الزواج على أعضاء البعثات العلمية فى الخارج .

فهذا درس جديد يعطيه الوزير لأبنائه الطلبة . وهو يريد به أكثر من تجنب المشاكل القضائيـة التى تنتج للوزارة عن مثل ذلك ، أن يقول لهم أنهم انما أرسلوا للعلم أوّلا وخدمة بلادهم فاذا ما حصنوا أنفسهم بما سافروا من أجله فهم أحرار.

ولم أشهد تخبطا فى الزواج بالأجنبيات مثـل تخبط الطلبة المصريين فى أوروبا . فان الطلبة يتزوّجون غالبا بنساء لسن فى العير ولا فى النفير بل هن نفاية النسـاء . خذ مثلا : أمة كالأمة الفرنسية ، شديدة الحرص على تقاليدها، وأستطيع أن أقول صراحة إنها شديدة الكراهية للأجانب إطلاقا . فكيف يتيسر لطالب مصرى أن يختلط بأسرة كريمة حقا إلا فيما ندر؟ !

إذًا فطالبنا يتزوج من فتاة (على فرعها) ... جريئة مغامرة من ذلك الجنس الذى يقبض على الرجل فلا يفلته لا حيا ولا ميتا !

كنا يوما فى الحى اللاتينى فى باريس نتحدث فى ظلال « البانتيون » مقر العظماء الراحلين، فأقبل علينا فتى مصرى فى الثانية والعشرين من عمره، جميل الطلعة وجيه البزة، وكانت هذه هى المرة الأولى التى رأيناه فيها ، فقدموه الينا باسمه، وقدموا فتاة تصحبه باسمه أيضا لأنها « مدامته » بالميم لا بالنون ! ...

حقا انى وأصحابى دهشنا . لأنه يصعب على الإنسان أن يتصور كيف اختار هذا الفتى زوجته : بل كيف فكر هذا الصغير فى الزواج . ! لأنها فى نظرى آخر فتاة يجوز للإنسان أن يكلمها فكيف يتزوجها ! قصيرة حتى لتكاد إذا خاطبتها تشرف عليها، ضئيلة حتى لا تكاد تتبينها ، ليس فى لبسها ذوق ولا أناقة . وهذا فى باريس فضيحة، لأن باريس تربى الذوق وتمنحه الذين حرموه .

تكلمت... ! انها تجر كلامها جرا كأنه عربة نقل خاوية ! .
ليس فى صوتها نعومة أو حنان . وماذا قالت ؟ شيئا تافها أتفه من ورقة الترام التى تبقى فى جيبك بعد النزول ! ...

وآخر من يجوز له الزواج هم الطلبة الذين لم يضعوا بعد حجرا واحدا فى مستقبلهم وحياتهم المادية . هؤلاء الذين يدرسون فى انتظار ما يأتيهم به الغد . فأما أن يربطوا حياة خلائق أخرى بحياتهم ، خلائق قلما تأتلف مع الوسط الذى نعيش فيه، فأقل ما يوصف به هذا التصرف من جانبهم أنه تسرع وطيش .

فالحدّ الذى يضعه اليوم وزير المعارف ضرورى جدا ليقف مبعوثى الحكومة المصرية عند حدّهم اذا تركوا حبل أنفسهم فى الهوى على غاربه . وعندما يخرجون الى ميدان الحياة سيكون لديهم الوقت والعقل والمال للاختيار . أما قبل ذلك فهذا كله ينقصهم .

*

غرام التلميذ

تلميذ فى المدارس الثانوية أحب تلميذة تدله فى حبها ، فزجره أبوه فلم يزدجر ، فأبى أن يدفع له مصاريف المدرسة فرفت . وفى تلك الأثناء نالت التلميذة شهادة كفاءة المعلمات فقطعت صلتها به وصرمت عهوده وهى التى كتبت له يوما على صورتها : « وسواك فى خاطرى لا يخطر » .

والآن تسألنى رأيى ؟ أقول لك صراحة يا بنى : إن أباك قد أصاب بالتخلى عنك ، وإن حبيبتك قد أزكت رأى أبيك فيك بهجرها إياك .

ففى الوقت الذى مازلت فيه غير قادر على كسب (نكلة) وأبوك يصرف عليك من عرق جبينه ويكد ليطعمك ويكسوك ويعلمك ويسعدك ، أخذت أنت نفسك بالعبث والغزل وأغريت قلبك بحب بنت لم تطلع ولم تنزل ، وجعلت تهمل حفظ دروسك لتدبج لها الرسائل الغرامية ، وتستشير فى ذلك « ماجدولين »

وتتخيل نفسك «استيفن» تارة وتارة «روميو» ! . وطفقت تتأخر في الصباح عن مدرستك لتوصلها الى مدرستها، وتخف عصرا اليها لتودعها فى إيابها . وجعلت تطلب بنفسك لنفسك تباريح الهوى والجوى والضنى. وكان السالب والموجب من كهرباء هذا الحب منك وفيك وحدك! .

لقد كانت عابئة بك . وأكلت (الشوكولاته) التى حرمت نفسك مصروفك اليومى لتشتريها لها وهى ساخرة بهديتك الضئيلة . ولعلك تطفلت كثيرا من وراء أبيك على السيدة والدتك لتجمع لها القروش لتشترى زجاجة عطر ... ولو « ماء القسيس» بسبعة قروش، وتذهب بها مرة فى الحين بعد الحين الى (سينما أوليمبيا) أو (المنظر الجميل)! كل هذا لأنها تنظر اليك يابنى وتخفض من بصرها كأنها الخجول من نظراتك . أو لأنها ترد على رسائلك بأحسن منها .

أجل ! . إننى هكذا أتخيل هذا الحب العظيم الذى تريد أن توهمنى به فى رسالتك . وليس أدل على أن هذا الحب كان عبثا كله من أنه شاع وذاع وملأ الأسماع حتى عرفه أبوك

ثم فُصلت من المدرسة بسببه، ولست تعرف الآن يا بنى وأنت فى سن العشرين ما كلف ذاك أباك وأمك من الحزن والأسى، لأنك الآن كما يقول « الفونس دوديه » فى السن التى تلمع فيها العيون ولا ترى شيئا. ولكنك ستدرك ذلك كله حتما يوما ما.

والآن أرأيت كيف نجحت البنت حيث فشلت، وكيف وقفت هى حيث أخفقت، ووصلت الى شهادتها وأنت يابطل الغرام فى أوّل الطريق وقفت وتخلفت.

نالت كفاءة المعلمات، بعد ما نلت كفاءة الغراميات، ولم تعد تجدك كفئا لها ! ؟

كيف تدهش لخيانتها، ومتى كانت صادقة ؟ ! إنها الآن قد ارتفعت قليلا بتلك الشهادة الصغيرة وصارت لها مطالب أكثر وحاجات أوفر، وفرص أسنح، وأنت اليوم صفر اليدين من كل شىء حتى من كرامة التلمذة وطلب العلم ! . وهى لهذا انصرفت عنك الى سواك. وإنا لنأسف على ما أصابك، وهذا درس نضربه لتلك الناشئة المتطلعة الى حياة موفورة حتى يشغلوا بما هو أنفع لهم وأجدى عليهم ويترفعوا عن الجرى وراء الطائشات العابثات.

*

الطيش

نسمع من الشيوخ والعجائز، نحن الذين ما زلنا ننتسب الى الشباب، إن حقا وإن باطلا، أن بعض العمد وأغنياء الريف فى الزمن الغابر عند ما كانوا يقدمون الى القاهرة تبهرهم الكهرباء والترام وحنفيات الماء؛ وتبهرهم أولئك المغنيات اللواتى كن فى الالدرادو والهمبرا وحوالى دار التمثيل العربى ... أولئك المغنيات الراقصات السمينات سمنة فاحشة لا يمكن أن يتم معها رقص ولا غناء بالمعنى الذى نفهمه الآن ونتذوقه .

ونسمع عما كان يأتيه بعض هؤلاء العمد الريفيين الأغنياء الساذجين من ضروب التهور وشرب الخمر والإسراف ... فعند كل لفتة أو إشارة تفتح زجاجة شمبانيا، هى شمبانيا بالاسم فقط، لأنه لا المغنية ولا العمدة يعرفان ما الشمبانيا ولا ما طعمها . و يملئون للمرأة السمينة وهى على المسرح الحقير المزين بالبطيخ الزجاجى الأحمر والأصفر والنجف والشموع والبيارق ،

يملأون لهـا كأسا وتعود الزجاجة كما هى بعد أن تبل شـفتيها من تلك الكأس وتحنى له رأسها إحناء خفيفا جدا ... ...



(ياسِيدى !) وفى الزجاجة الثـانية تحنيها له أكثر وفى الثالثة تصحب التحية بابتسامة تنفرج فيها شفتاها عن أسنان صفراء قذرة كأسنان البقر .

ويعرض غالبـا لذلك الساذج مزاحم أشدّ منه سـذاجة وأكثر مالا ، فيرسل اليها بدل الزجاجة ثلاثا أو ستا دفعة واحدة تذوق من واحدة منهـا كأسا كالعادة وترد الباقى ... (ويصـفق المطيَّب : يعيش الجدع !) .

بل قد حدث ، وهـذا آخر وأروع ما رواه لنا شـيوخنا وعجائزنا الذين كانوا خيرا وبركة ، أن أحد العمد كان معـه مبلغ كبير فأراد أن يضرب الرقم القياسى فى زجاجات الكونياك فأمر فعملوا للمغنية الراقصة سـلما من صناديقها الخشبية نزلت عليها حتى وصلت الى منضدته فجلست معه بين تصفيق الحمق والمعجبين والسـاخرين ... ودفع حضرته ، أو ضرب وساقوه الى القسم .

نسمع هذا كله فنعجب ونراه ضربا من ضروب السذاجة القروية ، ونوعا من التذمر من حياة الريف والشعور بالرغبة

فى الانطلاق عند الوصول الى المدينة . ونحمد الله على أن الأيام قد دارت دورتها وجاء عسر بعد يسر نبه الناس الى نواحى من الخير واللهو أسعد من تلك الناحية التى لم يكن فيها من اللهو والخير شىء .

ولكن تصوّروا أنه ما زال بيننا أولاد أغنياء يرثون أموالا طائلة فيضيعونها بين يوم وليلة ، وتصوّروا أن هؤلاء الشبان الأغنياء متعلمون نجباء ، فليسوا من أولئك السذج الريفيين فى الزمن الخالى ، وتصوّروا أنهم يرهنون من أجل ممثلة أجنبية أو عجفاء غربية كذا مائة فدان بكذا ألف جنيه ، أو يستدينون كذا وكذا بربح كذا فى المئة !

ان جميع أهل القاهرة اليوم يعرفون هذه الحكايات ويضحكون على أصحابها الذين ستوقظهم من غفلتهم الحاجة والبؤس ، وسيصبح خدمهم أسيادهم ، فليسوا بأفضل من فلاحى الأمس فى الهمبرا والألدرادو ، والتاريخ يعيد نفسه دائما بشكل آخر !

*

كرامة العامل

منذ نحو ثمانية أشهر كنت أقص شعرى فى (صالون) بشارع فؤاد الأول، ولم يكن قد مضى على عودتى من أوربا شهران. وكنت ما زلت متقلا بما رأيته من رفاهية يرتع فيها العامل الانجليزى . وكنت وأنا جالس مستسلم الى حلاقة الشعر المملة، التى هى أثقل على القلب من السير فى جنازة رجل بخيل، تتوالى أمام ناظرى تلك الصور البهيجة لحياة العامل الانجليزى فى ضواحى لندن، وأقول فى نفسى وأنا أفكر فى العامل المصرى : هيهات ! ...

واذا الشاب الذى يحلق للزبون الذى الى جانبى غاضب، لأن الزبون كان يكلمه فرد عليه طبعا، ولكن صاحب المحل جاء فهمس فى أذن عامله كلمة عدها هذا العامل تعنيفا فى غير محله وثار عليه . ولم أشهد مطلقا مثل هذه الثورة إلا فى باريس حيث الطبع الفوار الجامح يشبه الطبع المصرى من كل الوجوه؛

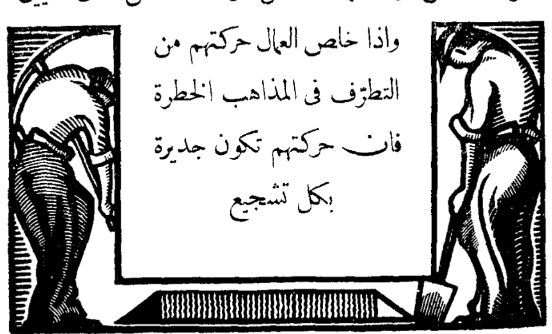
وحيث آراء الاشتراكيـة والمساواة تملأ النفوس . وكانت لغة ذلك العامل المصرى سليمة الى حدّ موجب للدّهشـة ، وكان منطقه رائعا كما لو كان قانونيا بارعا ،وكان قوىّ الاعتزاز بالذات يأبى على صاحب المحل التـدخل بينه وبين الزبون ، وأنه إذا خوطب له حق الردّ ، وأنه ليس بالحيوان الأعجم . ولم يذكر فى هذا كله كلمة جارحة ،ومع ذلك كانت كلماته كأنها السياط .

وعندئذ شـعرت بأننى انتقلت الى المستقبل عشرين عاما فى غمضة عين؛ فباركت الساعة التى حضرت فيهـا للحلاقة ... وبعـد ذلك جاءنى يوما ذلك العامل نفسـه مع زميل له طلبا لكلمات تشجيع لنهضتهم المباركة . وكتبت لهم كلمة . ولم أذكر له هذا الحديث لأننى كنت أدّخره لأذكره يوما لقرّاء (الأهرام) . وإننى أذكره لأننى رأيت صورة ذلك العامل الكـريم أمس فى الأهرام ، فهو « أحمـد المصرى » وكيل الهيئـة التنفيذية لحزب العمال المصرى .

فالعامل المصرى قد بدأ يتنبه للوجود ، وقد ارتفع ميزان كرامته ، وقد جعل يعتدّ بنفسه ومهنته مهما كانت ــ فان كل

عمل شريف ــ وقد أخذ يضع قدمه بثبات على الأرض موقنا بأن له الحق فى ذلك ، وأنه عند ما يطالب بتحسين حاله ورعاية الدولة لحقوقه ليس مبالغا و إنما هو فى دائرة المعقول ، وهو أيضا قد تنبــه الى أنه لا يجوز أن يكون آلة فى يد الحكومة أو على الحكومة ، وعند ما تصبح تلك عقيدة عنده و يأبى أن يستغل باليمين والشمال لأهواء السياسة سيصل الى ما يطمح إليــه من احترام جميع طبقات البلاد .

وكل ما نطمع فيــه ونتمناه أن يفصل العمال عن السياسة ، فيكون لكل عامل الحق فى اعتناق ما يشاؤه من المذاهب السياسية ، ولكن ليحرص على أن يكون عاملا قبل كل شيء . وسوف تستغل حركة العمال ، ككل حركة نافعة ، من أناس نفعيين .



لا إســـراف !

« الســـلام عليكم ورحمة الله . وبعد : أريد سرد حكايتى عليك ولكنها طويلة ، وتتلخص فى أننى من عائلة شريفة معروفة ، ولكننى متزوجة من منذ اثنى عشر عاما وتعبى جدا مع قرينى ، وأريد التخلص منـــه بأى كيفية مع أننى ولدت له فتى سنه عشر سنوات ... ومات منى ولد آخر ، وعنـــدى فتاة فى نحو الخامسة من عمرها . فما رأيكم يا نصير الفتيات والســيدات التعسات ؟ هل أشكو الى الله أمرى أم اليكم تنشرونه فى الأهرام ولكم منى مزيد الشكر .

مع هذا إذن بوستة بعشرين قرشا للنكوب الشيخ الفانى والد شهيد المروءة أحمد عبد البســلام وهذا الريال من مصروفى الخاص ادخرته هو وآخر للتعوسين والمعوزين لأننى شاعرة بمرارة فى حياتى فما بال الفقراء ! » . سيدة



أما شكواك يا سيدتى الينا فنحن نتقبلها لأن وظيفتنا هى أن نأسو الجراح ونضطهد القتلة .

ولكن رجاء اليك أن تكونى منصفة صادقة ، فلا تحملى زوجك الأوزار كلها . اعرفى أيضا عيوبك وراجعى بدقة وذمة وأمانة

تاريخ الشقاق وأسبابه ، وهل بدأ من جانبك أو جانبه، وهل لم تكن هناك وسيلة لتلافيه .

إن كلمة الفراق ياسيدتى، التى ترادفها عندنا كلمة الطلاق، هى كلمة بشعة فظيعة جدا، تهتز من هولها الأرض والسماء. إن الأم عند ما تخرج من بيتها ومعها أولادها أوليسوا معها هو يوم تلبس فيه الانسانية ثوب الحداد . فلا تستهينى يا سيدتى به، وصبرا جميلا، واذكرى دائما أن الدنيا لم تعوّدنا الصفاء. وأنها اذا منحتنا من دهرنا ساعة سعادة حرمتنا إياها بعد ذلك الليالى والأيام...

وما أسهل يا سيدتى ما يعمل الإنسان على تكوين حزنه وألمه وسآمته وضجره! ما أسهل ما تتصوّر المرأة خيانة زوجها اذا غاب عن موعده مثلا ! فقد أوتيت المرأة خيالا قويا تتوالى عليه اللوحات السريعة سرعة المناظر السينمائية؛ والمرأة الحريصة على سعادتها لا تستسلم الى الخيال، ولا تجعل من الحبة قبة، وتكون دائما هى المرأة الحنون، تنظر الى الرجل على أنه مخلوق ضعيف فى حاجة دائما الى العطف والصفح والحب ، فلا تدّخر فى ذلك عطفا أو صفحا أو حبا .

و يوجد يا سيدتى فى كل رجل الطفل وفى كل امرأة الأم. ونحن الرجال بحاجة أحيانا الى من يدللنا ومن يمسح رؤوسنا بأصابع الحنان، ومن هو أولى من الزوجة بهذا! وهى التى تتسلم الرجل من أمه وتتولى بعدها تدليله ومعاشرته .

ان الشقاء يتطاير ياسيدتى فى كل مكان ، ومن كل نظرة، ومن كل كلمة . فتجنبى ياسيدتى المكان الذى تسمعين فيه قيل وقال ، وتجنبى ياسيدتى النظرات الخائنة من النساء والرجال، واعلمى أنه لا يوجد فى الدنيا أشرف من أن نبدد السآمة والحزن عن نفوس من نحبهم، وليس فى الدنيا أنبل من تقديس البيت والحرص على أن تكون الأسرة كالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

والآن تكلمى ياسيدتى . وفى هذا الجو الذى حاولت أن أحيطك به أرجو أن تتفضلى اذا شئت ببث شكواك .

*

*

فى الحيـــاة الزوجيـــة

« لا أعرف قط أنه نشأ بينى و بين زو جى خلاف جدّى ، وأعرف أنه لا تناقض فى المزاج بينى و بينه يصح أن يكون سببا فى الخلاف ، وكل الظواهر تدل على أننا أليق ما يكون أحدنا للآخر .

هذه هى وقائع المسألة : اقترنا منذ سنوات عديدة ، لذلك قد وصلنا الى النقطة التى يتحوّل فيها الحب بالمشاعر ، دون أن نشعر ، الى حب هادئ عميق ؛ ذلك الحب الذى يتولد عن اشتراكنا فى السراء والضراء ، وعن اطلاع كل منا على نفسية الآخر .

ومن المحقق أن هذا التغيير الأساسى فى طبيعة الحب بين الزوجين يحدث بالتـدريج و يبطء ، و بدون أن يحاول أحدهما المحافظة على ظواهر الحب التى كانت بادية فى أوائل حياتهما الزوجية .

ولكن زو جى المحترم لا يطيق أن يحتمل بهدوء أى تفكير فى هذا التغيير لامناص منه ، فهو يجاهد فى ابقاء « الرواية » التى لا بد من انتهائها ؛ بل يريد أن يحل مكانها رواية حب أقوى من الأول ، وهو قوى الرغبة أن يدمج حبيبته فى زوجتـــه .

الواقع إنه يريد أن يجعل فترة الغزل والتحبب ممتدّة طول الحياة الزوجية ،

وما لذلك من نتيجة إلا أنه كدر صفاء سعادته وسعادتى . إنه لا يزال يحبنى بالمعنى الأولى من الحب ، وأنا من جهة أخرى لم أعد أشعر بنيران الحب متأججة بين ضلوعى ، ولو أنه لا يزال حائزا لكل ما يحوزه الزوج فى قلب زوجته ، ولذلك أرفض رغبته وأرفض أن يستمر على البقاء فى مركز المحب أو العاشق لى ، فقد خرجنا من دور عاشقين الى دور زوجين .

ولى أن أقول ، ويوافقنى كثيرون : إن سعادة إظهار الحب – بطبيعتها – لا يمكن أن تدوم إلا زمنا معينا ، وان محاولة اطالة هذا الزمن ليس من ورائه إلا إحراق القلب بغير ضرورة

من هذا ترانا مندفعين الى الصخور التى تحطم عليها سفن الزوجية لأسباب ، على ما يلوح لأول وهلة ، غير مقبولة شكلا وموضوعا .

فما رأيك أنت ياقاضى ... ؟ زوجة

من خريجات المعلمات السنية



رأى القاضي يا سيدتى يقضى بأنك لا تحبين زوجك كفاء حبه . وكنت أتمنى أن يكون الحال على عكس ما هو بينك وبينه ، أى أن تكونى أنت لا العاشقة المفتونة المتهورة ، ولكن الزوجة المحبة الحنون التى تجدد كل يوم ضروبا من الود

وألوانا من العطف، لأن هذه هى وظيفة المرأة، ذلك المخلوق النورانى، الرقيق الإحساس، الحاد الشعور، الذى ما وجد على هذه الأرض إلا رحمة بنا ، ليزيل ما بنفوسنا من كآبة الأيام، ومرارة العيش، ويملأ علينا فراغ الحياة ...

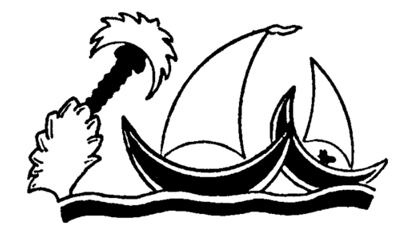
أتريدين ياسيدتى أن ينظر اليك زوجك باعتبارك الزوجة دون الحبيبة ؟! باعتبارك ربة البيت التى تطهى وتكوى وتربى الأولاد وتستقبل وتزور وحسب ؟ ! أتريدين ياسيدتى ستارا من الملل يسدل بينك وبينه بدلا من أن يدخل عليك كل يوم بالزهور والحلوى والعطور ... والبسمات ... والقبلات ؟ !

إن من سيئات الزواج الشرقى عندنا أنه يطفئ تلك الجذوة المقدّسة، فلا تلبث بعد العام الأوّل أن يصبح الزوج فى ناحية والزوجة فى ناحية ، كأنهما أصبحا يجتمعان على كره منهما تحت سقف واحد، ولم تعد تربطهما إلا ظروف المعيشة المادية .

والمألوف ياسيدتى أن يبدأ حب المرأة عند ما ينتهى حب الرجل ، وهكذا نراك زاهدة نوعا ما لأن حب زوجك لم ينتـه بعد، وإنى أخشى عليك وعليه هذا الزهد .

انى ياسيدتى نصير الحب فى كل لحظة من لحظات الحياة، الى آخر رمق فى الحياة، إننى نصير الزواج الذى أساسه الحب. و بقاء الزواج ما بقى الحب .

أسَرْعان ماشاخ قلبك وأنت فى نضارة الصبا ؟ ! ألا فاحرصى ياسيدتى على هـذا الحب القوى الصادق المتجدد الذى لايمل ولا يتثاءب، لأنه مازال فى عنفوانه، وهو دليل حيوية وطبيعة غنية ... وغداً ... غداً لاتلبث أن تأتى أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة، وأمامنا فيها مجال أى مجال للفتور والرزانة والتعقل . وعندئذ بالله صدّقينى، نعود فنعيش على ذكريات الشباب .



*

فى الحيـاة الزوجيـــة

« قرأت أنشودة الزوجة التى يحبها زوجها حبا مبرحا ، وهى تريد إنهاء رواية الحب بسرعة . فها نحن نشهد عكس النظرية ، فبعد أن كان السر فى فشل كثير من الزيجات هو قلة الحب المتبادل بين الزوجين أصبحت المسألة الآن زيادة الحب عن القدر المناسب .

الزوج معذور اذا فاضت ينابيع قلبه المضنى ، فهو لا ذنب له ، ولا تستطيع قوة أن تطفئ شـعلة حبه ، لكن الزوجة أيضا قد تعذر اذا هى خافت على نفسها أن تغرق فى هذا الطوفان ، فهى تعيش على الأرض لا فى السماء ، وللمنزل مطالبه وللحياة تكاليفها ، وللزوجة نفسها واجبات عليها تأديتها له ، واذا انصرف الاثنان الى هوى عذرى وطارا مع الملائكة الى سماء الحب ، فمن للمنزل يعنى بشؤونه؟

الاعتدال فى هذه المسألة الحساسة أمر ضرورى ، ولا أقصد بالاعتدال إلا الحب العاقل الهادئ الذى لا يصــل الى درجة التتيم . والظاهر أن حياة الركود التى انتابت الشرق هى المسئولة عن هــذه الأمور ، فانّ تفرغ الزوج لأن يلهو بزوجته ، على أنها دمية جميلة محببة الى قلبه فيصبح ولا شاغل له سواها ، أمر قد يدعو الى إتلافها . فالطفل عند ما يحب قطته يأخذ فى (شيلها وورزعها) وعضها حتى تكره الحياة ؛ وما هكذا يجب أن تكون الزوجة الحبيبة .

وليس هناك خير من التغيير فى المعيشة : سياحة مثلا الى جهــة أخرى ، رياضــة فى الخلاء ، التلهى بعمل يشــغل الزوجين معا كتعلم العــزف على آلة موسيقية أو أى شىء آخر يشغلهما قليلا عن « كيو بيد » ، ويمنعه من أن يفوّق سهامه الذهبية الى قلبيهما .

والواقع أننا فى مصر مساكين : زواج من غير حب دائما لا ينفــع ، وزواج بحب يخشى عليه من الفشل . والأمر لله » .

« مغــــرم »

وهــذا رأى آخر جدير بالاعتبار ، فانه يفتــح بابا جديدا أمام الزوجين ليحول دون الاحتكاك المباشر المستمر الذى يلح فيه الزوج وتزهد فيه الزوجة . يحول دون ما يسميه الفرنسيون «Tête-â-tête» أى المسارّة ووضع الرأس فى الرأس والأنف فى الأنف ...

شىء إذًا من الرياضة البدنية كلعبة «التنيس» أو السباحة أو الموســيقى يدخل ألوانا بهيجة أخرى على الحياة الزوجيــة ولا ريب .

ولكن لا بد لذلك من التعود والتدرّج ، وأعتقد أن الاشتراك فى أحد الأندية الرياضية من زوجين شىء لم نتعوّده بعد وننظر

اليه باعتباره خروجا على التقاليد فى حين أنه أنفع وأجدى لصحة العقل والبدن من الزيارات والاستقبالات الطائشة التى تجرى عادة بين السيدات عندنا ، وهى وخيمة العواقب ماديا وأدبيا .



*

*

فى الحيـــاة الزوجيـــة

« القرّاء يدعونك يا سيدى بالقاضى ، وأنا أعرفك باحثا نفسيا قبـل أن تكون قاضيا يرتبط بالقوانين .

إنى متقدّمة فى السن ، وقد تستغرب هـذا التصريح من امرأة . ولكنه شعور بدأ عندى من سن الأربعين ، شـعور كان زوجى يغذيه بالنفور والسخط حتى أصبحت أنا — دون سائر النساء — أرى حقيقة سنى كبيرة ، بل مجسمة ، لا بل أكبر مما هى بكثير .

موقفى هو عكس موقف السيدة التى جاءت تشكو اليك زوجها لأنه يريد أن يجعل منهـا زوجة وحبيبة معا . أما أنا فأشكو اليك أن زوجى قد أصبح لا يبادلنى الحب لأننا أصبحنا عجائز ، أستغفر الله ، بل هو يحبنى ولكنه لا يبادلنى ذلك الحب القوى الشاب الذى كنت أراه منه حين كنت صبية ، والذى لا زلت أحرص عليه رغم أنى متقدّمة فى السن .

قرأت كلمتك اليـوم فى «الأهرام» الذى يحضره زوجى معه كل يوم ، وكنت أود أن أستيقن أن زوجى قـد قرأها . تأثرت بها رغم كبرى ، وأرجو أن تكون الزوجة الشابة قد تأثرت بهـا هى أيضا . وقـد بكيت بدموع غزار حين وقفت على العبارة الآتية فى مقالك :

« ... وغدا ... غدا لا تلبث أن تأتى أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة ، وأمامنا فيها مجال وأى مجال للفتور ... » .

أنا كبيرة السن . والأستاذ الصاوى ، الذى هو سلوتى هــذه الأيام بمـا يطالعنى به فى «الأهرام» ، يعترف مع زوجى بأن كبير السن لا حق له فى المتعة ولا خير له فى الحياة . ولكنى لا أعترف إلا أن الحياة هى شـباب النفس . أما غضون الشيخوخة فماء الشباب يرويها ، والحب يملؤها ، والحياة تمرح فيها ، فاذا بها قد اسـتلانت واشتدت . ولا أرى للانسان غير حياة وموت : حياة يحيا فى ظلها الشباب والحب ، ويمتع بشبابها الشاب والعجوز ؛ وموت يطوى فى قبره الشاب الى جانب الهرم لا يفرق بينهما . وإذا كان الموت لا يفرق بين الصغير والكبير ، فكيف تطالبون الحياة بأن تبخس العجوز حقها على حين يتمرغ الشاب فى متاع تلك الحياة ؟

ترى ماذا يكون تعليقك على رسالتى ياسيدى ؟ ! آه ... أترانى أهذى أم أحلم ؟ ! أيكون نصيبها خيرا من سلة المهملات ؟ ! . هكذا تقابل الشيخوخة ! ... اذا كان زوجى الشـيخ لا يعطف على شيخوختى ، فهل أجد هــذا العطف فى شاب يحب أن يتحدّث عن الشباب للشباب ؟ عجوز عطشى



إننى أعترض مبــدئيا يا سيدتى على وصفك نفسك بأنك

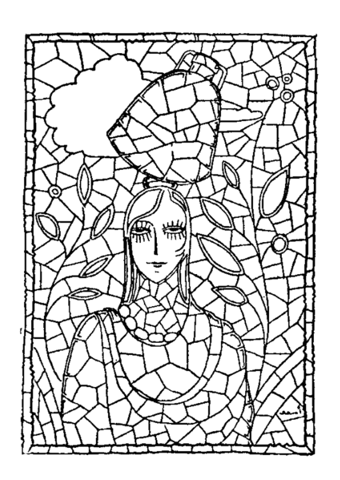
عجوز . فالمرأة لم تعوّدنا المبالغــة فى سنها ، والشابة تعدّ نفسها عجوزا، كما أن العجوز تعدّ نفسها دائما فى ربيع العمر .

وأنا أفهم اعتراضك وأتقبله متسائلا : أيعرف الشباب حقا ما هو الحب الى جنب ما يعرفه الشيوخ ؟ ! ما أكثر مايكون حب الشباب عبثا ولهوا ولعبا بالنار ! ما أكثر ما يكون حب الشباب من هواجسه وأحلامه ! يكون من نفسه لنفسه السالب والموجب معا . وقــد عرض لهــذا الموضوع الكاتب اللبق «بول چيرالدى» فى رواية « الحب » عند ما قال : « إن الفتاة فى سن العشرين لا تعرف ما هو الحب ، وإن هــذه العاطفة المقدّسة لايمكن أن توصف هذا الوصف إلا عند مايتم تكوين عقل المرأة وجسمها ، أى فى نحو الثلاثين » .

فاذا كنت أنت يا سـيدتى محبة بكل معانى الحب فأنت عند وظيفة المرأة، تؤيدين ما خلقت له ، ويجب أن تحمدى الله على أى حال لأن زوجك يحبك ، وإن كان بداهة وهو فى الخمسين غيره وهو فى العشرين . حبه الآن هو حب الطمأنينة الساخرة من اضطراب الشــباب وانفعاله ، وهيجته ولوعتــه ، وفورته

وغيرته ، حب رزين منسجم صادق مستمر ، مع ذلك يخطر ببال صاحبه فى الحين بعد الحين قول شاعرنا :

أواه لو عــرف الشــبا ... ب وآه لو قدر المشيب



*

*

زواج الصـــغرى

الى أى حدّ يجوز للوالد أن يحول دون زواج ابنتــه لأن أختها التى أكبر منها بعامين أو ثلاثة لم تتزوّج بعد ؟

هذا سؤال يختلف الجواب عليه اختلافا كبيرا ، وقد وجهته الى الكثيرين قبل أن أثير هذه المسألة التى هى مع ذلك ليست عويصة الى هذا الحدّ .

لى صديق طبيب شاب من أسرة شريفة معروفة ، أحب فتاة ليست أعلى منه حسبا ولا أكثر مالا ، وتربطه بأسرتها روابط صداقة قوية . تمنى أبوها لو تزوّج الصديق الطبيب من ابنته الكبرى ، ولكنه أبى كل الأباء أن يزوّجه من الصغرى ، التى يميل فعلا اليهـا ، بحجة أن فى ذلك مهانة لا يرضاها للكبرى ؛ مع أن الفارق بينهما فى السن لا يتجاوز ثلاث سنوات . وكانت النتيجة سـيئة على الجانبين ، فلا الكبرى ولا الصـغرى تزوّجت منذ عامين الى الآن ، ولا ينتظر أن يتزوّجا فى وقت

قريب لأن إقبال الشبان على الزواج ضعيف جدا لعوامل عديدة سبق أن تعرّضنا لها، ولا حاجة الى إثارتها من جديد . ثم إن صديق هــذا الذى كان مثالا للشبان ولم يشرب الخمر فى حياته قــد شربها بعد تلك الصــدمة المؤلمة، وللخمر ماوراءها . وقد حاولت عبثا أن أعزيه فكان لا ينفعــهُ العزاء . فانظــر إذن الى أى حدّ تكون التقاليد وبالا على أسرتين وتكون حائلا دون تشييد بيوت كريمة تقوم على الحب الطاهر والتفاهم الشامل، لأن صلة الأسرتين كانت ولا تزال متينة لم تفصم عراها هذه الصدمة وإن كانت قد مزقت قلبين .

فهذا الوالد المتعصب إنما يسىء الى ابنتــه الصغرى إساءة لامحل لها، لأنه يحرمها رزقا حلالا ساقه الله اليها وليس بالرزق الضئيل . لأن طبيبا يربح خمسين جنيها فى الشهر، ولمــا يمض على تخرجه فى كلية الطب عامان، له مستقبل بسّام بغير نزاع .

وأمامنا حوادث عديدة تدل على أن كثيرات من الفتيات قــد عشن عوانس فاتتهن سن الزواج وحرمن الى الأبد الحنان

والحب والأمومة بسبب هذا التعصب لتقاليد ليس لهـا وزن ولا قيمة أمام العقل السليم .

مثل هـذا الوالد إذًا مخطئ مسىء، لأنه يغتصب سعادة فتاته باسم أختها دون أن يكون له أو لأختها الحق فى هـذا الاغتصاب . فهو آثم إذًا فى حق الأبوة ، وفى حق المجتمع ، وفى حق الفضيلة . .



..

خذوا عن السودان !

وقف صديقنا الكاتب المحبوب الأستاذ فكرى أباظه المحامى يحاضرنا فى الجامعة الأمريكية عن مشكلة الزواج فقال: إنه مضرب عن الزواج لأنه رُفض أربع مرات . أول مرة أراد أهلها «جاردن سيتى أو هليوبوليس» لا الزقازيق محل عمله . والمرة الثانية أرادوه قاضيا موظفا لا محاميا حرا . والمرة الثالثة أرادوا أن تدخل الفتاة لصغر سنها عند أهلها لا عنده وحده . والمرة الرابعة، وهى بيت القصيد وفضيحة للأخلاق العامة، أنه اتفق على كل شىء وتحدد (كتب الكتاب وتعلية الجواب) فما شعر إلا وقد جاءته قبل الموعد بأسبوع دعوة لعقد زواجها من شاب أغنى منه !

ففكرى أباظه الذى يكتب بهذا الأسلوب العذب، و يتكلم بهذا اللسان الفصيح ، وهو أخف الناس روحا ، ومن أشرف العائلات المصرية العريقة، وهو حائز لشهادة عليا، ويتولى

عملا نبيلا يدر عليه خيرا كثيرا ، وهو بعد هذا كله رجل كامل الرجولة ، يتفق معه على كل شيء ثم يخان عهده من أجل عشرة أو عشرين جنيها فى الشهر ، ومن أجل مائة جنيه زيادة فى المهر . يا للعار !

ولسنا فى هذا الصدد بحاجة الى ضرب الأمثال للناس من الغرب دائما ، فما زال الشرق بحمد الله مصدر الحكمة والنور . واليوم تتلقى مصر عن السودان درسا بليغا جدا ، فإن عينا من أكبر أعيانه ، وسيدا من أشرف ساداته ، وغنيا من أعظم أغنيائه هو السيد عبد الرحمن المهدى قد احتفل فى ٢٥ نوفمبر بعقد قران نجله السيد الصديق افندى الطالب « بكلية غردون » . وقد رغب سيادته فى تجديد سنة النبي صلى الله عليه وسلم فى تسهيل الزواج بتقليل قيمة الصداق ، فمهر عروس ولده ، وهى ابنة شقيقه ، بجنيهين (٢٠٠ قرش ! !) تضاف اليها ثلاثة جنيهات رسما للجهاز .

والظاهر أن هذا العمل أحدث فى نفوس الحاضرين أثرا عظيما ، وكان أكثرهم ممن ينتمون الى أسرة المهدى بالروح

أو بالدم، وقد أحجموا عن الزواج بسبب غلاء المهور ، فانتهزوا فرصة هـذا الحادث وأخذوا يتبارون فى مصاهرة بعضهم بعضا .

قالت « حضارة السودان » وهى الجريدة التى روت هذا الخبر : « وفى هذا المجلس تم عقد الزواج المبارك لـ ٤٥ شابا، وقد اتصل بنا والجريدة ماثلة للطبع أن العقود استمرت ليلة البارحة حتى وصلت الى ٥٥ عقدا، ولاتزال مستمرة الى صباح هذا اليوم السبت ٢٦ نوفمبر ١٩٣٣ » .

فانظر إذًا الى هـذه المناقصة النبيلة بين هؤلاء الأشراف الكرام الذين اتبعوا سنة نبيهم، ولم يجعلوا المهر والجهاز غرض الحياة الزوجية، وانما هو سنة لا إرهاق فيها ولا تعجيز معها، ولم يكن المهر يوما من الأيام أو الجهاز ضمانا للسعادة .

نحن نخجل إذًا من المـزادات التى تقام بين العرسان لتخاطف البنات، ونأبى حفظا لكرامة بناتنا ولكرامة أشرف رابطة فى الوجود أن يكون شأن الزوجة فيها شأن ايجار الأطيان

فى الدوائر أو شراء الأثاث القديم يدق على بابه ناقوس ، و ينادى عليه المنادى .

وهنيئا للسودان هذه الحضارة الجديدة التى يرسمها للشرق كله ، ونرجو أن تأخذ مصر منهـا نصيبا ولا تخجل ، فما برح السودان شقيقها ، ومن مفاخرها أن تأخذ عنـه حينا و يأخذ عنها حينا آخر .



*

شيخ العزوبة

هل يكون الكاتب يوما ما فى إجازة فعلا ؟ أعنى هل يكف عن التفكير فى قرائه ولو سكت عنهم وظل فترة من الزمن لا يخط لهم حرفا ؟ كلا ، لأنه فى تلك الأثناء يقرأ وينظر ويتأمل ويختزن لهم فى زوايا نفسه وخبايا فكره ما سوف يطلعهم عليه بعد حين . فما أخذه منهم اليوم يدفعه لهم غدا مضاعفا . وإنى لمدين لطائفة طيبة منهم تكرمت على بالرسائل حتى اليوم الأخير من إجازتى كما فى يومها الأول . وكنت أحسب أن الكاتب لا يكاد يسكت حتى ينساه قراؤه فلا يسألون عنه غاب أم حضر، أَقْبل أم هجر، عاش أم مات ! ...

أليس البعيد عن العين بعيدا عن القلب ؟

هذه هى الحال عند الذين يأخذون بالظاهر ويتعلقون بالحاضر، أما الذين يغزون القلوب بإخلاصهم وولائهم فإنهم فى القلب مهما بعدوا . والقصص القديمة تروى لنا حكاية

« بنيلوب » التى غاب عنها زوجها « عوليس » وتكاثر عليها طلاب يدها للزواج، وهى تعتذر اليهم تارة وتمنيهم أخرى، وتعدهم بأنها ستختار منهم واحدا عند ما تفرغ من تطريز نجم بدأت بتطريزه على قميصها . وظلت تفتق فى ليلها ما تحيكه فى نهارها حتى عاد زوجها الحبيب بعد عشرين سنة. لهذا ضرب المثل بإخلاص « بنيلوب » .

وهذا « قيس » ، أو لم يظل ينشد خيال « ليلى » فى رمال الصحراء التى لا نهاية لها حتى أضناه البعاد وأفقده الرشاد، وهى ما زالت ملء نفسه حتى الرمق الأخير ؟

وهذا « عنترة العبسى » أو لم يظل يحب عبلاه و ينشدها و يراها فى ميدان القتال فى الوقت الذى لو غفل فيه لحظة واحدة لطاح رأسه ، فيرى صورتها على حدّ سيفه، ويخيل اليه أن لمعانه من لؤلؤ ثناياها، وأن دم الأعداء من حمرة شفتيها ؟

ففى الصداقة والمحبة يجب أن نمضى الى أبعد غاية، لأن هذا هو الذى يشعرنا بأننا إنسانية حساسة تنبض قلوبها

بالحياة ، بالحياة الحافلة الموفورة ، فنتغلغل فيها ولا نعيش على هامشها ، فالحياة كما يقول « دزرائيلى » : « قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة » .

وبضع الرسائل التى وصلتنى من قرائى أثناء عزلتى وراحتى قد أشعرتنى بوجود تيار روحى بينهم وبينى . وهـذا التيار هو الذى يجعـل الكاتب يطمئن الى أن مِنْ حوله عناصر طيبـة كريمة يقظة ، ويشـعر الكاتب بأن له من قرائه أسرة تحبـه وتحوطه بعطفها وحدبها وتذكره ، ويشعره فوق ذلك بأن عليه دينا واجب الوفاء لهذه الأسرة .

وفى هـذا الوفاء أيضا هناء الكاتب ، لا ، إن كلمة الهناء كبيرة جدا ، أريد أن أقول : عزاء الكاتب ، مهما كان مشغول البال أو شقى الحال . أليس ممـا يدعو الى الابتسام ذلك السؤال الذى جاءنى خلال إجازتى : هل يكون سكوتى راجعا الى أننى فى شهر العسل ؟ ! وردى على ذلك اننى اليوم أبعد عن هذا الشهرمنى فى أى وقت مضى . وعلى العازب أن

يحب عزوبته، وعلى المتزوج أن يحب حياته الزوجية . لأن الضجر والتململ من إحدى هاتين الحياتين هو سر الشقاء .

إنى غيور من صديقنا العلامة الكبير أحمد زكى باشا «شيخ العروبة» وأريد أن أكون يوما ما شيخ أى شىء، ولو « شيخ العزوبة » ! ...



*

النصف الأفضل

«رأيتك مغرما بالعزوبة وبترديد ذكرها ، ورأيتك يوما تمنى لو أصبحت شـيخها . وأنا فرد من الناس معجب بك متتبع قولك مترسم خطاك . ولكن لما أن رأيتك تنأى بجانبك عن أن يكون لك زوجة لم أسلمك قيادى ولم أرض لنفسي أن تنضوى تحت شياختك ، إذ لم أفهـم للآن ما تنطوى عليه سريرتك نحو حليلة تشاطرك حياتك وتهبها قلبك . وأنت على ما أظن لست بالمحب الذى يرى فى الزواج مقـبرة لحبه ، ولا بالعابث المستهتر الذى يرى فى ميادين النساء ما يصـده عن الاستئثار بواحدة منهن ، إن أضحكته يوما فقـد تبكيه أياما . ولا بذلك الذى يرى البيت حائلا بينه وبين الناس ، فلا أخذ ولا رد ، ولا بحث ولا تنقيب ، ولا تلمس أسس السـعادة وأساليب الحيـاة الصحيحة التى طالما أجهدت أعصابك من أجلها ياسيدى الأستاذ ... أنت مقبول شكلا ، ولو كنت لم أتطلع اليك وأرى صـورتك إلا على صفحات الجرائد . وأنت عبقرى نابغ فلا يمكن لمسألة اجتماعية — وأنت الاجتماعى الكبير — كمسألة الرابطة الزوجية أن تتعارض مع طبيعة نفسك حتى تتطلب شياخة العزوبة وتتمناها بحرارة . أنا أثق بأن امرأتك سوف تحبك ، وسوف تفسح أمامك ميدان المجد والشهرة ، وأنت ولا شك ممن يحسنون الاختيار ، فخـذها عربية أو أعجمية وإلا فاشرح

ى ... فإما (علبة ملبس) على قدر الحال تفوز بها منى و إما أن أتبعك للنهاية ، و يكفينى عزاء أنى أتبع شيخا يحترق للمرأة و يتهافت عليها و يذوب من أجل سعادتها و جمالها ، وهو منها كما قال أبو نواس :

* فى كفه الكأس يهواها و يخشاها *

الابراهيمية رمل : سيد اسماعيل صبحى



أريد أولا أن ألفت نظر أخى الأديب كاتب هذه الرسالة الرقيقة البليغة ، الى أنى لست لسوء الحظ أو لحسنه « شيخ العزوبة » فى أسرة « الأهرام » ، فإن فيها أساتذة لنا وأصدقاء وزملاء يتجاوزون العشرين عدا ، وكلهم من العزاب المتعصبين ...

أما عن نفسى ، فأقول لكم الحق انى رجل لا يهمنى جمال ولا علم ولا مال ، فقد رأيت من هذا كله الشيء الكثير ولم يغرنى ، لأنى من ذلك النوع البوهيمى الذى يظل عنيدا كأنه أصم أعمى ، وهو مع ذلك يشعر بكل شيء ، حتى تمر فى حياته امرأة ، امرأة واحدة ، فيرتجف و ينتفض انتفاض

العصفور بلله القطر ، ويسلمها حياته ويسلس لها قياده .
وسواء لديه سارت به الى الصدر أو الى القبر .

أما إن كانت تلك المرأة قد مرت فى حياتى أو لم تمر بعد، فهو الوجه الوحيد من المسألة الذى أخفيه عنك وعن كل الناس، لأنه لا يهم أحدا سواى .

وفى «الميتولوجيا» علم أساطير الأولين : أن « چو بيتير» رب الأرباب خلق بادئ بدء آدم وحواء فى جسد واحد ، وعندئذ ظهر له أنه قد خلق خالقا مثله يلد وينشر الذرارى فى الأرض ، فغضب وفى غضبته فصل آدم عن حواء بضربة واحدة، ومن ذلك اليوم ظل كل انسان يبحث عن نصفه الآخر .

وفى سبيل هذا النصف الآخر نجوب الأرض ، ونرحل كالعرب، ولا نستقر على حال من القلق حتى نجده، اذا لم نكن قد وجدناه، وحتى نتعزى عنه اذا كنا قد فقدناه .

أما بعد، فأرجو لك الله يا أخى أن يتم نعمته عليك، وأن (يلمك ويلم) كل حائر على نصفه الأفضل !

*

الزوجـة الموافقـة

رأيت فى حفلة الجمعية الدوليسة لرعاية الطفولة ، بحديقة الأزبكية سلما حديديا ضيقا مكونا من عشرات الدرجات ، منصوبا فى الهواء الى ارتفاع سبعة وثلاثين مترا ، فكأنه يناطح السحاب . وتحت هذا السلم حوض من الزنك مرتفع الجوانب ، عرضه متران ، ممتلئ بالماء الى حافته ، وحوله حراب مدببة .

وتجيء امرأة جميلة فتصعد الى منتصف السلم ، ويجيء رجل فيصعد الى منتهاه ... وتلقى المرأة بنفسها فى الماء ، ويتبعها الرجل بعد قليل من ذلك العلو الشاهق الهائل الذى ترتجف منه فرائص المتفرجين ! ...

قلت : سبحان الله الذى وفق رجلا للحصول على زوجة توافقه على عقله ، وتوافقه على جنونه ! ... أليس الصعود على ذلك السلم الذى لا آخر له هو رمز الجهاد فى معترك الحياة ، هو

رمز التعاون على الخير والشر، على السراء والضراء، على أكل الخبز بعرق الجبين ؟ !

ومثل هذا المنظر قدشهدته فى لندن منذ سنوات. تصوّروا رجلا يابانيا قد أوقف امرأته أمام لوحة، ثم أخذ يرشق اللوحة بالسكاكين حول جسم المرأة من ذراعيها إلى رأسها إلى عنقها ليرسمها بهذا على اللوحة، والمرأة لا ترمش لها عين مع أنه لو حادت السكين مليمترا واحدا لأودت بحياتها، وكان هناك مئات الانجليزيات اللواتى لا يصبرن عادة عن الصياح لأقل صورة فى (السينما) قد لزمن الصمت حتى صار المسرح كالقبر .

مثل هذا التعاون فى الحياة هو مثال مجيد للذين يضعون العقبات فى سبيل أنفسهم لأنفسهم، ضيق وخطر كساعة إلقاء النفس من أعلى السلم الى حوض ماء صغير، أو ساعة رشق المدى، أو ما شابه ذلك ... هذه الساعات يجب أن تجمع القلوب وتزيد وحدتها وتقوى عاطفتها بدلا من أن تفرق بين أصحابها . وعلى المرأة أن تحب فى الرجل الذى ارتضته شريكا

لها ساعات جنونه أيضا ، إذ لا يجدر بها أن تكون من الأنانية بحيث تتمتع بطيبة قلبه وعذب حديثه وثمرة جهده ، ولا تكافئه ، فى الحين بعد الحين ، تسامحا عن نزواته الطائشة ، بل وحبا كريما لحال الضعف هذه التى تطرأ عليه بما اكتسبه فى دمائه عن أسلافه ، وبذلك لا تكون الزوجة فقط ، بل تكون الأم أيضا .



*

جنـــة البيت

طالما تحدثنا عن محيط البيت الذى يجب أن تؤلفه المرأة مطبوعا بطابع شخصيتها ،وقلنا أن لوحة زيتية أو بالطباشير الملون أو بالحبر الصينى أو بقلم الرصاص فى ركن من أركان الغرفة تجعل لهذا الركن معنى ، وكذلك الأشغال اليدوية . والى هذا كله نجد أن العناية بذلك تعد، فضلا عن الفائدة المادية ، رياضة نفسية ثمينة .

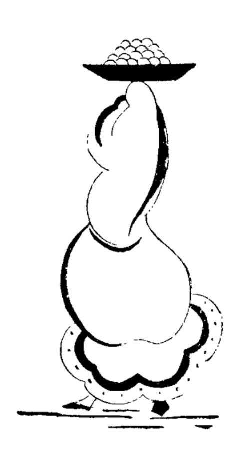
سكنت مرة عند أسرة سويسرية ألمانية فيها فتاة تناهز السابعة عشرة . فى الصباح تساعد أمها فى تنظيم الأسرة وترتيب البيت . وتخرج مع عمتها الى السوق لتدرس البيع والشراء وتتمرن على الأخذ والعطاء . وتعود لتجلس الى كتب القانون ساعة وبعض ساعة . وبعد الغداء تأخذ فى التصوير على (شال أو كيمونو) فتجعل القماش التافه قطعة فنية قيمة يدفع فيها جنيهات . وفى الأصيل تعزف على (البيانو) وتقرأ

فى الأدب والفلسفة أو تفصل ثوبا أو (بيجاما) . لا تزور ولا تزار إلا لماما ، مرة كل خمسة عشر يوما على الأكثر .
وكنت أسكن عندهم مع شاب انجليزى هو آية فى جمال الخلق والخلق ، يجىء أو يخرج فلا ترفع رأسها أو تنظر وتلتفت .
فاذا أقبلت عليها تحدثها نهضت فى أدب وابتسام وخفر يفتن القلوب . يستحيل على « دون جوان » أن يجد عيشا عندها ولا ماء . لم تكن بحاجة الى (الليسانس) فى القانون لأن لها فى المصرف خمسة آلاف جنيه ، ولكنها لا تجد معنى لضياع وقتها وعدم تنوير فكرها . ففى العمل وحده هناءتها . وعند ما تفتح باب المسكن تجد الجدران مغطاة بصور من ريشتها ، وتجد الدمى فى أثواب فضفاضة من طراز لويس الرابع عشر قد اضطجعت على الأرائك والمقاعد تنظر اليك من تحت أهدابها الطويلة كأنها تريد اختلاس أسرارك ! ... هذه الدمى هى أيضا صنع يدها . وهى تحبها وتداعبها وتجلس أحيانا تتحدث اليها وتسرها النجوى ، ونجواها بريئة . انها حتما تنتظر الرجل مثل كل فتاة، ولكنها تنتظر الزوج لتحبه .

تقول ان حبيبي هو زوجي ، أما الذي يضن علي باسمــه فاني
أضن عليه بقلبي . وهي لا تجلس الى النافذة ثلاث ساعات ،
ولا تقضي في الشــوارع ثلاث ســاعات أخرى ، ولا تقضي
في الزيارات (البائخة) ثلاث ساعات أيضا ! ... انك تجد أحيانا
فتيات في الطرقات كأنهن تائهات ، كأنهن هاربات من بيوتهن ،
كأنهن ينكرن وجود أهلهن ، كأنهن يبحثن عن شيء مجهول ، عن
رجل مجهول ، يتخبطن بين المحلات التجارية ويشترين أشياء
تافهــة ويرجعن الى البيت بقطعة من (الدنتالله أو مترين من
الركامة أو زجاجة كولونيا) وقد لا يكون بهن شيء فيذهبن الى
الطبيب متمارضات لتتاح لهن فرصة الحديث . ومثل هذا الفقر
الأدبي يرثى له . ويحسن بالكريم أن يخفي جوعه . ويخفيــه
بين جدران بيته . ويأخذ بالمسليات النبيلة التي تجعــل الزمن
يمر بلذة وفائدة ومتاع وثقافة ... أعود فأقول :

الموسيقى وشــغل الابرة والتصوير والمطالعة ... فاذا كان
للفتاة أخ صغير وعنيت بتعهده وأشرفت على تربيته ، ووجدت

مزاجا فى تهذيبه بدل (تدليعه)، فانها تكون قد جمعت الفضائل المنشودة فى الفتاة الجـديدة العصرية ، الفتاة الجادة الأمينـة الطاهرة ، لا الفتاة الهـازلة الهزيلة التى تهز وسطها فى حلبـة رقص قبـل أن تكون قد عرفت أو عملت من كل ما ذكرنا شـيئا .



*

أثاث البيت

نقرأ أحيانا ، ان لم يكن كل يوم ، فى جريدة يومية (محجوزات) توقعها المحال التجارية الكبرى على أسر كريمة ، ونقرؤها تحت عنوان كبير : « بيع منقولات » . وتحديد اليوم والساعة والمكان ... الخ .



وهذا محزن حتما ، ولكنه درس بليغ لمن يغالى فى شراء الأثاث والملابس ، فما زالت البيوت المصرية تحرص على الاستزادة من (الموبيليات) ومن الأقمشة ، وهذه قاعدة قديمة كنا

نرجو أن يأتى عليها التقدّم العصرى ويبطلها ، فهى تتنافى مع ضرورة الاقتصاد أولا ، ومع الذوق السليم ثانيا. وليس أمرّ على النفس من أن تستدين الأسر الكريمة ثمن الفراش الذى قد لاتكون فى حاجة اليه كله ، فهى قدّرت لنفسها المقدرة على الدفع من حساب أطيان لم تدر عليها شيئا . ولم ترحمها تلك المحال التجارية رغم ما كانت تبديه لها من الصداقة والوداد .

فجميع الذين يشترون بضاعة كثيرة أو يتزوجون يفرشون بيوتهم بالدين على أقساط ، يخطئون خطأ فاحشا لا سيما إذا كانوا يعتمدون على ايجار أطيان أو بيوت ، لأن ايجار الأطيان الآن أصبح كالعدم والبيوت قد تخلو فى تلك الأثناء وتظل خالية وتستحق الأقساط ويقع المدينون فى حيص بيص فما بالك اذا كانا عروسين بنيا عشهما الجميل على هذه الطريقة ! إن مجرد وقوع حجز كالذى ذكرناه يعد كفيلا بالقضاء على الحياة الزوجية .

وكثير من الناس عندنا يشترون أثاث بيوتهم دون دراسة فنية ، فلا يعرفون ضرورة انسجام حجم الغرفة مع لون الحائط ونوع الأثاث . بل مع موقع البيت نفسه وشكله وحجمه إذا

كان (ڤيلا) أو شقة . بل هم يأخذون الأمر (جهجهون) فيخطئون . وقد تطور الذوق العالمى حتى أصبح الأثاث الآن لا يشترى من صنف واحد، بل يُجمع فيه بين القديم « الكلاسيكى » وشيء من الحديث غير المتطرف . والبيوت العريقة لا تحب شكل الأثاث الجديد ؛ والانجليز أنفسهم لا يفرشون بيوتهم ، ولا سيما غرف الطعام ، إلا بالطراز الانجليزى العتيق الذى يشبه القروى ، وهو دون شك جميل جدا وله لون مستحب ترتاح اليه النفس . وكل هذا الأثاث ليس أغلى الأثاث ، ولكنه أكثره ذوقا وألطفه وآنقه ويجوز أن يوصى به الصانع المصرى الماهر ، طبقا للكتالوجات الأوربية .

وليس عارا أن يبنى الخطيبان بيتهما مقعدا مقعدا ، ويشتريا اليوم منضدة وبعد أسبوع أو شهر سريرا ، وهكذا حتى يتم الأثاث ، وانما العار أن تتغلب (النفخة) الكاذبة والغرور فيشترى فرش البيت كله بالدين والتقسيط ، وبعد شهرين أو ثلاثة يحجز التاجر عليه ويبيعه أمام العدو والحبيب ، وينشر ذلك فى الصحف ويعلنه على المارة فى الطرقات بواسطة ذلك (الشيال الأعمش الكلاسيكى) أيضا الذى يدق الجرس ويقول : (حراج . . مزاد) .

*

جيـــل وجيـــل !

أنظر الى سيدة مصرية تسير وفتاتها فى الطريق، تندهش للفرق الهائل بين الأم والبنت، فى الزى، فى الحركة، فى النظرة، فى الجسم كله ...



هــذا هو الفرق بين ذرّيتين : ذرّية كانت صــالحة متواضعة بسيطة تحب البيت وتعبد الرجل وتتقَ الله فى الشرف والولد ... وفتاة اليوم تُمترِد على غير أساس، الثورة فى روحها

بالرغم منها ، لانها نتيجة حتمية لتطوّر الأيام وتقدّم الصناعة والحضارة والاندفاع فى الحرّية . توجد فتيات تنطق عيونهن بما يحير العقول والأفهام، فى نظراتهن معان مدهشة للحيرة والتذمر ونفاد الصبر والرغبة فى الانطلاق، وأحيانا الرغبة فى استمرار التضحية . هؤلاء الفتيات معذورات لأنهن أدركن أشياء شعرن باستحقاقهن لها مع حرمانهن منها .

الزى قد تحول من ثوب أسود يضرب على البدن، كأنه سجن لا نوافذ فيه، الى ثياب خفيفة. بهيجة ملونة أنيقة ...

الرأس — وكثيرا ما يكون رأس المصرية جميلا — كان يلف فى منديل أو يغطى بالملاءة أو بالطرحة أو بهذه كلها . أما الآن فقد أصبحت (البريه) المعوجة الى جانب تكشف ثلاثة أرباع الرأس، وتحسر عن الشعر المعتنى به، فتزيد جمال الرأس وتصغره حتى كأنه رأس الحمام ! ...

الحركة، كانت بالأمس مضطربة خجلة تتعثر بها القدمان، أما الآن فالفتاة تسير وتعرف أنها تعجب الناس ولا تهتم ولا تكترث، وهى بذلك تزداد فتنة .

الجسم ، كان كتلة واحدة من الشحم واللحم لا تناسق فيه ، لا تعرف الخصر النحيل من الردف الثقيل . أما الآن فالفتاة تلعب الألعاب الرياضية ، وتسير فى الهواء الطلق ، وتستحم فى البحر ، وهذه كلها تزيد فى صحتها واستعدادها باعتبارها أم المستقبل .

أما الفكر فهو أعظم ما تطور . بالأمس كانت المرأة المصرية تأكل مع ضرتها وحماتها وأخت زوجها (ثلاث مصائب !) فى صحن واحد . كان الرجل سيدها ومولاها ، اذا دخل ساد الصمت ووقفت نساؤه كالجوارى بين يديه فى ذل وخشوع ؛ أما اليوم فالفتاة المصرية تجلس بحضرة أبيها كأنه صديقها ، ليست قليلة الحياء ولكنها موفورة الكرامة ، وهى كثيرا ما تستحق التقدير والتكريم . مثال ذلك فتاة اليوم ، بطلة اليوم ، أستاذة اليوم : الآنسة نعيمة الأيوبى التى حازت (ليسانس) الحقوق وقدمت طلبا لقيد اسمها فى جدول عموم المحامين ؛ وهو حادث فذ فى تاريخنا الاجتماعى .

*

ثمن الحـــــرّية

فى البلاد التى تحبو الى الحرّية يكثر التزعزع الاجتماعى ، كالرجل الذى يظل محجوب البصر بعد عملية جراحية فى عينيه ، لا يستطيع أن يواجه النور ، فهو فى حاجة الى بصيص ضئيل ، يتزايد شيئا فشيئا ، حتى يجىء يوم يواجه فيه الشمس الساطعة .

مثل هـذا ينطبق على بلادنا فنحن فى دور تطوّر عنيف خطير ، تنقلب فيـه تقاليدنا حتى تصبح فى بعض العيون مثارا للضحك ، فى دور تحول كالفتى فى سن المراهقـة . مثل هذا الدور بحاجة الى التبصر الشديد لأن الحضارة التى ننشدها يجب أن نفهمها لندركها . وفهمنا لها الآن غامض ، لأننا نعيش أفرادا لا رابطة لهم ولا صلة بينهم . الأم لا تفهـم البنت ، والأب لا يفهم الولد ، والزوجة لا تكاد تعـرف زوجها وتدرك من عمله وماله وفكره شيئا ، تعيش مفككين ، نعيش كالأشـلاء المبعـــثرة .

لذلك لا يسع المتتبع لتطـوّر المجتمع المصرى إلا أن ينظر بإشـفاق الى ما يراه من إسراف فى التبـذل . وليس «ستانلى باى» إلا من رموز هذا الإسراف، لأنه الآن مجتمع فى نصف دائرة سـتانلى باى ، ولكنه غدا ، بعـد انفضاض الموسم ، ستسرى روحه فى كل مكان، سيكون بمثابة عملية تلقيح واسعة الأطراف . إنه تلقيح بالداء لا بالدواء .

المرأة الأوربية التى تقلدها اليوم الفتاة المصرية هى امرأة من بلاد عريقة فى الحرّية، حرية اشترتها تلك البلاد بدمائها، وكانت فى مقدّمة الصفوف النساء . والمرأة الأوربيـة تعرف كيف تنظم بيتها ، وكيف تطـرز ثوبها ، وكيف تعيش بالمليم والدانق ، وكيف تربط ميزانيتها ، وكيف تربى الى جانب هذا كله وقبـل هذا كله ولدها . فهى اشترت حريتها بثمن باهظ، اشترتها بما بذلته من دم وتضحية وجهاد . إنها اشترت الحرّية على مدى أجيال . أما هنا فالفتاة المصرية التى تعتقد نفسها آية الايات فى الرشاقة والأناقة، والتى بدأت تقتبس «البيچاما» الساحلية الفضفاضة، وتكشف عن فخذيها ونهديها وظهـرها

وصدرها ، والتي تعرف كيف تحدج من وراء الجفون بنظرات معســولة فيها السر والخفاء والإغراء ، والتي تحسن الرقص الحديث ، وتعرف كيف تتلاعب بالألفاظ والقلوب ، هــذه الفتاة الحديثة العهد بالحرية ، هل تعرف ثمن ما تنشده ؟ !

كلا ، لأن هــذا الثمن يكلفها العــذاب والألم ، وهى غير مستعدة ، لأن الجو الذى تعيش فيه يريدها على القفز والتنقل ، يريدها على عدم الاستقرار ، فهى لا تستقر ولا تصبر على الخير ، وهى لذلك قلما تشعر بالسعادة . إنها فى تنقلها المبتذل كالذى يتعاطى مخدرا ، يغيبه ساعة ثم يستيقظ ليعانى الآلام ...

*

حرية الفضائل

تحدّثنا أمس عن الحرّية، حرية الفضائل والعمل الجدّ. وقلنا : إن هذا هو معناها وليس هو الانطلاق وراء الشهوات والنزوات. ولكننا من الجانب الآخر نجد بعض الآباء يسرفون فى التشديد على بناتهم تشـديدا! هو من الخطورة بمكان، لأنه ينبه ذهن الفتاة الى أشياء لم يكن يحسن تنبيه ذهنها اليها . وهو يشعرها أن وراء جدران البيت المطبقة عليها باستمرار شيئا آخر فيه البهجة والمرح والمتاع، مع أنه قـد يكون فيه الويل كله . وهى لذلك ينفد صبرها ويبدأ تمرّدها . فإذا كسرت قيودها بعد ذلك وانطلقت على فرعها فليس الذنب ذنبها وحدها، لأن شدّة الضغط تولد الانفجار. وهى نظرية فى الطبيعة ثابتة لا تخيب.

فالرجل الذى له بنات الآن فى ضيق لا يدرى كيف يفعل . يجد الحرّية لهـا عواقب وخيمة، وهو بشدّة حرمانه بناته من الحرّية غير مطمئن البال . انه فى موقف يرثى له ، لأن الأبوة

فن ، فن عظيم . لا يستطيع كل رجل ان يكون والدا ، وخصوصا ان يكون والد بنات .

لو كانت لى بنت لصادقتها وفتحت عينها للوجود، وصحبتها الى كل مكان أسمح لنفسى بالذهاب اليه، وما أخفيت عنها شيئا ، ولعرفتها منذ نعومة أظفارها ما أعرفه من سر الحياة ، وما أعرفه من خدع الرجال ، وما أعرفه من غش العالم، وما أعرفه من حوادث يشيب لهـا الولدان ؛ وأفسر لها كل نظرة وما ترمى اليـه ، وغاية صاحبها ، وكيف تحكم هى بدورها على ما تراه من وجوه ونظـرات والتفات وحركات ... وهـذه هى الدروس التى تكونها، وهى بمثابة التطعيم ضـدّ الفساد المنتشر حولنا، المتطاير فى الجو مع الذرات، الممتزج بالشمس والهواء.

أما أن أحبسها وأقفل النوافذ وأحرمها (السينما) والخروج، فبمثابة الحكم عليها بأنها ليست لها شخصية، ولا كرامة، وليست جديرة بالوثوق بها، ولا بالاطمئنان اليها، وأنها فتاة قلبها هواء لا تعرف الخير من الشر .

وهذه مسبة يجب أن يرفع الأب فتاته عنها، مسبة فى طريقة تعليمه إياها وتأديبه لها، مسبة لأصلها وأخلاقها. ثم هى إنكار للفضيلة فيها . واعتراف بأنه إنما (يرسرسها ويصمغها ويصلبها حتى يلزقها للعريس) .

ومهنة الأب أشرف من ذلك، وواجبه أشدّ عسرا وعناء، ومسئوليته أعظم .

فالأب الذى يترك بيتـه خمس عشرة ساعة فى اليوم ولا يدخله إلا ليأكل وينام ويأمر وينهى هو الأب الذى يضـيع على فتياته جانب العناية والولاية والموعظة الحسنة . فإذا ورثهن بعد ذلك مالا وفيرا كان لهن مفسدة، لأنه مال بغير أساس . فاذا أغلق من دونهن النوافذ والأبواب فهى حيلة الضعيف، المتهاون، الجبان، الذى يزعم انه حريص شجاع ... وربما راعه يوما ما تكسير تلك السلاسل والأغلال بشكل يدعو الى الرثاء، حتى رثاء أعدائه له .

*

الأجـار الزائفـــة

فى الأسبوع المـاضى رأى أحدهم سيدة تنزل من سيارتها وتدخل متجرا كبيرا فى محطة الرمل وهى لابسة (البيچاما) فكتب رسالة بذلك الى «الغازيت» مستنكرا ؛ فاحتج عليـه آخر طالبا ترك النـاس أحرارا ؛ فرد عليه الأول يسـفه فكرة الحرية عنده .

أقول لكم الحق إن الانسان المهذب ، سواء أكان رجلا أم امرأة، يتردّد فى أن يظهر فى الشرفة (بالبيچاما) ، فما بالك بالنزول بها فى الطرقات، ودخول محل عمومى للبيع والشراء !

يقول الحكماء : إن من ليس له سر يخفيه فلا جمال له يبديه . والمقصود بالسر هنا ليس الحجاب الذى يجعـل المرأة فى شـبه سجن متحرك ، و إنما هو ستر ما يحسن ستره مع حشمه الحركة والإشارة . فالمرأة التى تسير تلتفت عن يمينها و يسارها ، وقد كشفت عن صـدرها وظهرها ، لا تتبعها إلا عيون الدهماء ؛

لأنها لا يمكن أن تقع موقع الإعجاب من قلب الرجل الذى يعرف سر الجمال والجلال .

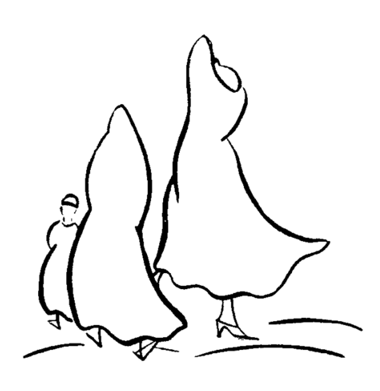
لذلك لا تجد منظر النساء على شاطئ البحر نصف عاريات يبهر إلا السذج ، بينما تجد التى تخفى منهن أكثر ما يمكن إخفاؤه من جسمها هى التى تلفت الأنظار — الأنظار التى تقدرها النساء وتتأنق عادة لها ، وتحسب حسابها دون غيرها .

وفى أوربا الآن أو بالأحرى فى باريس ، لأن باريس هى سيدة (الموضة) التى تفرضها على العالم ، تقوم حركة عنيفة ضدّ (البيچامات) . وبعد ما كانت فى العام الماضى تغطى الشواطئ وتلبسها ألطف النساء ، دالت اليوم دولتها أو كادت ، وسرى شعور استنكار لها كما تقول جريدة « الطان » نفسها .

فهذه السيدة التى نزلت من سيارتها فى محطة الرمل (بالبيچاما) ، ولو كانت أطهر النساء ، تعرض سمعتها حتما للألسن تلوكها وتذكر عنها السوء بالحق أو بالباطل . فلا يمكن تفسير

عملها إلا بأنه إعلان عصبي عن بضاعة يزهد فيها الناس . ولو أنها كانت جميلة حقا لاحترمت جمالها ، فالجمال له حرمة يرعاها أهله ، ولا ينتهكها إلا الطائشون .

ولكن نعود فنقول : إنه لا بد من هؤلاء الطائشات فى كل مجتمع ، لأنهن بمثابة الأحجار الزائفـة يعرف المرء بسهولة الى جانبها الأحجار الكريمة .



*

رسالة المـــــرأة

من الحفلات القليلة التى أسفت على أنها قد فاتتنى بسبب مرضى حفـلة الاتحاد النسائى فى « دار المرأة » التى استقبلت فيها السيدة النبيلة هـدى هانم شـعراوى طائفة من الفتيات النابغات كالآنسات : نعيمة الأيوبى وسهير القلماوى وفاطمة سـالم وفاطمة فهمى خليـل وكوكب حفنى ناصف وهيلين سـيداروس وتوحيدة عبـد الرحمن ومنـيرة ثابت ولطفيـة النـادى .

وليس أحق من المرأة بتكريم المرأة .

وليس أحق من زعيمة النهضة النسائية بتكريم الصـورة المثلى للآمال العظيمة التى تجيش بصـدرها، والتى كانت تتمناها على دهرها . ولم يكن هذا التكريم فى الواقع منحصرا فى اللواتى احتفل باستقبالهن ، بل إنه يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا ، فهو تحية تشمل جميع اللواتى تخرجن فى مصر وأوربا من المدارس

العليا ، واللواتى صرن الآن أمهات صالحات أو زوجات فاضلات أو مربيات كريمات ، وهو تحية تمتد الى المستقبل بالرجاء والدعاء، الرجاء فى الجنس والدعاء للوطن، الرجاء فى أن يكثر بيننا أمثال كوكب ناصف وسهير القلماوى ونعيمة الأيوبى وغيرهن، يكثر بيننا العدد ، ويتميز بالنبوغ لا الرضاء والاكتفاء بالمستوى العادى ،ويتميز قبل النبوغ و بعده بالأخلاق الفاضلة .

فليست مهن المحاماة والطب والطيران والأدب بالتى تعد إذا تولاها النساء حاسمة فى حياة الشعوب ،ولكنها على أى حال رمز الى مساواة الجنسين فى التعليم والذكاء والتفوق والاحتراف .

وليس احتراف المرأة مهنة شريفة معينة بالذى يسعد المرأة أو يسعد الأمة ، لأن مكان المرأة ووظيفتها ودائرتها فى البيت أولا وفى البيت آخرا . فمهما كانت المحامية الضليعة فلن تستغنى ولن تستغنى بلادها عن أن تكون الزوج المخلصة والأم الرشيدة، وهذا هو ما يجب أن تفهمه كل فتاة . فان أعظم ثمار التربية والتعليم وأعلى درجات الذكاء والحصافة إنما تدرك لا فى ساحة القضاء ، ولا فى غرفة العمليات ، ولا فى كرسى التدريس ،

ولا فى طبقات الجو ، وانما تدرك — بكل كبرياء وكل خضوع — أمام المهد ... مهد الطفل، ذاك الذى انحنى أمامه مدوخ الأرض وهازم الملوك وكاسر الجيوش «نابليون» فقال : إن من تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها .

وقد تقسو الطبيعة على بعض النساء قسوة أليمة فتحرمهن من زينة النساء أو لطفهن أو حنانهن، وتجعلهن فى عالم موحش من الحرمان ، فهؤلاء يجدن فى العمل عزاء وأى عزاء . ولا غبار عليهن عندئذ اذا فكرن فى العمل دون الرجل . أما الأخريات اللواتى حباهن القدر بصفات جنسهن من رقة وحنان ودماثة فنحن بحاجة اليهن زوجات وأمهات أكثر مما نحن فى حاجة اليهن فى أية مهنة أخرى من المهن التى يمكن أن يحترفها الرجل .

انى رجل يؤيد النهضة النسائية الى أبعد حدود التأييد ، ولكننى مؤمن بأن رسالة المرأة هى رسالة البيت .

*

صـــوت المـــرأة

فى الأقصر . فى بهو فندق كبير . فى جانب منه انكليز لا تسمع لهم صوتا . ثم دخلت سيدة مع زوجها فملأت البهو ضجيجا . تريد أن تستأثر بالحديث وأن تتكلم بصوت مرتفع جدا . جاء يخاطب زوجها رجلان فبادرتهما بما فعلت أمس وما فعلت اليوم . وتحـدثت عن الرقص والأكل والشرب حتى الساعة الثانيـة صـباحا . وانصرف زوجها عنهـا وولاها ظهـره يخاطب صاحبيه فجعلت تتدخل فى الحديث مع ذلك بشـكل مدهش ولا تترك تعليقها .

هذه امرأة تفضح زوجها . هذه امرأة تدل الناس أولا على أن زوجها ليس له نظر لأنه اختارها، مع أن الدنيا ملآنة بالنساء . وهذه امرأة تفضح نفسها لأنه ظاهر أنها «محدثة» . وأنها مفتونة تتحدث لا لنفسها، ولا لزوجها، ولكن للآخرين .

ليس للمرأة أن تتكلم همسا . ولكن أن تتكلم بصوت معتدل

موزون منسجم مع طبيعة المكان الذى هى فيه، ولا تتكلم بهذا الشكل المبتــذل عن الطعام والشراب والرقص والنوم . فقــد تحدثت صاحبتنا أيضا عن نومها بعــد السهرة وعن استيقاظها فى الصباح لتتفرج على كذا وكذا .

مسكين زوجها ! ... فاذا كانت هــذه المرأة تتكلم بهــذا الصوت الشاذ الناشز عن أشياء عادية فى مكان حافل بالأجانب عنها، من أجانب ومصريين، فى فندق، فماذا تفعل اذا غضبت فى بيتها ؟

هــذه امرأة ينقص روحها السلام والسر. امرأة ليست عريقــة ولا نبيلة . امرأة ليست ثابتــة ولا رزينة . امرأة مسرفة مبذرة . ليست لأفكارها، ولا لعواطفها، ولا لألفاظها، ولا لصوتها عندها حرمة، فهى تهرق هذا كله فى عرض الطريق، ولا تحترج من مضايقة الناس وتزعم لنفسها أن الناس معجبون هائمون بخفتها وفصاحتها .

انما يهيم بهذا الجنس من النساء رجال ثرثارون فارغون ...

رجال يتكلمون فى السـمك والبلح والتمرهنـدى وآثار الكرنك والفوكس تروت فى وقت واحد ! ...

إن الصوت جزء من المرأة . فعليها أن تصونه كما تصون نظرها وجسدها ، بل أنه من أعز ما عندها ، أليس هو دليل فكرها ورسول روحها ؟



*

الغـــيرة

يقول شكسبير فى رواية عطيل التى خلقها من جديد أستاذنا وصديقنا خليل مطران «... احذر الغيرة، تلك الخليقة الشوهاء، ذات العيون الخضراء التى تغتذى بمـا تأكله من لحوم البشر» . وهـذا وصف دقيق لتلك الحرباء . وقد رأيتهـا تنهش حياة سعيدة كانت بالأمس حافلة موفورة، حياة أسرة طيبـة هادئة مكوّنة من صديق كريم يعدّ نسـيج وحده فى الخلق العظيم . رجل قديس مع أنه عصرى الى أقصى حدّ هو كذلك مثـال للرجولة والفضـيلة . ولا عجب فهو من سبط شريف ومن معدن نقى . ولكنه تزوّج من سيدة خلفت له ولدين وخلفت له أشـدّ المتاعب . كانت زوجته طيبـة لولا أنها ذات غيرة جنونية. غيرة لا سبب لها ولا داع إلا أوهامها. فهى لا تريده أن يلبس بذلة جديدة، ولا أن يحمل منديلا نظيفا ! فاذا حلق ذقنـه راحت تشاجره وتجادله لمـاذا يحلق ذقنه ؟ ! إنه يحلقها

لامرأة، لأنها هى زوجته لا تريده أن يحلق ! . مع أنه رجل أنيق ومن أوّل واجبات مهنته أن يكون أنموذج النظافة والأناقة . وقس على هذا . فهى كأنها تريده سجين إرادتها وليست إرادتها عادلة . ولا يمكن تفسير هذه الغيرة على أنها الحب فيلتمس لها العذر إنمـا هى الطغيان . فليس للزوجة أن تسمم ينابيع حياة زوجها وتسقيه كل يوم كأسا . فالحياة لا تحتمل هذا النكد . والزواج هو قبل كل شيء تعاون على متاعب الأيام ووحشتها فلا يجوز أن ينقلب ضغطا وإرهاقا وظلما . وإذا كان الرجل يريد أن تظهر خادمته فى بزة أنيقة فان ذلك يشرف المرأة أكثر مما يشرف الرجل . وهو دليل على أن البيت يحترم نفسه، ويحترم ضـيوفه . فالزوجة التى تنغص على زوجها هذا التنغيص تسيء فهم الواجبات الزوجية وتعتدى اعتداء منكرا على حقوق الزوج وتقتل هناءها وتهدّد مستقبل أولادها . فان الرجل يستطيع أن يجد خيرا منها أما هى فيصعب عليها أن تجـد مثاله . وليست البيوت لعبا من الورق تمزق بهذه السهولة . فهذه هى الاستهانة بالحياة وهذا هو النزق .

*

الغــيرة أيضا

يظهر أن بعض السـيدات مريضات فعلا بمرض عضال اسمه الغيرة . فان أمامى رسائل عدة جاءتنى تعليقا على مانشرناه عن شـقاء صديق تزوّج من سيدة غيور غيرة حمقاء أفسدت عليه وعليها مزاج الحياة . و يظهر من هذه الرسائل أنه لا فرق فى ذلك بين متعلمة وجاهلة وها هو رجل فاضـل « ا . م » يعانى ذلك و يحاول أن يعالجه منذ سبع سنين فلا يجد الى ذلك سبيلا . وزوجته سـيدة متعلمة مثقفة من أسرة نبيـلة وليس فى أخلاقها ما يشين إلا تلك الغـيرة الممقوتة التى تكدر صـفاء العيش كل حين فهى تأبى عليه إلا أن يكون قعيد البيت و إلا أن يكون شأنه معها شأن صـغار التلاميذ يذهبون فى الصباح الى المدرسة و يعودون فى المساء الى المنزل فى موعد لا يعدونه فان أخلفوه جوزوا أصرم الجزاء .

وهو مع ذلك لا يحب السهر ولا يتأخر عن الساعة

الثامنة ولا يضن عليها بالمسرات من سينما أو مسرح ولكنه في كل مرة يعود مملوء الوطاب بعبارات اللوم والتأنيب لأن نظرة بريئة منه وقعت على فتاة عرضا من غير قصد في طريق أو ملهى . وقد أبت إلا أن يكون خدم البيت ممن قبحن صورة ولو سئن عملا . وليس لها عذر . فهو لا يدع محلا لريبة في سيره وهو يقسم :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ✻ ولا حملتني نحو فاحشة رجلى !

أما الآخر « م . ح » فهو لا يقل شقاء عن إخوانه ولقد كان أساه كامنا حتى قرأ حديث صديقنا فكتب الينا ، والشجى يبعث الشجى . وهو شاب في السادسة والعشرين خريج مدرسة عليا موظف بالحكومة لم يدخن قط ولم يرتكب محرما ولم يشرب خمرا ولم يقطع صلاة أو صياما فهو متدين محسود على دينه وسيره وسلوكه وكثير من إخوانه ينكرون عليه طرق معيشته ويتهمونه بالجمود والتأخر ومنهم من لا يصدق كل هذه البراءة والطهارة . تزوج بعد استخدامه مباشرة من فتاة ريفية عاشت في مصر أعواما واعتقد أن الخيرة في التبكير بالزواج ولكن لم

يمض عليه عام إلا وذاق الأمرين فزوجه تغار عليه من كل شيء ومن لا شيء وهى تنقم عليه حبه أهله وتكرههم كراهية التحريم رغم حبهم إياها وتقديرهم لها . لا تعرف لنظام البيت معنى تقلب كل ما فيه رأسا على عقب حتى إذا ما نظمه بنفسه أعادته إلى ما كان عليه كأنما يعز عليها أن يسود البيت نظام فهى عدوة لدود له ! جاهلة ... ولم يعلم بجهلها إلا بعد ما قضى الأمر . حاول أن يعلمها فأبت واستكبرت . إذا زارهم قريب لها أقامت البيت وأقعدته إكراما له . وإذا حضر واحد من أهله أعرضت ونأت بجانبها . وقصارى القول أنه الآن كما يقول بين نارين نار الطلاق وله ما وراءه ونار البقاء على حال لا تطاق ويسألنى هل عندى رأى لشاب بدأت تظلم الحياة فى وجهه ولا يزال بعد فى فجر الحياة ! ؟

وحقيقة أن المشكلة عويصة لأن الغيرة غالبا مرض شنيع ينتاب النفس ويتجسم لها . فيجب أن تعالجه هى نفسها ويجب أن نتساءل عن سر غيرتها وسر جزعها ... والغيرة أيضا شعور بعدم الثقة بالنفس أو شعور بعيوب فاضحة

كالقبح الشنيع أو الأخلاق السيئة أو الجهل الفاحش أو الذوق المنحط . فالمرأة لا يجوز لها أن تحاسب زوجها على نظرته لأن الحساب منها دليل على أن جاذبيتها ضعيفة السلطان عليه وتكرار الحساب يقتل الاحترام المتبادل ويعرض هناءهما للانكسار . بل إنى شخصيا عرفت سيدة أوربية كانت تحاسب زوجها لا على نظرة ألقاها على امرأة مارة فى الطريق بل على النظرة التى تقول له أنه يكتمها فى صدره ويودّه لو يلقيها ولكنه لا يستطيع أمامها أن يلقيها فتقول له : « روّح عنك ... وانظر! انظر ! » فاذا نظر فالويل له . واذا لم ينظر فالويل له أيضا !

وقد شهدت مرة شيئا من ذلك فترجمت لها المثل العربى : « إن غيرة المرأة مفتاح طلاقها » فاعتدلت حينا ولا أدرى الآن ماذا فعل شيطان غيرتها .

ومثل هذا العيش يجب أن يعالج بالحسنى من الجانبين وأن يفند الرجل لزوجته، أو الزوجة لقرينها، أسباب الغيرة التى هى غالبا نسيجة الأوهام وضرب من خيال سقيم وأضغاث أحلام .

*

الشيطان

كثيرا ما ينحى الرجل باللائمة على زوجته ، وتحمل الزوجة قرينها كل عيوب الدنيا . ويسود فى البيت نزاع يجعل الحياة جحيما . وبعض المقربين عندئذ يجعل الحق على الزوج والبعض الآخر على الزوجة . وكثيرا ما يفوت الجميع أنه قد لا يكون الذنب ذنب أحدهما أو كليهما ولكنه ذنب المصير نفسه .

هذا المصير هو أقوى منا بغير شك . لأنه هو الذى يجمع أو يفرّق بيننا . فكأنه أحيانا سلطة هائلة طاغية لاترحم ولا ترق ولا تعرف للحنان أو للحب حرمة ونجىء نحن نزيد فى هذه السلطة وفى طغيانها وفى تعذيبها لنا بزيادة ما بيننا من اختلافات قد تكون أحيانا تافهة جدا . قد تكون من أجل ثوب تتمناه الزوجة ولا يستطيع الرجل شراءه حالا أو من أجل الذهاب الى سينما أو من أجل ما هو أصغر وأحقر من ذلك . ومع ذلك تتجسم لكل جانب عيوب الجانب الآخر وإخطائه ويتصوّر

أنه يمعن فى تعذيبه أو حرمانه أو ظلمه فتزداد الأمور توترا و يدب دبيب الكراهية فى نفوس كانت بالأمس وادعة رضية .

فعند ما ينشب فى البيت خلاف بين الرجل وزوجه يجب أن يتصوّر كل واحد منهما أن هنـاك شيطانا خفيا واقفا لهما بالمرصاد يحرض كلا منهما على صاحبه حتى يضحك بعدئذ منهما ضحكا مخيفا كأنه قرقعة عظام الموتى .

ومن واجبهما أن يحاولا عندئذ طرد الشيطان . وهـذا الذى نقوله ونشير به هو ما شعر به أولاد البلد عندنا حتى نسمع الواحد منهم فى شدّة غضبه يطلب من الله أن يخزى الشيطان . ولا يجوز للرجل المتعلم والمرأة المتعلمة أن يكونا دون ذلك خيالا وحبا فى مجاهدة الحياة وجعل المصير أوفر حنانا وأكثر إقبالا .

فاليوم اذا كان قد اعتزم الزوجان الشـجار من أجل أمر صغير أو خطير فانهما حفظا لكرامتهما يتجنبان هذا الشجار أمام أى أحد غريب عنهما ولو كان من أهلهما . فلمـاذا إذن لا يذكران دائما أن هناك شيطانا خفيا اسمه إبليس ينتهز الفرص أو يخلق الفرص لينفذ من خرم الإبرة الى بذر بذور الشقاق بين

الحبيبين والصديقين والزوجين ؟ ولماذا لا يخجلان من أن يتركا من يستغل كل شيء ليفرق بينهما أو على الأقل لينغص عيشهما ؟

ينبغى للزوجين إذن أن يقفا جنبا الى جنب كتلة واحدة ضد الشر الظاهر والشر الخفى على السواء . وأن يتسلحا معا بالمحبة والرغبة فى التفاهم الدائم المقيم ضد الشيطان .

وقد يكون الشيطان أحيانا هو الإنسان ! ...

*

الطـــــلاق

إن الاحصــاء الذى صــدر عن الطلاق فى مصر خلال العام الواقع بين أول يوليــه ١٩٣٠ وآخر يونيــه ١٩٣١ ينشر لنا صفحة سوداء لحياة الأسرة عندنا تبعث على القلق والحزن . ففى تلك المدة عقد ٢٨٧٧٥ زواجا بيـــن المصريين ، ووقع ١٥,١١٧ طلاقا ! ... أى أن نسبة الطلاق إلى الزواج هى ٥٢,٥ فى المــائة ! . و بمعنى آخر أنه كلما تزوج رجلان طلق رجل . و بمعنى آخر أن المأذون الشرعى يعقد فى اليوم ٧٩ زواجا و يقضى بـ ٤٢ طلاقا ! ! فانظروا كيف تكاد أن تغلب المآتم الأفراح !

وهى نسبة يقشعر منها البدن . فليس من المألوف قط أن تبنى بيوت وتهدم بهــذه السرعة الشنيعة التى تدل على الطيش والنزق واتخاذ الزواج متعة ولهوا .

وليست عقود الزواج التى ذكرناها بالتى تستحق أن تعتبر عقودا بمعنى الكلمة، وروح الزواج بنفسه لا بلفظه، لأن من

تلك العقود ٦٠٨٤ عاشت بضعة أشهر فقط ولم تبلغ العام . ومنها أيضا ٥٦٩٥ لم يتجاوز الأربع السنوات ، فهى نسبة يرثى لها فعلا .

وعندى أن الطبقة المستنيرة الآن تتردّد فى الزواج كثيرا ولذلك يقل فيها الطلاق ، وأنا أنظر من حولى فلا أجد بحمد الله بين معارفى من طلق أو فكر فى الطلاق و يعيش كثيرون مع بعضهم بعضا فى غير اتفاق تام ولكنهم قد راضوا أنفسهم على قبول ذلك العيش كيفما كان ، إذ أدركوا أن الحياة هى مرحلة تجربة شرها أكبر من خيرها ، ومرها أكثر من حلوها ، فسواء كانوا متزوجين أو عزابا فالسعادة الحقة بعيدة المنال ، ولا بد للعيش من فلسفة نتقبل بها الضجر والسآمة والأيام التافهة والليالى المتشابهة و إلا أصبح العيش جحيما .

فهذه الكثرة التى نراها فى الطلاق هى بلا نزاع بين الطبقات الدنيا الجاهلة . وحبذا لو أن مصلحة الإحصاء قد وجّهت عنايتها الى درس ذلك أيضا وتابعت البحث فى هذا الصدد

حتى تلق ضــوءا على أرقامها ، فإن أخلاق البلد ماثلة فى تلك الأرقام .

فالعامة والجهال يستسهلون الزواج لأنه لا يكاد يكلفهم شيئا . أجل ، إنه يكلفهم بعض النقود ولكن النقود تتدبر . أما الزواج فهو يكلف المتعلمين جهادا نفسانيا قاسيا ، لأنه خروج من منطقة معروف عنها أنها حرة الى منطقة معروف عنها أنها مقيدة ، وهو خروج عن عادات ألفها العازب دهرا والتخلى الى حد بعيــد عن أصحــاب وخلان كانوا رفقاء الصــبا والسراء والضراء . وهو خروج من المعلوم الى المجهول ، لأن الزواج هنا لا يكفل للرجل ولا للمرأة حق التعارف بمعناه النبيل والوقوف على سرائر النفس واتجاهات الفكر والنزعات والنزوات التى قد تبدو بسيطة ، ولكنها هى التى تكون الخلق وتقوم عليها سعادة البيت أو شقاؤه . فعند ما يتنسم المتعلم ريحا للوفاق فإنه يمضى ولا يتردّد غالبــا ، ويوفقه الله عندئذ اذا شاء توفيقا أيا كان مداه فهو أطول مدى من زواج لا تبصر فيه بل هو خبط عشواء .

فالجاهل والفقير كلاهما لا يعرف مسئولية الأسرة والأولاد، لذلك لا عجب اذا كنا نلقى ألوف الناس لا يملكون قوت ليلة وعند كل منهم خمسة أو ستة أولاد ، وهم يلقون من الفقر والمذلة ألوانا ومع ذلك لا ينقطعون عن النسل كأنهم يزعمون أن النسل يجدّد الحظ ويتيح الفرصة للغنى . وهو فى حالات كثيرة يعد إجراما لأنه يقضى بتضييق رزق هؤلاء الإخوة، فلا يعرف أهلهم كيف يجدون لهم الغذاء والكساء والدواء ، فكيف بالعلم والمعرفة .

ونحن اذا تصوّرنا أن ما وقع فى عام واحد من ١٥١١٧ طلاقا قد شرّد وراءه ألوف الأولاد ، لا يعرفون لهم بيت أب ولا يسكنون الى بيت أم ، أدركنا جسامة الحالة وشناعتها وأن الناس يبحثون عن لذاتهم البهيمية ويجدونها بسهولة لا تكاد تكلفهم شيئا ، ويجدونها كل يوم بكتابة ورقة وتمزيق أخرى ، والثمن تدفعه الذرّيات الحاضرة والقادمة بالفقر والمرض والجهل والتشرد .

*

احذروا الخـــدم

فى حوادث القاهرة أمس ، التى أبى تحرير «الأهرام» أن ينشرها رحمة منه و إشفاقا واستنكافا ، واقعة أليمة حقا ، خلاصتها أن خادما فتك بأولاد أسياده ، فتك بطفلة عمرها ثلاث سنوات ، و بولدين أكبر منها قليلا . ولا يسع الإنسان إلا أن يتساءل : هل هناك حدود يمكن أن تقف عندها وحشية ابن آدم ؟!

ومع ذلك فاننا لو استعرضـنا الحوادث التى تقع من هذا القبيل ، وذهبنا فى تقصيـيها ودرسها ، وإرجاعها الى أصولهـا ومسبباتها ، لوجدنا أن وزرا كبيرا من ذلك فى عنق الآباء .

فهؤلاء الآباء والأمهات يجهلون طبيعة الزمن الذى نعيش فيه . وفى الوقت الذى نجدهم يقفون كالأسود الكاسرة أمام كل شاب ينوى أن يتزوج من ابنتهم مهما كان متعلما مهذبا ، فيحولون دون الرؤية والمجالسة إلا بألف شرط وشرط ، وفى مقدمة هذه الشروط إحضار «الشبكه» ، فى الوقت نفسه

نجدهم مستضعفين جاهلين الذنب الذى يرتكبونه بادخال رجل طويل عريض فى بيوتهم، يستبيح أسرارهم، ويراهم فى ثيابهم أحيانا وفى مباذلهم أحيانا ، ويسلمون اليه أولادهم مع أنه قد لا يكون مضّى فى خدمتهم سنة ولا شهرا .

إن أباءنا كانوا يطمئنون الى خدم أشرف من خدم اليوم بكثير . فقد فسد كل شىء، وانحطت الأخلاق . فلماذا نستثنى منها أخلاق الخدم ونظل على ثقتنا بهم ؟! إن الخادم فيما غبر كان يكاد يكون فردا من الأسرة، يربّى فيها منذ نعومة أظفاره، ثم يزوّج ويبقى بعد ذلك بوابا أو حارسا فلا يطرد ولا ينهر . وكان الخدم أهلا لتلك الثقة . أما اليوم ، فلا يوجد خادم يبقى فى بيت من البيوت سنين عدة . وتلك الحرمة والقداسة التى كانت للبيوت قد استهتر بها بعض أولئك الأنذال أشدّ استهتار، وأحسوا كأن لهم حقوقا روحية أو جسدية ؟

انظر أحيانا تجد فتاة قد نضجت ، مع أنها فى عامها الثانى عشر، وذلك لطبيعة الجنس المصرى، يمشى معها شاب فى العشرين أو الثلاثين يحمل لها كتبها ويحادثها طول الطريق . كنت

أحيـانا أتمنى لو دفعت أى ثمن لأسمع هـذا الحديث . ومع ذلك فليس من الصعب التنبؤ به . فهـذا الخادم الجاهل ماذا عسى أن يقول لسيدته الفتاة؟ ! أيعرف شيئا فى الأدب أو فى العلم أو فى الخلق أو فى الدين وما الى ذلك حتى يحدثها فيه؟ ! كلا ! إذًا فهو يعرف شيئا آخر لا يعرف غيره يلقيه على سمعها مستأنسا بضعفها و وحدتها ، وقد يغريه البعض بالمـال فيمهد لهـذا البعض السبيل الى صداقة آثمة ... ويحمل الرسائل .

فنحن أحوج ما نكون الى تسليح البنت بالخلق القوى ، لأنه هو الذى يحميها لا الخادم الجاهـل . ونحن بحاجة الى أن نضع حدّا فاصلا بين تلك (المودة) الطائشة و بين تلك الفوضى المخجلة التى نخلقها باهمالنا وعدم رقابتنا أولادنا .

ومن كان فى شك من ذلك فليته رأى ما رآه أحد زملائنا من منظر أولئك الأطفال وهم فى حالة غيبو به فقدوا معها كل شىء ، أعنى الشرف .

*

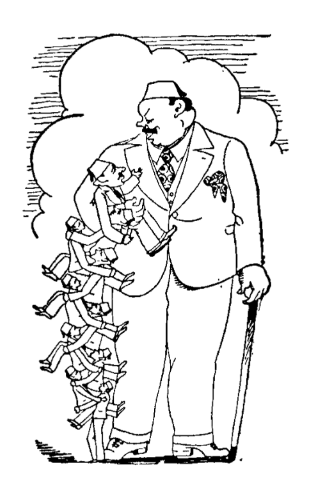
محسوب للايجار !

إعلان هام جدًّا وجدًّا هام

شاب متعلم طويل القامة من عائلة شريفة له مدّة خدمة طويلة بمرتب بسيط يريد أن يكون « محسوبا » من محاسيب أى عين من العيون البارزة ذات النفوذ مع التكرم بايضاح شروط المحسوبية ليزنها ويستعدّ لأداء الامتحان فيها فمن كان له رغبة فى ذلك « المحسوب » القدير فليتكرم بمخابرة إدارة جريدة الأهرام .

محسوب تحت الطلب

« ع »



إن هذا الشاب الظريف يمزح ولا يقول إلا حقا ، والمزاح ظرف لطيف للحقائق ، فقد ألقى فى روع الموظفين وطالبى التوظيف جميعا أنه يستحيل عليهم الخروج من درجة الى درجة أو دخول الحكومة إلا بالمحسوبية . ولم ننس بعد تلك الصيحة الهائلة التى ألقاها أحد الشهود فى قضية طها إذ قال : إنه وصل الى الخدمة عن طريق إحدى المغنيات . وعندما تصل الأمور الى هذا الحدّ تكون نذيرا بانحلال الأخلاق انحلالا لا قيامة بعده للفضائل .

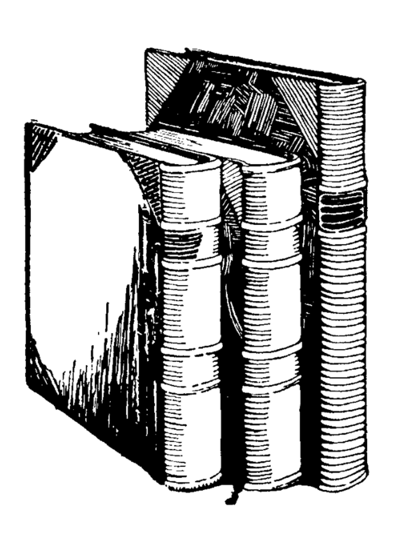
وهذا الشاب الفاضل يرى إخوانا له يقدّمون من فوق رأسه وهو حيث هو يفنى فى درجة دنيئة محروما كل علاوة قانونية ، بحكم قرار مجلس الوزراء ، وكل علاوة استثنائية بحكم حرمانه الواسطة .

والمجالس التشريعية فى كل الأمم هى التى تتولى محاربة أمثال هذه الاندفاعات الخطرة على روح الموظفين المعنوية . فعلى نوابنا وشيوخنا الكرام أن يضعوا « الفرامل » التى تغل

أيدى المسرفين فى الإيثار والحـرمان ، لأن كل إيثار لموظف يتبعه حرمان لزملائه طبعا .

ووظيفة النائب عن الأمة هى وظيفة الحراسة ، الحراسة على الأموال والأخلاق ، ومقاومة المحسوبية ، ذلك الداء الوبيل الذى يجرفنا والذى هو مضيع الأموال ومفسد الأخلاق ...

فهل من مذكر ؟ !



*

طلاب المحسوبية !

رد على اعلان هام جدا وجدا هام

« أيها الزميل طالب المحسو بية .

أحييك . وأعطف عليك . حقا إنك كنت ظريفا فى اعلانك ، طريفا فى كتابتك ، محقا فى طلبك .

ولما كنت من روّاد هذا الطريق وعشاق هذا المبدأ العظيم فقد سبرت غور امتحاناته العديدة ، ولسوء حظى لازمنى النحس فكان نصيبي منها الفشل ، غير أنى خرجت منها ببعض الخبرة . ولما كانت شروط المحسوبية كثيرة ومتنوعة رأيت أن أوجه لك الأسئلة الآتية ، فاذا آنست فى نفسك كفاية لأدائها فثق بأنك ناجح لا محالة .

(١) هل لك قدرة على كتابة مقالات المدح والاطراء لمناسبة أو غير مناسبة ، ونشرها بالصحف السيارة على اختلاف نزعاتها السياسية ؟

(٢) هل تحسن المقابلات فى الحفلات والسهرات مع إنكار شخصيتك عند الاقتضاء ؟

(٣) هل تسمح لنفسك أن تشرب كأسا نخب من لا تريده اذا قضى بذلك الظرف ؟

(٤) هل تحسن الرقص الأوربى الحديث منه والقديم والتوقيعى؟ وهل لك سمعة طيبة بين العائلات الراغبات فيه؟ وهل لك عليها نفوذ ؟

(٥) هـل أنت أعزب أو متزوج؟ فان كنت الأول فهـل أنت خبير بطريق الرياضة والنزهات ؟ وان كنت الثانى فما هى مؤهلات زوجك فى عالم المدنية الحديثة ؟

(٦) هل فى استطاعتك وضع كامل وقتـك تحت تصرف من يظلك بمحسوبيتـه ؟

(٧) هل لك أوتوميل؟ ما نوعه وما مقدار فخامته؟ وهل يليق بشرف العظـماء ؟

(٨) هل تعرف لعب الورق وكياسة اللعب وأدبه ؟

(٩) هل أنت من غواة فن الطرب ؟

(١٠) هـل أنت (سـبور) تحمل بيديك وعلى صـدرك لفات الحلوى والمشروبات ولا تتأفف ؟

هذه أهم واجبات المحسوب المنسوب ومؤهلاته أدليت لك بها ، وانى لحزين مكتئب لسقوطى فى الامتحانات العدة التى حاولت أن أفوز بها حتى أصبحت أصف نفسى فيها غاوى سقوط » .

طالب محسوبية قديم

* * *

حقيقة إن « طالب المحسوبية القديم » هـذا قد درس موضوعه بشكل يحمل على الاعجاب . والشروط التى أتى بها

تدل على باع طويل فى المحسوبية ومما يؤسف له أنه على هذا الذكاء وخفة الروح لم يعرف بعد كيف يكون محسوبا، فانى أتمنى له الخير واو عن طريق الشر، لأن الدنيا أصبحت كلها شرا .

ولكن (الأنكت) من هذين ذلك الخطاب الذى أرسل الى تحرير الأهرام من (ا.ب.ت . بشباك بوستة سنورس) يقول فيه :

«اطلعت بالأهرام على اعلان الشاب الذى من عائلة شريفة ويريد المحسوبية لعين من أصحاب النفوذ، وعليه فأرجو أن يفيدنى هذا الشاب بأقرب فرصة عن اسمه ولقبه وعائلته وأصل موطنهم ومحل اقامته الآن بعنوانى الموضح أدناه ...» .

ونحن لم نعهد أصحاب النفوذ والأعيان يكتبون خطاباتهم بقلم الرصاص ويجعلون عنواناتهم على (شبابيك البوستة) .

ربما كانت هذه الرسائل مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن نتكشف عن نقابة للمحسوبين تتخذ لها ادارة ومستشارين ومحاسيب للمحسوبين ! ... .

*

المــال نعمة ونقمة

أبلغ أحد ســكان بولاق (بوليس) القسم أن ابنه خطف بينما كانت شــقيقته عائدة به الى المنزل . فحقق هــذا البلاغ مأمور القسم ولمـا سأل شــقيقة الطفل عن أوصاف الذى خطف شــقيقها قالت إن رجلا كان يســير مع والدها أخــذ شقيقها منها فلم تمانع لأنها رأت والدها معه وكان فى انتظاره . فاشتبه المأمور ودعا والدة الطفل فقالت أن زوجها عاطل عن العمل من مدّة وليس معــه نقود وفى اليوم التالى ليوم غياب الطفل رأت معــه ثلاثة جنيهات، وعلمت من امرأة أخرى أنه باع الطفل بأربعة جنيهات لرجل لم يرزق ذرية . فقبض على الأب والتحقيق مستمر للاستدلال على المشترى والطفل.

حقا إن هذا آخر الزمان . والظاهر أن القيامة قربت أن تقوم . اللهم لاتأخذنا على غرة وأفسح لنـا بضع سنين نكفر فيها عما تقدّم من ذنبنا وما تأخر ! ...

أهكذا يهون الولد على أبيــه ؟ ! أهكذا يضيق العيش وتسود الدنيا فى وجه الوالد حتى ينزع روحه من روحه ويبيع فلذة كبده بثمن بخس دراهم معدودة ؟ !

أف لك يا دنيا ! كم سهر هــذا الرجل المنكود، وكم كد، وكم شــقى، وقد يكون حمل الحجارة وصعد بها فوق (السقالة) أدوارا وأدوارا ليعود فى المساء حاملا لزوجه وولده طعاما !

أطلقوا سراح هذا الوالد المنكوب واقبضوا على الشارى ! اسألوه كيف طاوعته نفسه أن يختلس ولدا من أمه وأبيه بأربعة جنيهات ملعونة ؟! اسألوه هل شعر أنه يحمل لعبة من خشب وحديد أم يحمل مخلوقا حيا؟! هل فكر كيف ستقضى أم الطفل ليلها بعيدة عن حبيبها الصغير؟! وكيف سيقضى الحبيب الصغير ليله بعيدا عن حِضن أمه ؟ !

لأى شىء يارباه سيستخدم المــال بعد ذلك ؟! بأى مذلة سيقضى وبأى عذاب سيحكم القرش على النــاس ؟ ! ها هو القرش يسلب الرجل الأبوة ويختلس من المرأة الأمومة !!...

ها هو القرش يقضى بالفراق بين طفل وأهله كأنه الحاكم بأمره المستبد الطاغى ... كأنه نيرون هذا الزمان .

اللهم اذا أعطيتنا مالا فارحمنا ولا تجعلنا نسىء الى هذا الحد استعماله ... واذا قضيت علينا بالحرمان فارحمنا ولا تحكم علينا ببيع أولادنا من أجل لقمة ! ...



*

لو كان لى ولد !

صرح رئيس وزارة سابق لأحد أصدقائى أنه لما كان فى الحكم كان لا يستطيع أن يحصى عدد مهنئيه بالعيد، فلما اعتزل السلطان جاء العيد فلم تصله إلا أربع بطاقات ! ! ...

ويكفى أن يحضر الإنسان مأتما يمت بقرابة ، ولو بعيدة ، الى رجل فى الحكم فلا يجد فى السرادق موضعا لقدم ! ... ويجد الناس يبكرون بالحضور ويتأخرون فى الانصراف ، ويحلو عندهم صوت الفقيه وتأخذهم نشوة الموعظة الحسنة .

سبحان الله ! ما أصعب النفاق وهو مع ذلك عند أكثر الناس صناعة لذيذة يرمون الى خدمة أنفسهم حتى من وراء نعش الميت ! ...

هؤلاء المنافقون هم الأغلبية ، ولذلك ترى أقلية الصادقين المخلصين فى آخر الصفوف . فإن الحرة تجوع ولا تأكل بثديها .

لو كان لى ولد لعلمته الصــدق والشجاعة الأدبية وتركت رزقه على خالقــه ؛ ويستطيع بعد ذلك أن يلعننى فى قبرى ، ولكنه لن يستطيع إلا احترام ذكراى .



*

مهندس الكبارى

من القصص الانكليزية الطريفة ما يروى عن مهندس للكبارى فى ريعان شبابه تخرج من المدرسة بتفوق فانتخبته حكومة أجنبية لبناء كوبرى وكانت له خطيبة جميلة فوعدها بالعودة اليها بعد عامين وظلا فعلا على العهد يتراسلان على البعد ولكن بعد العامين إذ وفق فى عمله وظهر نجاحه دعته حكومة أخرى لبناء كوبرى أيضا فاعتذر لخطيبته كذلك ومنّاها بقرب اللقاء وهنأها بما أتاح الله لهما من ظهور نبوغه وضمان مستقبله وتعللت هى بذلك . ولكن بعد تمام ذلك الكوبرى دعى أيضا لبناء كوبرى ثالث ورابع وخامس ... والنتيجة أنه اشتهر وأثرى ولكنه شغل تماما بالكبارى عن المحبة وببناء الأسمنت المسلح والحديد عن بناء وكر الطمأنينة وعش الأولاد فعاد الى وطنه آخر الأمر وقد انحنى ظهره وشاب شعره ولم يعد صالحا للزواج ولا للحب ولا حتى لبناء الكبارى ...

وهذا درس بليغ له ما وراءه من عظة فبعض الناس تشغلهم مرافق الحياة حتى أنهم ينسون حقوق الحياة . وتختل موازينهم فترجح عندهم كفة العقل على القلب رجحانا لا عدل فيه للعقل أو القلب جميعا .

فالاتزان هو أساس الوجود. ومبدأ العيش يجب أن يكون عدم الإسراف والتهافت على جانب دون جانب . ففى الحياة أشياء أخرى مهمة غير بناء الكبارى وهى بناء البيوت : بالحنان والحب لا بالطوب والخشب ! ...



*

*

دخــول الدنيـا

فى بعض الظروف والأحيان يشـعر الانسان بأن لا بدّ له من استئناف الحياة . يحس أن الحيـاة تكاسلت وفترت فهى بحاجة الى قوّة جديدة للمكافحة وغزو مناطق جديدة للســلوى والعزاء ان لم تكن للفرح والهناء . وجميع الذين لم يتزوّجوا يشعرون ان هــذا الاستئناف لا بدّ منـه مع شريكة للحياة . لذلك نحن نفرح عنــد ما نجد صــديقا يتزوّج . نفرح لفرحه لأن الفــرح هو الأمل والرجاء رمز التعلق بالحياة وتمجيـدها . فالذى كان بالأمس يجلس معنا فى مجالس العزاب قـد انتقل الى منطقة أعلى وأسمى والى دائرة ذات قداسة خاصــة ، لأنها دائرة البيت فى ظل المرأة، فى ظل الزوجة اليوم والأم غدا .

فهذا الصديق يدخل وكله أمل فى هنائه وكله رجاء فى أن يسـعد شريكة حياته . فعلى الزوجة عندئذ أن تقـدر حياة العزوبة التى كان الرجل فيها بين عشرين صديقا كلهم لطيف

العشرة ظريف المؤانسة ... وتعرف أن واجبها خطير وأن مسؤوليتها مرهقة . فيجب عليها أن تقاوم ماضيه كله وتواجه حياة عزوبته بما كان فيها من مفاجآت ومن مودات ومن ملذات بريئة أو غير بريئة وتعرف قداسة واجبها فى إنقاذه من كل ذكرياته ومنحه ما يعوّض عليه هذا كله سواء كان خيرا أو شرا ولتعرف أن عليها أن تسعده بحب عظيم يملأ جوانحها وتضيع فيه الاختلافات التافهة التى تعرض لكل زوجين . وعليها دائما أن تجتنب كل مناقشة . فان المناقشات سخيفة وتؤدّى غالبا بين كل الناس الى الحدة . والحدة يجب ألا يكون لها أى أثر بين شريكى الحياة .

فلتدرس كل زوجة ميول زوجها وأهواءه وتجتهد فى أن ترضى منها كل ما يطيب لها وأن تصلح منها مالا تطمئن اليه . فان زوجها هو أخوها وهو ولدها وهو أبوها فى وقت واحد . أنه أصبح من لحمها ودمها أقرب اليها من أولئك جميعا فكيف تترك قيد أصبع للخلاف فى توافه مادية لم تطلع ولم تنزل ؟

لقد صدق العامة فى قولهم أن الزواج هو دخول الدنيا

وهو دخولها عندنا تحت الأعلام وعلى نغمات الموسيقى والزغاريد والآيات و بين الزهور والحلوى .

فلنحافظ على هـذه الروعة لذكرى دخولنا الدنيا ، ولنجدّد حياتنا الزوجية كل يوم بالحب المتصل المخلص الأمين و بالتعاون المتبادل على الخير والشر فى السراء والضراء ... فان كل شىء يجب أن يزيد فى حب الزوجين الشابين ، وكل مطلع شمس يجب أن يشرق عليهما كأنهما يدخلان الدنيا لأول مرة ! ...

*

التأمين على الحياة

أنشأ بنك مصر شركة جديدة للتأمين على الحياة ومتى أنشأ هـذا البنك الوطنى العظيم شركة فان معنى ذلك بيوت مصرية جديدة تفتح وترزق ، ومعنـاه شبان مصريون يتعلمون ويتقدمون فى ميادين العمـل والنشاط ويتقنون ما كان حتى الآن وقفا على الأجانب . فهذا دين جديد فى عنقنا لهؤلاء الرجال النبلاء الذين يديرون هـذا البنك بحكمة غالية ، وفى تواضع ، وفى صمت ، وفى مقدمتهم زعيما الاقتصاد الوطنى وقائدا النهوض المـالى طلعت حرب باشا والدكتور فؤاد بك سلطان .

والتأمين على الحياة هو من أهم ضروب الاقتصاد التى توصل اليها الفكر فى العصور الحديثة . والأوربيون قد عرفوا فضل التأمين فطبقوه على حياتهم كلها حتى شمل العمر والبيت والسيارة ، بل حتى شمل أيضا التأمين ضـد العطل والبطالة . ونحن نسمع عن راقصة أمنت على ساقيها مثلا بمائة ألف جنيه .

وهى محققة . لأن هاتين الساقين هما رأس مالها ومن دونهما لا تساوى شيئا . فاذا حدث وسقطت وأصابها رض أو كسر فانها تكون مطمئنة الخاطر بقية حياتها ولا تعانى شظف العيش . وما يقال عن الراقصة يقال عن كل محترف أيا كانت صناعته . فالتأمين يقتضى إيداع مبلغ معين فى كل سنة لمدّة معينة لمصلحة شخص معين ، فاذا حدثت وفاة نال ذلك الشخص كل المبلغ ولو كان مئات الألوف من الجنيهات ولو كان مادفع من أقساط لا يتجاوز قسطا واحدا . ومن هنا تأتى ميزة التأمين عن المعاش . فالتأمين أفضل وأحسن . وكل رجل له أولاد فى عنقه هذه المسؤولية ، وكل شاب بعيد النظر لا يتردّد فى التأمين على حياته .

ولقد حدّثنى أستاذنا المغفور له داود بركات أن أول يوم سمع فيه المصريون باسم التأمين بصفة رائعة هو عند ما مات الزعيم الاجتماعى المرحوم قاسم أمين . فقد كان المستشار مؤلف « تحرير المرأة » يخطب فى نادى المدارس العليا فى وفد الطلبة والطالبات الرومانيين الذين يزورون مصر ثم عاد الى بيته وقضى

نحبه بغتة . فروّع عليه أصدقاؤه وأحبابه لما يعرفونه من قوّته وشبابه وكرمه . ولكنهم لم يلبثوا أن علموا بأنه كان منذ ستة أشهر فقط قد أمّن على حياته للسيدة زوجه وأولاده بستة آلاف جنيه دفعت لهم حالا . فتداول الناس هذه الحكاية متسائلين ما هو هذا التأمين العجيب الذى تمطر سماؤه الذهب والفضة ؟

والآن بعد ربع قرن تجىء شركة مصرية صميمة لتسد النقص الشاغر فى صناعة التأمين على الحياة ببلادها . لذلك نغتبط ونقرّ عينا بهذا الظفر وهذا التقدّم . ونشعر بالاطمئنان الى المستقبل . وندرك أن مصر تخطو كل يوم الى الأمام وتربح مناطق جديدة فى ميدان الجهاد الاقتصادى وتربح ذلك لا بالتهويش ولكن بالعمل الوطيد والجهد الحميد والضمان الأكيد . وهذا هو المقصود بالخدمة العامة ، وهذا هو معنى حب الأوطان .

*

ياليت !

تحدثنى نفسى بأنى سأكسب الـ ٢٤٠٠٠ جنيه من جمعية المؤاساة، على شرط الا تؤجل السحب هذه المرة ، وإلا تكون قد تحدت حظى وعرضت نفسها لطلب التعويض ! .

أعتقد أننى سأحسن التصرف فى هذا المبلغ الكبير وأنه من مصلحة الجمعيـة نفسها أن أكسبه فإنى أتبرع لها من الآن على رؤوس الاشهاد بمبلغ أربعة آلاف جنيه هبة لوجه الله وحبـا بالفقراء، وآخذ العشرين ألفا كل جنيه فوق أخيه، ولأول مرة يصبح رصيدى دائنا لبنك مصر بدلا مما هو مدين باستمرار ! .

ثم بعد ذلك أتبرع لأحباب وأصدقاء و زملاء بألف جنيه، فإن بعضهم عليه ديون و بعضهم يريد أن يتزوج وبعضهم يريد أن يتفرج على باريس ! ويبقى من المبلغ تسعة عشر ألف جنيه أبنى بثلاثة آلاف منها (ڤيلا روستيك) صغيرة من طراز «باسك» على شاطئ النيـل فى مكان أحبه، الأثير من حوله يوقع ألحانا

شجية، وصفحة المـاء منبسطة أمامه كأنها الرجاء فى الحب ! .
وأفرشها بألف جنيه ،وأجعل قاعة الطعام فيه ريفية كما لو كانت فى قرية أوربية ، وأجعل ردهة الاستقبال حافلة بجميع آلات الموسـيقى من (البيانو والعود والكمنجة الى الدربوكة والرباب والناى) لأقيم فيها حفلات لعشاق شـوبان ، وأخرى لعشاق (الدلوكة) السودانية وأطلق على الردهة اسم «الفارابى» . أما المكتبة فانى سأقصرها على كتب الحب فى جميع اللغات الحية فاجمع كل كتاب يقدس الحب ويحمل اسم الحب على جبينه كالتاج ! .
وأطلق على المكتبة اسم «شهر زاد» .

يبقى بعد ذلك ١٥ ألف جنيه . اشترى منها شقة وجيهة فى غاب بولونيا بثلاثة آلاف جنيه أجدد فيهـا قواى الروحية وأشحذ ذهنى وأصقل تفكيرى بصباحيات الغاب وعصرياته .
واطلق عليهـا الاسم الذى كان يطلقه « أناتول فرانس » على داره : « مَغنى سعيد » ! .

وأعيش من إيراد الباقى على ما أربحه من قلمى، وأخرج كتابين فى السنة وأقضى ثمانية أشهر فى القاهرة وأربعة فى باريس

وأعيش على ذلك عشر سنين لا أتمنى على دهرى أكثر منها وأتبرع له بالباقى على شريطة أن يؤاتينى بما أريد ! . أكتب له الان وأختم على ذلك ! .

هل الذى سيربح هذه (النمرة) سيسعد أناسا أكثر منى فى الحياة ؟ !

ترى هل يؤدى للبلد خدمة أكثر من التبرع بخمسة آلاف جنيه وإخراج عشرين كتابا فوق «ما قل ودل» ؟ ! ترى هل يكون الحظ دائما أعمى فيعطيها الى حيوان يوصف بأنه «ثور الله فى برسيمه» يراكمها فوق بعضها ويعيش أحط من خادم وأحقر من صعلوك !

نسيت وما أنسانى إلا الشيطان فان برنامج الستة الأشهر الأولى يقضى فى رحلة حول العالم أصفها لقراء «الاهرام» يوما فيوما ليحكموا هل طغيت إذ استغنيت ؟ ! وهل أفسدت المادة من جوهر الفكر أو زادت الشعور، فى الأسلوب، بجمال الحياة وروعة الأمل ! . فأزور معهم الهند والسند وأركب الفيل فى بلاد تركب الأفيال ! . وأزور الصين واليابان، وآكل

من تفاح كاليفورنيا ، وأقطن أياما نواطح السحاب بنيو يورك ، وأسمع أغانى جزائر هايتى وأرقص الرومبا مع الزنجيات ، وأرى طلوع الشمس فى نصف الليل ببلاد النرويج ، وأزور مقبرة أبى أيوب فى استانبول ، وأقضى أسبوعا فى نابولى وأسبوعا فى روما وأسبوعا فى فلورنسا وشهرا فى الأندلس لنبكى على دولة أسلاف لنا دالت .

عجبا للناس ! . من ذا الذى لا يشترى كل هذه الأحلام الجميلة ، طوال هذا الشهر ، بورقة مؤاساة ، بستين قرشا ؟ ! ؟

مُنى أن تكن حقا فما أسعد المنى * وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا



*

مصـــدر السلطات

فى «الأوتو بوس» : مناظر تقصر العمر، يتمنى معها الإنسان لو قصرت حياته أو تبلد إحساســه . كيف نجمع بين ما نراه و بين صفاء النفس ؟ هل من سبيل ؟ أليس هؤلاء الذين من حولنا هم مواطنونا ؟ هم أهل بلدنا ؟

تأخر «الأوتو بوس» كثيرا فكان منتظروه كثيرين . وغصت الدرجة الثانية . فأمر (الكمسارى) بالصعود الى الدرجة الأولى ؛ فصعدت امرأة (بنت بلد) «جزارة» ووراءها زوجها «الجزار» . قال لها : درجة أولى ! فقالت : (و إيه يعنى ، هو المفتخر ؟ !) ونظرت الى الموجودين باستخفاف واستنكار : نوع من «البلشفية» .

أما رجلها فقد صـعد وهو يعتقـد أن الدنيـا لا بدّ أن تنحنى له . وكانت ثيابه مخضبة بالدماء : علامة شريفة للعمل الشريف ، فهو ليس قاتل بنى آدم ولكنه رجل يكسب الخبز بعرق الجبين ؛ ولكن القصاب الأجنبي لا يمكن أن يقف فى دكانه وعلى ملابسه نقطة من الدم . فليست الجزارة هى القـذارة .

فما بال هذا الجزار يترك عمله ويخرج مع امرأته ويركب بين الناس بثياب تفوح منها رائحة الدهن والدم التى تصدع الرءوس؟

فلما أبى (الكمسارى) أن يتركه بالدرجة الأولى أرغت امرأته وأزبدت ، وراحت تحلف بشرف الموجودين جميعا أنهما لن ينزلا . وأن تلك (الجلابية) القذرة هى أشرف من بذلة (الكمسارى والسواق) وناظر المحطة . فلما اعتذر (الكمسارى) بأن القانون يحرم ركوب صاحب (جلابية) قذرة كهذه بين ركاب «البريمو» وإلا دفع غرامة خرج صوت الرجل متحشرجا من أثر (الجوزة والخناق) يأبى ويستكبر الاعتراض على وجوده فى أى مكان مادام جالسا (بفلوسه!) . واشترك «الأوتوبوس» كله فى الشجار، وكان كل واحد يبدى رأيا ويتفاسف، وأصبحت المركبة أحزابا وشيعا . وانطلق (الكمسارى) يبحث عن (الشاويش) الذى جاء بعد ربع ساعة مثقلا ببندقتــه ووزنهــا عدة كيلوجرامات، ولكن كان الرجل وامرأته قــد نزلا وآثرا مركبة أخرى جاءت وركبا فى الدرجة الثانية . ومسح (الشاويش) على ظهرها قائلا : (معليش) .

لم يكن الوقت له عند هؤلاء الناس قيمة . ولم يكن شعارهم

قبـل (الشاويش) إلا القوة لا (الأصول) . لم يكونوا يعرفون أين يجلسون أو ماذا يلبسون . لم يكونوا يحسبون لمن حولهم حسابا، ولم يكن على الأرض سواهم. هؤلاء هم مواطنونا الذين نحتك بهم كل يوم، نشترى منهم ونعاملهم. هؤلاء هم الأغلبية الساحقة ومصدر السلطات . هؤلاء هم الذين رضينا نحن المتعلمين بجهالتهم ولم نعمل على تنويرهم لا قليلا ولا كثيرا . هؤلاء هم الذين نتركهم يعيشون كالحيوانات ونتنغص برؤيتهم حياتنا ولا نفكر فى إنقاذهم . هؤلاء هم الذين قد امتلأت أفواههـم بالوقاحة وامتلأت عقولهم بالجهالة لا يعرفون الألف من الياء فى الوقت الذى نتناحر الأحزاب السياسية على كراسى الحكم . فلا يوجد حزب سياسى واحد له برنامج اجتماعى مثل برنامج حزب الشعب التركى الذى يفتح فى كل البلاد مدارس إجبارية لتعليم العامة وتنوير أذهانهم ورفع مستواهم ليرتفع بهم رأس البلد .

هؤلاء هم الذين نقبل أيديهـم ليعطونا فى الانتخـابات أصواتهم ثم نحتقرهم بعد ذلك وننكرهم ونزدريهم .

*

الذهب القاتل !

من أخبار حوادث القاهرة أن أحد الحمالين المختصين بحمل الخزانات الحديدية ونقلها — واسمه ابراهيم أبو هنا حسين — كان يحاول نقل خزانة من خزانات فرع « بنك الانجلو » بشارع السكة الحديدة فسقطت عليه الخزانة وقتلته تحتها فى الحال دون أن يتمكن أحد من رفعها عنه قبل وفاته وانقاذه . ولما أبلغت الحادثة الى (بوليس) الجمالية انتقل الى مكانها وعاينه ثم شرع فى التحقيق لمعرفة المسئول .

أما التحقيق لمعرفة المسئول فغريب . واذا كان (البوليس) يريد أن يبدى فى هذه المسائل التافهة (شطارته) فليعرف أن المسئول عن قتله هو أكل العيش .

إننى أعرف حملة الخزائن هؤلاء . كنت كثيرا ما أراهم فى صباى ، عمالقة طوالا سمانا كأنهم من جنس جعل ينقرض ، وحل مكانه أقزام . وكنت كلما كبرت تحسرت على أنه ليست

لدينا فرقة كفرق الألمان الحربية « فرسان الهوسار » الذين اشتهروا فى الحرب العظمى ، وكانت لهم فيها مخاطر وأهوال .

ويالسوء حظ هذا البلد حتى فى عمالقته وجبابرته ! ...
وكنت أتساءل صغيرا : ألم يجد هؤلاء شيئا لأكل العيش أرحم لهم وأجدى عليهم من حمل تلك الخزائن الحديدية التى كأنها صخور الأهرام؟! ثم لما تقدمت بى السن عرفت أن الحياة كلها أثقال ، يحملها العقل مرة والقلب مرة والجسم مرة .

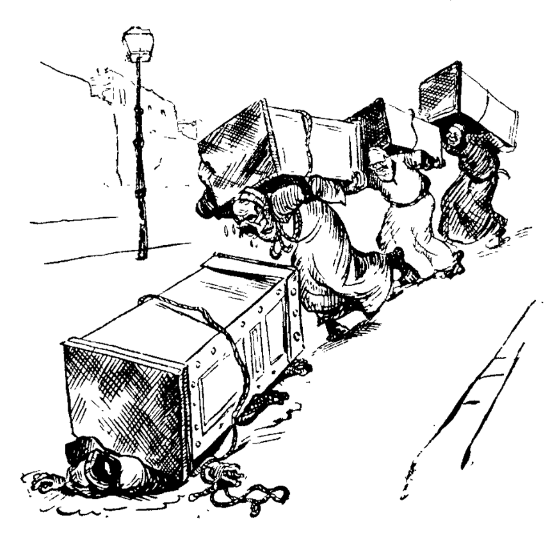
كم من رجل يجلس الى مكتبه وعلى ظهره مثل تلك الخزائن الحديدية ثقلا وهولا !... كم من رجل يسير فى الطريق أو يركب السيارة وعليه أحمال من الديون والهموم أثقل من الخزانة التى قضت على إبراهيم أبو هنا .

ومنذ أقدم الأزمان وصف أبو العلاء المعرى الحياة بأنها تعب كلها . ونحن اذا مارأينا رجلا ينوء تحت عبء من الحديد والنحاس أو الخشب والرصاص عذرناه و رحمناه ، ولكننا اذا جاء وقت الحساب قترنا عليه فى القرش والدانق ! ...

إن المسئول عن موت الفقير هو الفقر . ليت سيدنا عليا رأى الفقر رجلا فقتله كما تمنى وخلص الناس منه ! ... وأما المقتول فقد استراح، وسيجوع أهله من بعده لأن حمل الخزائن الحديدية، مهما تثقل حتى تقتل، لا يدر الذهب والفضة .

ليست لهؤلاء العمال نقابة، فالجوع يقف على باب العامل فى اليوم الذى يمرض فيه، ويدخل بيته فى اليوم الذى يموت فيه .

الله لهم ! ...



*

رسالة الفضيلة

هل يكتب الكاتب لكى يعجب القراء و يفتنهم فيقولون : يا له من كاتب ما جاد الزمان بمثله ؟ !

هل يكتب لكى يرضيهم و يتملقهم و يرثى القتلى تارة ويمجد القتلة تارة أخرى؟ و يعزّى الجبناء مرة و يهنئ الوقحاء مرة ثانية ؟

هل هذه هى وظيفة الكاتب ؟

كلا ! لأنه عندئذ لا يكون كاتبا و إنما يكون مهرجا . يكون « بلياتشو » يصبغ وجهه بالبودرة ويخرج ليضحك الناس .

ليس الكاتب هو الذى يكون الألفاظ و يجبرها على الورق كما يلوك البعير طعامه . إنما الكاتب الصادق الأمين، هو الذى يحيا و يشعر ... و ينظر الى نفع الناس لا الى نفع نفسه . لأنه عند مايكتب لايشعر بوجوده هو بقدر مايشعر بوجودهم هم،

يتطلعون اليــه ، ويثقون به، ويؤملون فيه . عنــدئذ يؤاتيه الفكر بعد الشعور والتأمل .

ومهما كان الجمهور الذى يقرأ لهذا الكاتب منوعا مختلف النزعة والتربية فانه سيشعر بعــد زمن ، إن طوعا وإن كرها، بشىء من الاطمئنان الى أقواله فيتحرك ويقصــده، ويتوجه اليه بالشكوى مما يضايقه فى الشؤون العامة والخاصة .

وهذا هو الفوز العظيم .

خطرت لى هذه الكلمات عند مازار « الأهرام » أمس شاب فاضل يدرس الحقوق وينوى الاشتغال بالصحافة عقب تخرجه . فقلت له : إننا بحاجة الى عناصر جديدة كريمة تدخل فى هــذه المهنة لتطرد منهــا الطفيليات والحشرات التى ترتع فى أعراض الناس وتعيش من وراء ذلك بالسحت الحــرام وتفسد كرامة المهنة .

نحن بحاجة الى شباب أقوياء بالفضيلة والاعتزاز بالنفس، والترفع بل والكبرياء، لا ينزلون ولو ماتوا جوعا الى الحمأة التى

يتمرغ فيها الزعانف الخاملون الذين كل حيلتهم وبضاعتهم القذف والشتائم .

فعلى من يريد احتراف مهنتنا أن يكون من المؤمنين برسالة الفضيلة . يعتبر المسائل العامة مسألته الخاصة التى يناضل عنها ويدافع ،ويعيش من أجلها ولا يتردّد فى ذلك ولو راح فداءها .

*

دار المـــرأة

فى يوم من أيام نوفمبر سـنة ١٩٢٨ وقفت سـيارة زرقاء فخمة فى عطفة الشماشرجى إحدى حوارى شارع محمـد على . ونزلت منها أربع سـيدات كريمات : زعيمة النهضة النسائية السيدة هدى هانم شـعراوى والسيدة عقيلة الدكتور مكلانهن مدير الجامعة الأمريكية بالقـاهرة وسائحتان أمريكيتان من صديقات السـيدة الأخيرة . وكان فى الحارة رحبة فيها حنفية عمومية يستق منها الفقيرات المـاء بالصفائح ... وصعدن السلم المتهدم . وكانت تلك دار الاتحاد النسائى لليتيمات الصغيرات . فكانت نواة تربية وتعليم للواتى حرمن عطف الوالدين أو أن آباءهن لا يملكون كثـيرا ولا قليلا . كن تحت رعاية ملك طاهر وأم حنـون وسع قلبهـا كل من يقصدها طالبـا رحمة أو مكرمة . فشمل برها ورحمتها الوفا ممن سيظل الناس يجهلون أسماءهم أبد الدهر . ومع ذلك فان النـاس لا يرون اليوم من

فضلها وإحسانها إلا أقله ، لا يرون من هذا القلب العظيم إلا قطرة، ومن هذا النور المستفيض إلا لمحة ...

ليت هاتين السائحتين الأمريكيتين اللتين اغتبطتا يوما ما وفرحتا بأولئك الصغيرات ، فى ذلك البيت المتواضع ، ينسجن الملابس ويحكن السجاد ويتعلمن علوم الدنيا والدين ، ليتهما كانتا معنا أمس ، لتشهدا بما تقطع دونه أعناق الرجال . لتشهدا قصرا جديدا بشارع قصر العينى هو (دار المرأة) الدار التى وقفت السيدة هدى هانم شعراوى لا تتذوق للهناء ولا للراحة طعما قبل أن تراها تقوم وتنهض عن الأرض حجرا حجرا ومترا مترا . فاذا هى فسيحة منيفة . وإذا هى فى عام واحد قد تم لها كل شيء . صبرت وظفرت . وكانت عند عهدها وكان العهد مسؤولا .

ليست ألوف الجنيهات وحدها التى تبرعت بها هى التى نشيد اليوم بذكرها . كلا . إن المال هو آخر أفضالها وإحسانها . إنها قد وهبت حياتها للخير وهذا سر عظمتها . إنها

تعيش كل دقيقة من أيامهــا ولياليها لا تكاد تذكر إلا هؤلاء الصغيرات اللواتى رأيناهن أمس كالزهور وقد تربين فى حماها فهى الراعى الأمين .

ان هذا اليوم هو أســعد أيام حياتها ونحن نعلم ذلك عن يقين . انهــا كانت تنتظره بفارغ الصبر وكانت تعمل له منــذ سنين . وهذه هى الهمة الشماء والعزيمة المــاضية والصبر الذى امتازت به المرأة منذ الأزل، وكان من أخص صفاتها النبيلة .

أتراها ستستريح الآن ؟ ! والله ما أظن !... انـــ هذا الفرح الجديد هو قوة جديدة ستصرفها كلها فى عمل جديد . إنها ستواصل مهمتها غير عابئة فى ذلك السبيل بجهد أو تعب أو مرض . انها كانت لا تستطيع الوقوف على قدميها من وفرة ما بذلته استعدادا لعيد اليتيمات وكانت تتجلد وتقاوم حتى أنهكها المرض ولزمت الفراش زمنا ولا يعرف النــاس من أمر ذلك شيئا . وهذا هو أنفس الاحسان . هذا هو أجمل البر . هذا هو أشرف الجود . هذه هى المروءة ماثلة بكامل معانيها فى أروع أشـــكالها .

فانت يا من تسـير فى شارع قصر العينى ، إذا ما جاوزت مدرسة الطب وجدت بجوارهـا الى يمينك (دار المـرأة) ... فاحن الرأس إجلالا ، لأن هنا هدى ورحمة ، هنا صفحة فى التاريخ بيضـاء ...



*

أيتها الراقصـــة !

قامت فى تلك الأيام مسابقة للرقص فى « جروبى » ، كانت هى المسابقة النهائية بعد طول التجنى والدلال من المحلفين ، وبعد التلويح للصبيان والبنـات بالجائزة الأولى والجائزة الثانية والجائزة ... والجائزة ... وقد طلب الىّ صديق عزيز أن أحضر تلك المسابقـة لأرى بعض فتياتنـا المصريات ؛ فقلت له إن الحياة لا تنقصها همـوم ، إن هؤلاء الفتيات لا يرتكبن وزرا ولكنهن يقفن موقفا لا يشرفهن . ربما زعمن أن فى تلك الحلبة الراقصـة يجدن العـريس ، وهنّ اذا وجدنه فعـلا فلن يكون إلا عريسا هازلا لا وزن له .

إن الرجل العـاقل لا يختار زوجتـه من بين الراقصات . وهؤلاء الفتيات اللواتى يشـتركن فى تلك المسابقات ينزلن الى مستوى مختلط ، أكثره مبتذل ، من العاملات والطائشـات

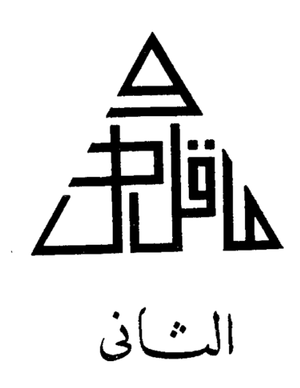
والمغامرات . فالفتاة التى تدخل فى هذه الزمرة الغريبة يجرى عليها الحكم العام، وهو ليس من صالحها فى شىء .

لقد خفّت سورة الرقص فى أوربا خفة مشاهدة ، وخفَّ ذلك السعار الذى انتابها «بالجازبند والشارلستون» بعد الحرب، وانصرفت الفتاة الآن عن ذلك الى ماهو أولى بذكائها وأحفظ لكرامتها . فالفتاة المصرية، سواء أكانت مصرية صميمة أم مصرية مختلطة ، يجب أن تدرك أن مسابقات الرقص ليست بالمضمار الذى لها أن تفخر فيه أو تزهو به، أو تتسابق حتى يتصبب عرقها وتنهد قواها . فلتتنازل عن تصفيق شبان أيفاع من الذين يحلقون حواجبهم ويرسمونها كما لو كانت مخطوطة بعود الكبريت ، أولئك الذين يسيرون عراة الرءوس ليست لهم حرفة، ولو تخلى عنهم آباؤهم وأمهاتهم لماتوا جوعا . فلتتنازل عن تصفيق أنواع «الجيجولو» وهم أشدّ خساسة من المرأة التى تبيع عرضها لتأكل خبزها ، ولتعلم إذاً أن الفوز بجائزة فى مرقص شائع هو أدعى الى الخجل والاستحياء منه الى الغرور والمباهاة .

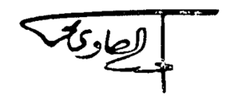
إن هؤلاء الأوربيين لم يرقصوا إلا بعد ما عملوا وسهروا ودرسوا وألفوا وصنعوا وابتكروا واخترعوا وملئوا الدنيا فكرا ونورا . أما نحن فما زلنا فى أول الطريق كالطفل يحبو الى العلم والمعرفة والتحرر من العبوديات التى نرزح تحتها ، فاذا جاءت فتاتنا الجديدة تهز خصرها فى مسابقة عامة يشهدها كل من هب ودب بخمسة قروش ، فهو دليل على أن ميزانها مختل ، وأنها تأتى البيوت من غير أبوابها ، وأنها تعرض بسمعتها وحرمة بلادها للضياع ، وأنها طائشة مغامرة خارجة على المجتمع المصرى الذى يعمل العقلاء على النهوض به ، ولن يكون نهوضه إلا بالفتاة العاقلة الرشيدة التى تعرف الغى من الرشد ، الفتاة التى قبلت حتى الآن القيود والأغلال فى كبرياء وشهامة وأبت أن تكسر تلك القيود والأغلال أول ما تكسرها فى حلبات الرقص ! ...

كَمُلَ طبع ثلاثة آلاف وثلثمائة نسخة من كتاب
« ما قل ودل » بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الأحـد أوّل يوليه سـنة ١٩٣٤
(١٩ ربيـع الأوّل سـنة ١٣٥٣)
محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصـرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨/١٩٣٤/٣٣٠٠)



الثانى



مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٤

وجدانیات



أين قرائى ! ؟

كلمـا فكرت فى أننى سأعيش وأموت جالسا الى مكتبى حزنت على مصيرى . لشد ما أتمنى أن أكون صيادا للضوارى فى الغابات والأحراج ! ... وأن أفعل ما يفعله أولئك المستكشفون الشجعان الذين يعيشون مع الموت فى كل لحظة بحيث لم يعودوا يهابون الموت ! ...

يقولون : إن كل انسان يكره صنعته . أما أنا فأحبها ، وقد ضحيت كثيرا حتى أصـل الى مزاولتها . فلما وصلت حققت أمانىّ الى أقصى حد . ولكن النفس تتجدد ، وكذلك الأمانى ، وفى كل يوم تختفى مطامع وتولد مطامع . والذين يشتغلون بالفكر للفكر لا يحسبون للمال حسابا . يريدون أن يكسبوا كثيرا ليبذلوا كثيرا ، ويبـذلوا فى سبيل تحسـين المصير ، فى سبيل الهناء والمثل الأعلى ، فى سبيل الخير والتسامح والمحبة ، فى سبيل جعل الحياة حياة (٢٤ قيراطا) .

فى رحيلى الأخير عن أوربا مررت بمدينة « شامونى » بجنوب فرنسا على حدود سويسرا حيث الجبال الشامخة المغطاة بالثلوج الناصعة كالحليب . ولقيت فى الفندق رجالا ونساء لا همّ لهم إلا حديث الجبل وصعود الجبل . كانوا يتحدثون عن ذلك ويعدون له المعدات بشغف وتهور . وكانوا يصفون رحلاتهم الماضية ويصورون رحلاتهم القادمة فى غزو الجبل كما لو كانوا عشاقا هائمين . تتكلم النساء عن الجبل كأنه رجل ، ويتكلم عنه الرجال كأنه امرأة : عشق نبيل . فى الحياة أكثر من عشق واحد . عشق الطبيعة ، عشق ترويض النفس على الشدائد ، عشق الخطر والمجازفة . ليت شبابنا الناعمين كانوا هناك ليسمعوا ويعرفوا أن هناك فتيات أشد رجولة منهم وأوفر كرامة وأكثر تذوقا لمعانى الوجود .

الحياة قصيدة : بعض الناس يرسمها بأبيات من الشعر ، وآخرون بألوان من الزيت ، وغيرهم بنقود من الذهب ، وغيرهم بالتخنث والدعة ، وغيرهم باقتحام الدنيا وفتح أبواب جديدة مجهولة قد يخرج عليهم منها الموت ، وقد تخرج حياة جديدة .

نابليون الذى دوّخ الدنيا كانت النـار فى صدره . سـعد زغلول الذى تحدى الانكليز كانت الثـورة فى قلبه . قاسم أمين الذى قاوم البلاد كلها كان الإصلاح فى عقله .

فلنسأل أنفسـنا كل يوم ماذا نحمل فى صـدورنا وقلوبنا وعقولنا؟ وأية رسالة هى رسالتنا؟ وما هو معنى وجودنا ؟ ومن أى شيء نظمت قصيدة حياتنا؟ وهل نعيش لأنفسنا فقط دون المجموع؟ واذا كنا نعيش لأنفسنا فلأى جانب من جوانب تلك النفس نعيش ؟ ...

لقـد تمنى « بول موران » مرة أن يحشد قراءه فى ساحة عظيمة مثـل « الكونكورد » ويفتح معهـم فتحا ، أو يقوم بغزوة ما .

واليوم أتمنى ذلك مثله .

*

الكآبة

فى بعض الأحيان تطغى الكآبة على النفس وينفد صبر الإنسان، وفى الحزن شيء من مخافة الحياة، فالحياة مهيبة ولا شك ونحن نسخر منها فى حين أنها هى التى تسخر منا . أفراحها طائشة لا دوام لها ما إن تأتى حتى ترحل ، وأحزانها ضيوف ثقيلة كثيرة التردّد طويلة المقام .

أمس جلست على حافة صحراء «هليو بوليس» أتأمل فى الأفق البعيد كأنه البحر بغير غوانى الإسكندرية، فشعرت بأن للنفس حقها من الوحدة، وعليها أن تدفع فى وحشتها ثمن ما تجرعته من قطرات الهناءة وقلت : ترى لو أننى الآن فى الإسكندرية على رمال « ستانلى وجايمونو بولو » ، فهل كنت أكون أسعد حظا ؟

كلا، أعتقد ان وحشتى تزداد بين تلك الجماعات الصاخبة المرحة المستهترة النائمة القاعدة المستلقية باسترخاء ودلال تعبث

بنفسها وبعقول الشباب، وقد ضرب الشيوخ من حولها نطاقا من نظرات تبرق بالأمانى المستحيلة .

والوحدة عبادة، عبادة السكوت والسر، وهى تلك الصيحة الأزلية التى صاحها «كارايل» مناديا ببناء الهياكل والمحاريب لعبادة السر والسكوت ، والسكوت يطهّر الأيام . واذا كان الكلام من الزمن فالصمت من الأبد .

وشفاه الأصدقاء والمحبين هى التى وحدها تتعبد للسر والسكوت ولو تكلمت . وشفاه الغادرين والمنافقين هى التى تجدف بالسر والسكوت ولو لزمت الصمت .

خذ كل واحد على حدة من الذين تحسبهم أسعد الناس، خذ أجمل فتاة على رمل الإسكندرية واسأله أو اسألها ما سر سعادته أو سعادتها، فتخرج بجواب مبهم غامض لا دقة فيه ولا صراحة . ولعل خلاصة أجوبة السعداء حقا هى أنهم سعداء لأنهم قد نسوا الأمس ويعيشون اليوم دون التفكير فى الغد .

ومن حكايات الشرق أن سلطاناً وصف له ساحر قميص رجل سعيد يلبسه ليسعد، فظلوا يبحثون فى جميع أرجاء المملكة عن ذلك الرجل السعيد ، حتى وجدوه ، ولكنه لم يكن عليه قميص !...

فكما يعيش الحداد الذى يطرق حدوة الحصان كل يوم ويبيعها ويأكل بثمنها يعيش السعداء . أما الذين يفكرون تفكيرا يشمل الأمس واليوم والغد، فهم كالمضارب فى (بورصة) القدر . ونجد هؤلاء اذا جلسوا وحيدين على حافة صحراء « هليو بوليس » كان لوحدتهم صراخ كأنما اجتمع فيه ضجيج الدنيا ، واذا ذهبوا فجلسوا على شاطئ الرمل الذى يعج بالغوانى والفتيان شعروا بوحدتهم ووحشتهم



*

الكآبة أيضا

« كثير من النـاس فى هذا العصر المـادى الخلو من كل معنى سام يأنسون الى ما تكتب بعنوان «ما قل ودل» ، واذا قلت «الناس» فما أقصد إلا الذين تربطهم و إياك رابطة روحية معنوية .

وكاتب هـذه السطور ينتسب الى تلك الفئـة ، وقد آلمه منك أنك تتألم وتبيح لنفسك أن تعلن عن ألمك ووحشتك ، ولا بد أن ألمك هذا سوف يطغى على جميع قرائك فكم يسبب ألمك للناس ... ؟

ما بالك يا سـيدى تطغى عليك الكآبة و ينفـد صبرك فتكاد تختنق بالحزن وما للحياة مهيبة ! إذن فعذرا « لمودة الانتحار » التى أصبحت شـعار المتبرمين من الحياة ...

ليست حياتك إلا أنت ، فلمـاذا تسخر من نفسك ؟ ولقـد كنت أظن أنك وصلت فى حياتك الى المرحلة الحـالية من الأفـراح والأحزان التى تنتاب عامة الناس من مصيفى الاسكندرية على رمال «استانلى وجليمونوبلو» ... الى الركع السجود فى المساجد والكنائس والمحاريب والهيا كل ... ؟

... وما بالك أيها الاجتماعى تدعو الى الوحدة لأن الوحدة عبادة ؟ نعم إن ،

الوحدة عبادة ولكنها للزاهدين فى الحياة وللذين قصرت همتهم على أن يعيشوا بين الناس ؛ ان الوحدة ياسيدى مضادة لناموس الحياة ، وهى هروب وجبن ، ولا فارق عندى بين المنتحرين وبين الذين يؤثرون الوحدة ، فما لهذا خلقنا ، بل خلقنا للجلاد والتجربة والامتحان ، ذلك هو الدين وهو الواجب .

وأخيرا أرجو أن تعلق على هـذا جزاء وفاقا للشك واليقين اللذين ملأت بهما كلمتك .

على أنى أرجو أن يكون التعليق مستخلصا من كلمتك : «ونجد هؤلاء اذا جلسوا وحيدين على حافة صحراء «هليو بوليس» كان لوحدتهم صراخ كأنما اجتمع فيه ضجيج الدنيا واذا ذهبوا فجلسوا على شاطئ الرمل الذى يعج بالغوانى والفتيات شعروا بوحدتهم ووحشتهم » .

وآمل أن تكون فى تعليقك مراعيا أنك فوق الأفـراح والأحزان المتولدة من الجلوس وحيدا أو بين الحسان ، كلا ولا بين جدران المساجد والكنائس والكهوف » .

المخلص — ع . ع . س المحامى

كلا يا سـيدى العزيز لست فوق الأفراح والأحزان لأنى بشر مثلكم ، ولى الحق فى الفرح والحزن ، ولى الحق فى الوحدة والوحشة ، والألم يطهر كالنار ، واذا لم يألم الكاتب ويرسم ألمه ويشاركه فيه قراؤه فمتى تكون الصلة الروحية بينهم ، ومتى يكون

التعاون النفسى والفكرى ؟ أليس العهد بيننا أن نكون على الخير سواء ؟ أليس خطابك هذا نفسه على ما فى ظاهره من نقـد وملامة هو فى حقيقته ألم وعزاء ؟ !

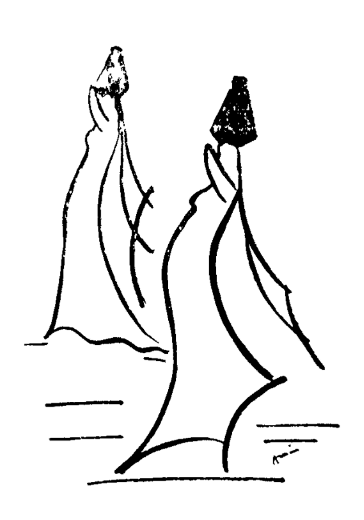
نحن إذًا قد ابتسمنا كثيرا وسخرنا كثيرا واجتزنا بلا ريب مراحل كثيرة فى بهجة ومرح، وانتصرنا للضعفاء، وتآزرنا فى الدفاع عنهم كتابا وقراء لأن الكاتب بغير قرائه لا يساوى شيئا .

واذا كان " نيتشه " الفيلسوف الألمانى يحتقـر قراءه ويقول : «إننا لو علمنا حقيقتهم لما سطرنا لهم حرفا» فإننى — والقياس مع الفارق — أحب قرائى وأتخيلهم دائما أمامى ، ولكن كيف لا تكون لى حرية الحزن وحرية الوحدة ؟ وكيف يفرض بعد كل الذى كتبناه أن نفوسنا لا تمر بمناطق فيها النور والظلام، وفيها الفرح والحزن، وفيها الضحك والبكاء ؟ !

ليست الوحدة جبانة ، ولكنها تطهر النفوس كالصوم . أليس الصوم عبادة ؟ !

وليس الزاهدون فى الحياة هم الذين قصرت همتهم دائما ،

وليسوا بالهاربين من الجلاد والتجربة والامتحان ، بل إن الوحدة هى درجة تصوف تصل اليها النفس بعد جميع التجارب ، وبعد الحرب العوان بينها وبين ميولها وبين الناس . أليست الوحدة هى التى تفصلنا عن البشر لتصلنا بالله ؟



*

أحـــلام طائر

أصبحت القاهرة مثل لندن و باريس فى حركة السيارات .
بل ان القاهرة بسياراتها أجمل كثيرا وأغنى من لندن و باريس .
ففى عاصمة الانجليز تجد سيارات الرولز رويس و بعدها مباشرة سيارات مسخوطة كالسلحفاة ... تستطيع أن تمشى تحت الأمنيبوس ! ... فتجد مظاهر الغنى الطائل ثم مظاهر الاقتصاد التام . ولا تجـد بين بين . وكذلك فى باريس فان السيارات إطـلاقا متوسطة الحـال ، متواضعة بالنسـبة للفخامة الـتى فى عاصمتنا لا سيما اذا قدرنا أن القاهرة فى حجمها وعدد سكانها ربع باريس ... واذا قدّرنا ان سـعر البنزين هنا ضعفه فى أوروبا .

ذلك أن الشرقى يميل بطبعه الى مظاهر الفخفخة والوجاهة .
يحب الزينـة ، والنفخة ، وليس ذلك فينا وحـدنا ، بل انه فى أسلافنا من عرب وفراعنة من أقدم الأزمان ، والأهرامات

التى جندوا لها مائة ألف شخص يتغيرون كل ثلاثة أشهر كانت جعلت لتكون قبرا ! ...

ومع ذلك فان للسيارة فوائد جمة . بعض الناس يركبها لأنه يحب أحلامه . فالسيارة تعزله عن العالم وتجعله فى عالم قائم برأسه، تجعله فى مجتمع نفسه . فيعيش بين ذكرياته وخواطره، يعيش بين ماضيه وحاضره . فلا يعانى آلام الاختلاط بالناس ففى كل خطوة مأساة . يعتزلهم بعض الوقت ترويحا لنفسه وحتى لا يألم لهم باستمرار . حتى يألم لنفسه اذا شاء، فان بعض الذكريات يقطر الدموع وبعض الذكريات يقطر الدماء ...

فهذا الجو النفسانى يحتاجه أهل الأحلام . وقائد السيارة عندئذ يقودها بعقله الواعى فى حين أن عقله غير الواعى، أو الباطنى، يكون فى دنيا لا تقل عن ألف ليلة وليلة ... دنيا طفولته وصباه، دنيا شبابه، دنيا رجولته ... يتذكر ويعيش فى الذكرى مع أحباب قدماء ضرب الدهر بينه وبينهم بسهم الفراق . وفى الحب الفراق محرّم ! ... يتمنى لو عرف هل يذكرونه

مثلما يذكرهم . وماذا يفعلون الآن ؟ ! هل يأكلون ويشربون ويلعبون ويمرحون أم أنهم قد انفصلوا بالروح كما انفصلوا بالجسد؟ !

ويشرف فى وحدته هذه السائرة المتعجلة التى ربما كانت على سرعة ستين أو سبعين كيلو مترا ، على الحاضر بعد ما انحنى على الماضى ... ويتساءل : ماذا يدخر الغد ؟ ! أى تعويض فيه عن الأمس ؟ ! أى أمل يرجى من دهر بخيل خؤون ؟ ! ويخشى أن تطوى صفحة الحاضر هذه دون أن يُخط فيها سطر يجعل لها قيمة . فليست صفحات العمر كثيرة . إنها محدودة معدودة .

فى السيارة يكون الرجل، رجل الأحلام، فى عالم وحده... تمرّ عن يمينه ويساره الناس كالأشباح . يحسدونه وهو غير سعيد . لأن قلبه حساس وشعوره حى . يحمل آلام فقرهم وبؤسهم وقذارتهم وجهلهم فى الوقت الذى هم أنفسهم لا يشعرون ببعض ذلك .. فهو يعيش لهم ولنفسه . ينفصل عنهم ولكنهم فى فؤاده، يحملهم ، ويحمل أشجانه ، ويحمل همّ الذين راحوا عنه وتركوه وحده ، يعانى الفوضى والظلمات .

*

معنى الحب !

ظهرت أخيرا لكاتب انجليزى كبير رواية تمثيليــة مؤثرة ، خلاصتها : أن ضابطا من ضباط الطيران خاطب زوجته الشابة فى لندن بالتليفون من باريس يخبرها بأنه عائد للحال فى الطيارة . ولكن العاصفة دهمته فوقع على الشاطئ البريطانى .

وتمر على الحادث بضع سنوات ، وما زال الضابط نصف مشــلول . نراه جالســا فى عربة صــغيرة هادئا راضيا ، بتلك الأعصاب الانكليزية المتينة التى تبتسم للموت كما تبتسم للحب ، تحوطه أمه التى تعبده عبادة ، وطبيبه ، وممرضة هى فتاة تتفانى منذ ثلاث ســنوات فى خدمته .

ولكنه ترك زوجتــه فى ذاك المســاء تذهب الى المسرح بصحبة أخيه الصــغير العائد من أمريكا الجنوبيــة . وعند ما تعود الزوجة فتدخل نراها تزهو بحسنها ودلالهــا ، يترقرق البشر فى محيــاها فيتململ من رؤيتهــا على هــذه الحال

الشائقة زوجها الذى يتمناها ولا يستطيع حراكا . وعندئذ تسير به ممرضته الى غرفته وتخلو زوجته بالشقيق ... فلا نلبث أن نعرف أنها خليلته، وأنها تعلم أن البوح بالحقيقة يقتل زوجها دون إمهال .

فاذا جاء الفصل الثانى وجدنا الزوج مسجى على فراش الموت ويذكر الطبيب تصاب الشرايين . وتطالب الممرضة بتشريح الجثة، فهى واثقة من أن مريضها قد قتل ؛ فقد اختفت خمسة أقراص كلورالين . ويستحيل أن يكون انتحر لأنه لا يستطيع الوصول الى هذه الأقراص وهو كسيح . وكل الظواهر ضد الزوجة فتحتج وتعلن براءتها، ولا تنكر حبها لأخى زوجها . وعندئذ يعطيها ضابط صديق للعائلة مسدسا لتضع به حدا لحياتها .

فإذا جاء الفصل الثالث حل اللغز بمفاجأة جديدة اذ تعلن الأم أنها هى القاتلة . وهذا الاعتراف يحول الرواية التمثيلية الى مأساة سيكولوجية أخلاقية . فالباعث على الفاجعة لا يكشف إلا فى الختام . فقد كانت الأم تعلم أن حب الزوجة هو العزاء

الوحيـد الذى بقى لابنها المشلول . كما تعـلم أن الزوجة الشابة بالرغم من تعلقها بالمريض لم تسـتطع أن تضحى له بحياتها . وهى تفهم خيانتها، وتسامحها. ولكن ابنها لا يلبث أن يعرف بها وهذه المعرفة أشد إيلاما له من الموت. فدست لابنها السم ليذهب عن الدنيا حاملا معه هناءه الأخير...

وعندئذ تخر الممرضة جاثيـة على ركبتيها عنـد قدمى الأم وتقول : «لقد أحببته أنت أكثر منى ! » ...

نحن بازاء زوجة تحب وتخون، وأم تحب وتقتل، وممرضة تحب وتكتم . ترى ... من التى أحبت الرجل أكثر من سواها ؟ ! أهى الأم كما يختم المؤلف روايته على لسان الممرضة؟ !... أليس حب الأم هو حب الفطرة، حب الغريزة، حب الطبيعة فى الدم والأعصاب المكتوب منذ الخليقة على التى تحمل ولدها تسعة شهر ؟ !

ولكن هذه الممرضة ، هذه الفتاة الغريبة عن هذا الرجل، هذه الشابة الحسناء ، هل من شك فى أنها أحبته حقا ، وقد خدمته ثلاث سنين تعلله وتدلله كأنه طفلها ! ؟ أجل ... أحبت

هـذه الفتاة مريضها المفلوج المربوط الى عجـلة ، وكان رجلا يتنازل فى الجو الأبطال ، فأصبح عاجزا يداعب الأطفال ، أحبته ، وكانت أمامها الدنيـا فسيحة حافلة بالحرية والقوة والجمـال والفتوة فآثرت أن تضحى بهذا كله ، وأن تخفى فى صميمها حبا كريما رحيما صادقا ؛ لأنه حب بلا أمل ولا رجاء ...

هذا هو الحب .

لأنه أعظم من حب الإنسان للإنسان ، أشرف من حب الحيوان للحيوان .



*

وفاء الزوجيـــة

جاء فى «الأهرام» أمس : أن أجنبيا توفى عن زوجتـه السيدة « أنّا أسطاسى » فحزنت عليه حزنا شـديدا جعلها تؤثر الموت على الحياة وتعتزم الانتحار، فأضرمت النار فى نفسها أثناء وجودها بمنزلها بشارع صلاح الدين، فأصيبت بحروق خطيرة ونقلت الى المستشفى فى حالة النزع .

أى أن هـذه السيدة عند ما يصل هذا العـدد الى أيدى القراء الأعزاء تكون قد ثوت فى التراب واستراحت وأصبحت من غير سكان هـذه الدنيا ، وتركتها لنا بخيرها وشرها ، وحبها وبغضها ، وغناها وفقـرها ، وفتنتها وغرورها ، و . وأيامهـا الفـارغة !

إن الإنسان ليلتفت يمنـة ويسرة متسائلا : أفى الإمكان أنه لا يزال يوجد فى هـذه الأرض الغادرة الخؤون مثل هـذا الحب العظيم ؟ !

ما أكثر الذين يعيشون من حولنا أزواجا أمام الناس وأمام الشريعة وهم أشدّ بغضا لبعضهم بعضا من الأعداء الالداء ! يأكلون على مائدة واحدة، ويخرجون للنزهة فى سيارة واحدة، ويجلسون فى الملهى فى لوج (مقصورة) واحدة، ويذهبون للزيارات جنبا الى جنب، مع أنه تفرقهم هاوية من الخديعة والاثم . رجل يأخذ من مال زوجته على أن يترك لها الحبل على الغارب تلتقى من تحب وتهوى . وامرأة ربطتها بزوجها أولاد واشتجرت لها مصالح مادية لاسبيل الى تفريقها بالحسنى، فارتضت من الدنيا اسمه ورسمه، وراحت تلعنه لعنة عملية يشاركها فيها غريب يحتقر الزوجين جميعًا . أو رجل تزوّج ممن لا يحب فأصبحت زوجته عنده خادمة تحضر طعامه وتربى أولاده، وليس لها منه أكثر مما لأية امرأة أجنبية تمر فى حياته مرور الطيف على المرآة من حين الى حين !

وما أكثر الذين يعاشرون بعضهم بعضا ويتمنون لبعضهم الموت العاجل ولا يصبرهم على الضيم والكره إلا الطمع فى الميراث !

وما أكثر الذين يعيشون من حولنا لا يربطهم حب ولا كره ولا يعرفون من الزواج إلا أنه سنة تتبع وشر لا بد منه!

ولكن هل الزواج هو العقد الذى يوقعه المأذون أو الكاهن؟! هل هو المهر الذى يدفعه الزوج المسلم أو الزوجة المسيحية أو الإسرائيلية؟! هل هو البيت الذى يمتلئ بالفراش الوثير حتى يطفح؟! هل هو النفع المادى المتبادل، هى بعزبتها وبيوتها وهو بشهادته ومركزه؟! هل الزواج هو هذا لا أكثر ولا أقل؟!

أسئلة تنتظر الجواب.

أما أنا فقد ذابت نفسى حسرة على أن يمحى من الوجود مثل حب «أنّا أنسطاسى» لزوجها، فان مثل هذا الحب هو جوهر الخير ونعمة الوجود.

ومن يعرف كيف يحب يلق الله!.

*

الرزق الروحى

أيام تتشابه . ليال بعضها يقتـل البعض نعيشها على الرغم منا . نضحك ونمرح أحيانا خديعة لأنفسنا . إن الفرح الحقيق لا يعرف إلا النفوس التى لم تعد من هذه الدنيا . ونحن منها . أعمالنا تربطنا بالناس ، وفى كل خطوة يصدمنا الناس بسخائمهم وشرورهم ودسائسهم وحسدهم .

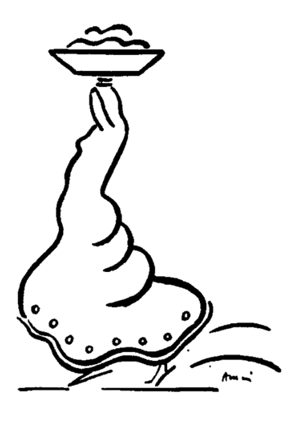
أين الفرار من الناس؟ إن ذلك الشاب الذى أرسل يسألنى الهجـرة يبحث عن طلب الرزق ، وأنا أقـول له خذنى معك فى طلب رزق آخر ، الرزق الروحى . إنه يريد السفر الى البرازيل وماله قليل ، ويسألنى بيانا وتفصيلا وتشجيعا .

أما البيانات فليست عندى ، وأما التشجيع فإنى أكيله له كيلا ، ولكن لا بدّ له من معين ، هـذا المعين ليس بيدى ، لأنه من قلبـه ، ومن يساعد نفسه يساعده ربه . فليفصـل ما يراه فى نهـاره تفصيلا ، وليقـل لى ماذا يفعل بين الفطور

والغـداء والعشاء؟ ماهى أحاديثه العذبة ؟ ماهى الصلة القوية التى تربطه بالوجود وتجعله اذا حان وقت النوم كره النوم لأنه يفصله عن السعادة ؟ فاذا لم يجد من حوله شيئا فماذا ينتظر ؟ ليحمل (خُرجه) على ظهره ويسير لا يلوى على شيء ، ليضرب أبواب المنـازل القروية فى الطريق ليقدّموا له خبزا ناشـفا وبصلا . وربمـا قدّموا له بعض (البيسارية) المقليـة . إن الفقراء أكرم من الأغنياء . فاذا كان يسألنى فى التحاقه بالباخرة ليخدم بهـا فانى أنذره بأن ذلك ليس من الهنات، فان خدمة البواخر تتطلب شجاعة وجلدا ومغالبـة للنفس تفوق التصوّر . وقد يحمل الفحم الى الأتون الذى كأنه طاقة من جهنم فيتصبب عرقا قبـل الدنو منه ويفعل ذلك ويكرره حتى تنهدّ قواه . ولكن ذلك خير له ، لأنه عنـدئذ يكون مجاهدا فى الحيـاة ، يكون رجلا يصنع حياته ويبنيها حجرا حجرا فى أفق طليق بعيد عن المراءاة والغش والنفاق ...

وعند مايصل الى تلك البلاد العذراء فليترك المدن ويقصد القـرى . بل ليقصـد الغابات والأحراش . وليعش مع الطير

ويؤاخى الحيوان . ولينس ماضيه كله وليبـدأ صفحة جديدة لا يقصد منها جمع المـال ولكن أن يعيش طاهرا ، على الفطرة ، يحب ويحب ، يتزود بالتقوى ، ويجتهد فى أن يسعد انسانا آخر فى كل هذه الدنيا ، فهذه هى رسالة الانسان ، ووالله إن إسعاد إنسان واحد لكثير ! ...



*

البطون الملعونة

فى الصبح المبكر من يوم الخميس الماضى وجد نجار على باب دكانه بالفجالة وهو يفتحها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، لقيطا ملقى على ظهره ، كانت نظرته الأولى الى الحياة شكوى الى السماء من ظلم الانسان . فأحضره الى قسم الأزبكية فأطلق عليه الضابط اسم اليوم الذى وجد فيه « خميس » ! ... وأرسله الى قصر العينى وما زال حيا ، وعملت قضية ضدّ الأم المجهولة لتعريضها هذا الطفل للخطر . ولم يكن هناك أمل طبعا بأن تضبط هذه الأم أو تعرف يوما ما .

وفى اليوم نفسه أرسل أحد الأطباء إخطارا للقسم بأنه استدعى لإسعاف مريضة فلما كشف عليها وجدها فى حالة غيبوبة واتضح له أن ذلك بسبب الوضع .

فاشتبه (البوليس) فى أن تكون هذه المرأة هى أم لقيط الصباح وانتقل الى البيت فوجدها فى المطبخ غائبة عن رشدها ،

وظهر أن هـذه المرأة هى خادم بالبيت وقد حملت سـفاحا وأخفت ذلك عن مخدوميها ، وتناولت عشاءها ليـلة الوضع وقامت بخـدمة البيت كالمعتاد ، ثم دخلت المطبـخ وولدت وحدها دون أن تأتى بحركة أو ترفع صوتا خشية الفضيحة حتى ولدته ، ثم ألقته تحت نافذة المطبخ ، فقسم لها أن تذهب فى أثر ولدها الى مستشفى قصر العينى .

فلنقف لحظة لا نكتب فيها ولا تقرءون حدادا على هذه المأساة . إنها رمز لعشرات المآسى التى تقع كل يوم بين سمعنا وبصرنا .

فلنتأمل كيف قضى الأمر . هذه امرأة أريد أن تتصوروا شـعورها بالجنين تسـعة أشهر ، وهى خادم ذليلة ، حياتهـا منوطة بلقمتها ، كل يوم تخشى مائة مرة أن يكتشفوا عارها ثم تصـوّروا ليلتهـا الموعودة ، كيف خدمت على المـائدة ! وكيف انصرفت تجر أذيالها ! ثم كيف جاءها المخاض ! كيف تلد امرأة دون أن تصرخ أو تستغيث ! ونحن نعلم كيف تصرخ المرأة ساعة الوضع حتى يبلغ صراخها عنان السماء . كيف تنزع

الحياة من الحياة لتخرج الجنين من أحشائها فى صمت وسكون؟ ! أليس هذا دليل حياء غريزى وضمير حى وشعور عظيم بالعار ؟ ! أليس فى كتمان الألم الفظيع الى هذا الحدّ يقظة الحزن والندم واحتقار البشرية والاستخفاف بالحياة ؟ !

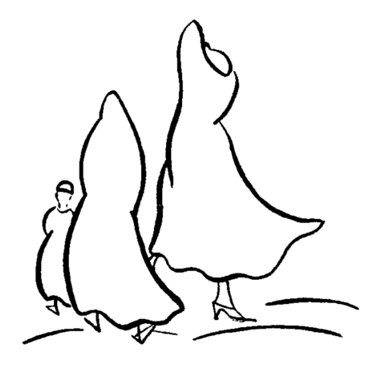
وكيف جرؤت بعد هذا العناء المهول كله أن ترميه من النافذة ؟ ! أى شعور خالج تلك التى ما رأت وجه ابنها حتى بدا لها شيطانا فأفلتته من يدها الى هوة سحيقة من الدور الثالث ؟ !

إنها دفعت ثمن طيشها وزلتها دون ريب . ولكنها ستدفع فى الغد أضعاف ذلك أيضا ، فقد مات الطفل، وها هى ذى الآن تحوط سريرها فى قصر العينى العيون والرقباء، فإن بانتظارها حكم القضاء باعتبارها مجرمة قاتلة نفسا حرم الله قتلها .

وهذا صحيح، وهذا حق . ولكن ! ... ان هناك رجلا نذلا يلهو الآن ويمرح ويبذر الإثم والشر مع غيرها وغيرها فى كل مكان ولا يحصد شيئا، وهو الذى أورثها هذا الشقاء

كله، ولا يُسأل عمـا يفعل، لأن القضاء، ولو عرفـه،
لا يستطيع بحكم القانون أن يمداليه يدا .

ولكن يد الله فوق أيدى البشر .



*

موكبان

الساعة السابعة مساء، فى محطة القاهرة، ثانى أيام العيد .
ليس فى الساحة الواسعة موضع لقدم . قطرات (بحرى وقبلى)
واصلة تجر عددا عديدا من مركبات الدرجة الثالثة . فترى
خارجا من بطن الأرض تلك القافلة التى لا آخر لها ، المكونة
من (الصعايدة) الأشداء يحملون زكايب الخبز و (الكشك
والفريك والبتاو) . حمل ثقيل الوزن زهيد القيمة ، علامة الفقر .
صياح وجلبة تصم الآذان ، دليل الجهل . رباه ! ... هل كل هذا
الجيش من المواطنين سيعيش الشهور الطوال على ذلك الخبز
الناشف كالحطب ، كالحجر ؟ ! هل كل هذا الجيش لا يعرف
اللحم الا مرة فى الأسبوع ولا الفاكهة الا مرة فى الشهر ؟ !
هل كل هذا الجيش لا يعرف القراءة والكتابة ؟ ! هل كل
هذا الجيش لا يعرف تاريخ بلاده ولا جغرافيتها ولا ماليتها
ولا حضارتها القديمة ولا الجديدة ؟ ! هل كل هذا الجيش

يعيش رزق يوم بيوم ؟! هل كل هذا الجيش منا وليس منا ، محسوب علينا وهو مع ذلك منفصل عنا؟! ننظر اليه نحن الذين تعلمنا شزرا، واذا اقتربنا منــه نفرنا ، واذا تقــدم الينا عبسنا وتولينا، واذا سألنا خدمة أعرضنا ؟ !

والى جانب هذه القافلة الهائلة القادمة قافلة أخرى راحلة، قافلة فى ثياب بهيجة أنيقة، قافلة آتاها الله من فضــله وآثرها بالدنيا ، قافلة الســياح . على حقائبهم الجلدية بطاقات ملونة من فنادق «ونتر بالاس ومينا هاوس وشبرد» . تجد عليها معبد الكرنك أو الأهرام أو زهرة اللوتس .

موكبان يتعارضان ، موكب ألوف الجنيهات ، وموكب الملاليم المعــدودات . موكب النزهــة والتمتع ، وموكب قطع الصخور لأكل البصــل والخبز القفار . موكب المرح والرقص والموســيقى والخمر والآثار والبواخر، وموكب الخــدم و باعة (اليانصيب) والفعلة .

هل سيحشد هؤلاء جميعا جنبا الى جنب يوم القيــامة ؟ هل ســتعوض الدنيا على من فقــدها وهل ستعطى الآخرة لمن

أحسن عملا ؟! أو هل ستعطى الآخرة لمن قـدم صالحا ؟!
أو هل ستعطى الآخرة لمن عاش فى الذل والحرمان ؟ !



*

بائع الدقة !

« هو شيخ يبلغ الثمانين، قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا ، يدب في الأرض متكئا على عصاه التي تكاد تنوء به ليبيع التوابل المسحوقة (الدقة) في لفائف من القرطاس الخشن كل واحدة بمليم واحد سدا لرمقه . تقدم اليه كريم من ذوى الإحسان وأنقده قرشا صاغا وشاء أن يتأدب في إحسانه بأخذه لفافةواحدة جبرا لكسره . فاستفز التعفف فيهذا الشيخ الفاني كبر ياءه وأبى أن يسيغ هذه المنة إلا على أساس السعر الحق في البيع والشراء، وقد أنطقته العظمة الحقه بالقول الفصل ألا وهو : (معاذ الله أن أكون كما ظننت لقد أغناني الله من فضله) .

فهل في البانثيون المصرى المزمع إنشاؤه متسع لهذا الرجل ؟

وهلا ترى أيها الأستاذ الأصيل أن هذا الرجل قد أملى علينا تعريفا للعظمة في أظهر معانيها ؟ » .

رأس البر — علي فهمي شمس الدين

* * *

كلا ياسيدي فليس في مدافن العظماء أماكن للفقراء ...

وأمس ، وأمس فقط ، كتب أحد الشبان كلمة في إحدى

زميلاتنا يتأفف فيها ويشكو ويتألم لأنه شاهد مريضا من مرضى قصر العينى ! !

هذه هى أخلاق طائفة كبيرة فى هذا البلد ممثلة فى كلمة، الإنسانية منهـا براء . فنحن، دون أن نكون عظماء ولا حتى أنصاف عظماء، ننظر الى من هم دوننا باشمئزاز، والى الفقر باعتبار أنه رذيلة الرذائل . مع أن الفضائل تصدر عن الأكواخ قبل القصـــور .

ولكن هؤلاء الناس الكبار النفوس ، كذلك الشيخ الذى وصفته لنا ببراعة، ليسوا فى حاجة الى أن يدفنوا فى مدافن الكبراء. تكفيهم تلك القبور من الكلس والحجارة المتهدمة فى صحراء محرقة، بعيدين عن الطبل والزمر، وعن العطور والبخور، وعن المرائين والنفعيين ، والمدّعين والمنافقين، لأنهم بفضائلهم وتواضعهم، فى الدنيا والآخرة، فى نعيم مقيم .

أما أولئك الكبراء الذين سيحشدون فى «البانتيون» المزمع انشاؤه، فسوف ترى كيف يكونون محل القيل والقال، والأخذ والرد، والجدال والنزاع، وتختلف فى مزاياهم وعيوبهم الناس

شيعا وأحزابا ، و يغضب البعض لأنهم يجمعون بين الأضداد، و يقولون إنهم لو كانوا أحياء لما اتفقوا فكيف تدفنونهم فى صعيد واحد ! . وما الى ذلك .

دع صاحبك بائع الدقة بعد مماته مستريحا يا أخى يكسب « قراءة الفاتحة » من حين الى حين كلما مر بقبره فقير معدم مثله . وكفاه ماعاناه فى حياته من ازدراء الأغنياء واحتقار الكبراء.



*

الإيمان والحب

نقص عليك اليوم قصة فريدة تدعو الى التفكير العميق والتأمل الطويل، قصة وضعتها امرأة جمعت فى سطورها أجمل التحليل وأدق الوصف للعواطف، قصة فيها نفوس نبيلة، مخلصة، طليقة، مقيدة، رحيمة، قاسية، تتيه فى بيداء الحب باحثة عنه كاملا، حائرة، مقسمة المشاعر بين حب الله وحب البشر.

هل يمكن أن يكون الله جل جلاله منافسًا للرجل فى قلب المرأة يزاحمه عليه ويأخذه من دونه؟! أو أن يكون منافسًا للمرأة فى قلب الرجل يستولى عليه ويجعل حبه إياها هواء؟!

توجد قصص يكون الله فيها منافسًا للرجل فى قلب المرأة، فيحاول الرجل عندئذ الدفاع والنضال، تحرقه الغيرة ويثيره الغضب، فيتمرد على الأرض والسماء جميعا. أما فى قصة اليوم الطريفة فعكس ذلك. فهو الرجل الذى

لكى يهب نفســه لله قد انفصــل عن زوجته ، وهذه الزوجة لأنها امرأة، بدلا من أن تناضــل وتقاوم، تتحد مع المنافس، وحبا فى زوجها تبحث عن حب الله وتجمع بينهما وتقدم جسمها وروحها قربانا ، ولكنها مع ذلك تفشــل آخر الأمر لأنهــا قدرت قواها بأكثر مما هى فى الواقع، بيد أن النضال فى حدّ ذاته له روعته وعظمته إذ أنه مأساة إنسانية مروعة تمزق الفؤاد .

أما بطلة القصــة فقد تزوّجت من طبيب قبيــل الحرب وكانا كلاهما ممتــازا بالقلب والعقــل . وضربت بينهــما الحرب بسهم الفراق ، ثم جمع السلم بينهما، ولكنهما إذ التقيا بعد هذه السنين الطويلة، وهذا الانزعاج على سعادتهما، شعرا بأنه قد بقى لهما ضرب من القشعريرة الروحية،ضرب من القلق الخفى . وفى خلال رحلة لهما مرا بدير كان للزوج فيه صديق، فشعر بأن الديرينّاديه، وأنه بحاجة الى العزلة والسلام، ولمــا تحدت زوجته شعوره ووصفته بالخيال قال لهــا : من السهل وصــفه عندك بالخيال طالمــا أن العلم به فوق طاقتك . فلمــا

أدركت أنه قد انخرط فى سلك الرهبنة دون أن يثق بها ويبوح لها شعرت بأنه قد خان عهدها فثارت ثائرتها وانفجر حبها .
ومنذئذ والنضال كل يوم فى ازدياد . وكان المثل الأعلى الذى اجتذب زوجها يغريها بالشجاعة ، أو بالأحرى بالقسوة ، فحاولت أن تجد الهداية حيث اهتدى ، حتى لا تفقده تماما ولا تحرم من تفكيره بها ولو لماما .

وأخيرا إذ شعرت أن سعادة الرجل الذى تحبه هى فى الدير ، أقنعت نفسها بأنها هى أيضا مجذوبة بانجذابه . ذلك ان المرأة لا تجد برهانا على الحب أعظم من التضحية . تلك التضحية التى يتقبلها الرجل دائما قبولا أعمى مدفوعا بأنانيته العمياء .

ولكنها كانت قد خدعت نفسها . فغادرت الدير بعد سبع سنين قضتها فى آلام ، وراحت فى كل أنحاء الدنيا تجر ذيول اليأس من حب لا دواء له ولا شفاء منه .

وعند ما راحت ترى مرة أخرى ذاك الذى كان زوجها وظل ربها ، تخلى عنها وغادرها فى خلال زيارتها القصيرة أكثر من مرة ليعنى بأشغاله وطقوسه ، فقضت نحبها .

يا لهـذه النفس الحائرة المعـذبة الحزينـة! . لم يفهمها الرجل ولا القس لأنها روح أنثوية، نقية، فياضة العواطف، فألقيا بها فى غياهب الدير، كما يلقى الكافر فى النار .

أما رئيسـة الدير فهى التى فهمت قلب المـرأة فأطلقت سراحها، وردت اليها بعـد سنين حريتها . ولكنها للأسف كانت الحرية التى ستقضى منها نحبها .

لقـد غادرت الدنيا بعـد ما غفرت للدنيا ما أصابها من أحزان . فالحب يأمر بالصـفح . ولم تتهم أحـدا . ومع ذلك فالرجال هم الذين ألقوا بهـا فى هـذا اليأس والقنوط ، وحرموها — لا أدرى باسم ماذا — من الخير الوحيـد الذى كانت تستطيع أن تحيا به .

وهكذا نرى فى هـذه القصة كيف تحارب أرواح كلها شريفـة ، طاهرة، كريمة ، متحابة ! وكيف تقسو فى الحب قسوة غريبة . وكيف تنزلق من الايمـان الى الخطأ ، وكيف تعيش بالحب، وتموت بالحب !

*

الناس السعداء

يعدّ «هرمان كستن» الآن من بين جميع الروائيين الألمان أشدّهم طرافة وأكثرهم إصالة ، فى أسلوبه التعمق والشمول والتشكك اليقظ، والمثل الأعلى بلا أوهام، والغضب يختفى وراء التهكم ، فى أسلوب سريع قاطع كضربات السيف ، ضرباته التى تقع مع ذلك على نغم الموسيقى . وهذا الأسلوب المباشر يكاد يحاكى أسلوب «أندريه چيد» . وميله الى رسم المتناقضات وإلى التشييد والبناء الجرىء يقربه من «چيرودو» . ورواياته المشهورة «رجل مأفون» و «چوزيف ينشد حريته» و «زواج حب» قد ترجمت الى جميع اللغات الأوربية .

أما روايتـه الأخيرة « الناس السعداء » فقد صوّر لنا فيها المجتمع الألمانى بعد الحرب ، وعرض واقعة حب عظيم اجتمع فيها كل ما يمكن أن يحزن أو يضحك ، دون أن يتأثر، فقد أراد أن يبقى فوق عالم متخبط معتوه محزون كاد الشر فيه

يهزم الخير. وقد عرضــه لنا كما هو بكل بشاعته وكل ضعفه، ولم يشفق على بطليه الشابين، ولم يشفق على من يحيــط بهما. فعرض لنا أيضا البيوت التى واجهتها نبالة وأصل عريق وهى تخفى وراء جدرانها النذالة والطيش. وسير أمامنا فى كتابه موكبا من الوجهاء السخفاء، وصغار المستخدمين، والتجار المفلسين، والصحفيين العــاطلين ، والمغامرين الجائعين، ودنيــا بأسرها لا تحترج دون منكر أو محرّم، تحمله أحيانا على العطف والرثاء لها، وأحيانا على الســخط والاشمئزاز منها . فهو يحتقر أشخــاص رواياته و يرثى لهم . وهــذا المزيج من السخرية والشفقة هو الذى يجعل لأسلوب «هرمان كستن» لونا خاصا به .

«ما كس» مهندس بلا عمل، وهو رجل مثقف، قد أحفظه البؤس فضاق منه خلقه واحتدّ طبعه ، و «الزا» حبيبته، ابنة تاجر مهدّد بالإفلاس ، دونه تعليما وأشــدّ منه هوى ، يتحابان بقوّة و يريدان الزواج ولكن المــال يقف عقبــة فى سبيلهما . مثلما نرى هنا فى مصر وفى كل مكان الحكاية ذاتها والأشخاص أنفسهم والأســباب عينها . يلتقيانـــ كل مساء فى الشارع

أو فى مقهى يتناقشان ثم يتعانقان، يتحدّثان عن الحب ثم عن الفقر، حتى يكشف أبو الفتاة أمرهما فينهر ذلك الفتى المفلس الذى يغوى فتاته ، ويسأله كيف يحب ويعشق وهو لا يملك أبيض ولا أصفر ! ثم يعترف له أنه أعطى شيكا على البنك بألفى مارك إغاثة لصديق له فى حالة عوز وضيق ولكنه بلا رصيد، فاذا أحضر له فى خلال سبعة أيام هذا المبلغ زوّجه من ابنته الزا . فهذه المائة جنيه هى ثمن هناءة الشخصين، تشرى بها حياته وحياتها . ومن أين له ؟ . لقد فعل المستحيل فلم يفلح . فالمال إذاً هو تلك القوّة الهائلة المشئومة التى تقف فى وجه الهناءة . إذاً قد تحول فى مجتمعنا العصرى : الحب، والصداقة، والشرف والمصير، والسعادة الى أشباح هاربة، وظلال زائلة، وألوان حائلة أمام الحقيقة الوحيدة المجردة ! .

لم يجد «ماكس» المائة الجنيه، وحمله الحب على الشحاذة وسؤال الناس فى الطرقات ، وعلى التهريج وعلى السرقة . ولكنه على هذا كله قد عجز عن إنقاذ أسرة حبيبته . قال لها

مرة : إن الابتسامة تباع والصداقة تباع والحب يباع والرجل يباع ويشرى .

ثم يجىء الرجل السـعيد ، تاجر غنى سمين جميـل يعشق « الزا » ويعرض مبلغا هائلا على أبويها اذا تزوجت منـه . ولكن «الزا» تأبى . فيقبض على أبيها ويسجن وتموت أمها من الغم والهم . فتجرى الى حبيبها ، الذى كان يتعقبـه البوليس لاشتراكه فى سرقة، فينزعج ويطـرد حبيبته الوفيـة صارخا : « إننى لم أعد أحبك ، وأنت تعـرفين الآن ذلك، بل وأكثر منه ، فاننى أمقتك! . إننى أمقت كل شيء فيك : رائحتك ، وجهك ، جسمك ، مشيك، صوتك، كل شيء كل شيء! . وأننى أخاف منك، فاذهبى عنى، انصرفى !، أنت تجلبين لى النحس، أنت طالع شـؤم على كل من يتصل بك . اليك عنى ، أبعـدى ، فـا أشـد كرهى لك ! لقـد جعلت منى شـقيا . وقبل أن أعرفك كنت فتيا ، والآن أصبحت هرما . وكنت قبلا أثق بالناس والآن أصبحت اكفر بكل

شيء . وكنت قبــلا رجلا والآن أجدنى حيوانا . فذنب من هو ؟ ! إنه ذنبك أنت ، أنت وحدك المذنبة ! » .

فخرجت « الزا » تتعــثر فى أذيالها ، وتجتر همومها ، وبآخر قرش فى جيبها اشــترت تذكرة لركوب المترو ، ثم ألقت تحت القطار بنفسها .

هذا هو جزاء الحب والوفاء والتضحية فى هذه الدنيا التى يعــد المــال ــ والمــال وحده ــ (ديكتاتورها) وحاكمها المطلق المستبد .

*

الأولاد

قرأت سيدة فاضلة رواية الكاتب الشاب «هرمان كستن» التي لخصناها في هـذا الباب فكتبت الينـا تقول : ان من هذه المآسي يوجد الكثير بيننا . وضربت لذلك مثلا نفسها . فهي سيدة متزوجة منذ سبع سنوات . ولم يكن زواجها زواج حب . ورزقت ثلاثة أولاد من زوج متعلم تعليما راقيا في مصر وأوربا . وليست بالجاهـلة وان كانت دونه معـرفة باللغات الأجنبية والثقافة العامة . وكانت حياتهما بين بين لا تعدّ سعيدة ولا تعيسة . وذلك بفضـل احتمالها طباعه الحادة التي لم يكد يحتملها أحد من أهله ، ثم طرأ على عمله بعض التغيير وانتقل الى وسط آخر، وكانت ترجو أن تحسن أخلاقه فاذا هي قد ساءت وصار لا يعود الى البيت أكثر الأيام إلا بعد نصف الليل وهي تترقبـه طبعا . وما كانت لتسـتطيع في تلك الحالة أن تهش له وتبش فلا تقـول كلمة واحدة حتى ينفجر كالبركان قاذفا ما لا

يليق بالرجل المهذب . ويمثـل دور « ماكس » مع « إلزا » فى تلك الرواية . ويقول لها إنها عار التصق به، مع أنها أشرف منه حسبا ونسبا . وهى وان كانت ليست فائقة الجمال فإنها تعد جميلة وسنها مناسبة، وهو يبرر عمله بقوله إنه رجل يشتغل طول النهار فيحق له الذهاب من شغله الى (فسحته) ناسيا أن هناك فى زوايا بعيدة مَن هى واقفة حياتها على خدمته وإسعاده . ففى عرفه أن تلك التى تدعى شريكة حياته ليس لهـا الحق فى أن تسأله أين كانـ، لأنه رجل وليس بحاجة الى وصى . فتفكر بدورها أحيانا أن تحذو حذوه وتذهب الى (السينما والتياترو) ولا ترجع إلا بعد نصف الليل ، ولكن شرفها وأصلها يحولان دون ذلك . وهما مسيحيان لا يجوز لهما الانفصال .

وتختم السيدة رسالتها بقولها : « ما قولك فى رجل عصرى هذه حياته مع زوجته وأم أولاده، وأولاده ... فكلمة منك ! ... لعلهـا تكون الدواء لدائنا . أنا لا أجهل أنك انتقادى صعب ولكن حكمك مقبول مهما كان » .

وانى أؤكد لسيدتى أننى أتمنى من صميم نفسى لو ردت اليها

كلمة أو كلمات فردوسها المفقود. و ياليت هذا الصوت الضعيف يصل الى مسامع زوجها، والى مسامع ألوف الأزواج الذين ينسجون على منواله . وليست العلة عنده على ما أرى متأصلة، بل هى عارضة، فلابد للسيدة من أن تدرسها لتدركها . فهذا التغيير الذى طرأ على عمله والوسط الذى انتقل اليه هما سر الداء . فما هو هذا الوسط ؟ وما سر جاذبيته الجديدة ؟ وهل هو خطر حقيق على أخلاقه أم هو نزوة عارضة ؟

إن أخلاقك قوية بدليل احتمالك مالم يحتمله أهل زوجك. ففى هذه الأخلاق معين عظيم للمرأة المحبة، والأم الحنون، تستمد منه الصبر والتريث فلا تيأس سريعا بل تتربص للفرص حتى تسنح فتنتهزها وتستغل لحظات الحنان والحب التى لا بد أن تمر بهما . وإنى أتمنى عليها ألا تعبس له ولا تتولى عنه وهو عائد نصف الليل، فقد يكون فى تلك الحال متلف الأعصاب، شاعرا بالضجر والملال ممن كان بينهم من أصحاب أو رفاق انما يغشى جماعتهم بحكم العادة . فكيف ترهقه فوق ذلك بالتعنيف فى اللحظة التى يجب عليها فيها أن تكون المتسامحة

مع المذنب، الفياضـة بالعطف على النَّفور، الشاعرة بضعف الرجل ، المدركة لما هو فيـه من كلال وملال ، من النـاس ومن نفسه .

فليس بقاء الهناءة في الزواج إلا موقوفا على استمرار تلك الدراسـة من جانب الزوجين لنفسـية كل منهما . واذا كان معاوية يقول : « والله لو كانت بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت قط . كانوا اذا أرخوها شددتها واذا شدوها أرخيتها» فلماذا لا تكون الحياة الزوجيـة على هـذا النمط من السياسـة (والدبلوماسية) ؟ !

إن السعادة المطلقة، السعادة الكاملة لا توجد أبدا، لا فى العـزوبة ولا فى الزواج . ولكن اذا كان بين الزوجين ثلاثة أولاد فهم أقوى، دون أى شك ، من تلك الشعرة التى يتخيلها معاوية بينه وبين الناس .

فمن أجل هؤلاء الأولاد ، لا من أجل أشخاصنا المـادية وميولنا الزائفة، ينبغى أن تتسامح المرأة وأن يستقيم الرجل .

*

أين تضع قلبها ؟

« فتاة متعلمة راقية جميلة من عائلة كبيرة يتمسك أهلها بالعادات القديمة ، تقدم لها خطاب عديدون كلهم كفء لها ، بل تمناها من هم أعلى منها مركزا ، وكان نصيبهم جميعا الرفض من والدها لا لسبب سوى أنه مدين ، مع العلم بأنه كان فى إمكانه تلافى هذا الدين لو أنه فكر ولو قليلا فى مستقبل ابنته التى تجاوزت الآن العشرين من عمرها بكثير . والآن ياسيدى لم يعد لها أى أمل فى الزواج لانقطاع الطالبين ، فماذا تفعل الفتاة فى هذا الموقف ؟ ألا يحق لها أن تحب وتتمتع بالحياة ! ولو لتنتقم لشبابها الضائع إذا كان الحب يعد انتقاما ، أم تصبر وتتحمل ما يخبئه لها المستقبل المظلم من الآلام ؟ وبعد ذلك يلومون فتيات اليوم ويشكون من انتشار الفساد وسوء الأخلاق ، ويعزون اليهن السبب فى إحجام الشبان عن الزواج ! فما رأيك فى هذا الأب القاسى الذى لا يفكر فى شىء سوى المال ؟ فمن المذنب أهو أم هى ؟ منتظرة كلمتك فى هذا الموضوع الذى يهم الكثيرات لأن هناك مئات من الفتيات فى مثل هذا الموقف » .

حائرة

نعم ياسيدتى لها حق الحب والحياة على شريطة أن تعرف أين تضع قلبها . صحيح إن هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك أن يلقى برأس ماله كله فى البحر ، ويجلس بعد ذلك على

الشاطئ يندب سوء المـآل. بل إن المـال الضائع قد يعوض، أما القلب المنكسر فهيهات أن يجبر .

والفتاة المصرية ياسيدتى قلما تعـرف كيف تحب ، لأنه لا سبيل لها الى اختبار النفوس، فهى لا تكاد تحب إلا الوجوه التى كثيرا ما تكون خادعة، وهى بسيطة جدا تعتقد أن كل نظرة حنو تخفى وراءها حبا مبرحا صادقًا .

ولست أدرى كيف يكون دين أبيـك عثرة فى سـبيل زواجك ؟ ! أفلا بد له من أن يجهزك جهاز الزمن الخالى الذى كانت تدفع فيه الألوف ولا يستعمل منه شىء؟ ! إن الحضارة قد أرتنا أن أجمل البيوت هى أبسط البيوت، وكلما اكتظت بالفراش والرياش قل سحرها وأصبحت أقرب الى الدكاكين .

وأنت كما تقولين فتاة متعلمة راقية جميلة من أسرة كبيرة ، ويوجد مائة ألف شاب يتمنون بعض هذه الصفات فى شريكة الحياة ولا يهمهم دين أبيهـا . ولعله إذ يقرأ هـذه الكلمات يذكر واجبا نسيه فيسدّد دينه الأدبى نحوك بتزويجك كما يحرص على تسديد ديون الناس !

*

بغير حب ... و بغير أولاد

لله ما أعجب الأدوار التى يمر بها قلب الإنسان ! ...
كيف يمكن أن يؤمن اليوم بأشياء كان يكفر بها أمس ؟ ؟
كيف يمكن أن يتحول و يتنقل و يظل القلب قلبا ؟

قارنوا بين الرجل قبل الزواج و بعده، بماذا كان ينظر الى الطفل يحبو على الأرض؟ ! و بماذا كان ينظر الى حنان الأب؟ ! أليس باعتباره نوعا من الضعف ؟ ! ثم هو يتزوج و يوجد له ولد فلا تسعه الدنيا و يصبح الجبار أمام طفله كالطفل ! .

حدثنى منذ أيام صديق الدكتور ن ... عما يلقاه من متاعب الحياة ، وان جميع هذه المتاعب ينساها و يطرحها ظهريا عندما تدخل فى الصباح بنته الصغيرة التى لا تتجاوز السنتين وتلعب تحت سريره، حتى تجمع له «فردتى البانتوفلى» وتقول: « السبسب ... بابا ! ... » .

كنت أسمعه معجبا مندهشا، اذ كان يتكلم بأى روح ! ...

هـذا الرجل الذى درس الطب وعاش فى بلاد الغربة بعيـدا عن أهله، ورأى ألوف المرضى فى حالات خطر وحالات يأس، كنت تجده إذ يتكلم عن الطفل كالطفل ! ... .

وأمس ماتت الصغيرة التى لا تتجاوز ستة أشهر كريمة صديق الأستاذ ح. ج. ما سلمت حتى ودّعت . لم تأت الا لترحل. عبرت الطريق لتودع بعض الألم لمجيئها وكل الألم لذهابها ! ... يا للعناية التى بذلت فى سبيلها ! ويا للسهرات التى ضحيت من أجلها ! ويا للأمانى التى كانت معقودة عليها ولها ! ... .

كنت أراه يداعبها ويلاعبها فلم أقدّر حبه إياها حق قدره، ولكننى إذ رأيته من بعيد، يوم موتها، عرفت كيف يكون حب الوالد والحزن على الولد .

إذًا فنحن الذين نعيش بغير حب وبغير أولاد لا نعيش بكل قلوبنا . إنما نعيش ببعض هـذه القلوب، فلسنا نحس الحياة فى صميمها بل على هامشها ، فتجاربنا محدودة ومشاعرنا منقوصـة .

وليس للذين يألمون فى هذا السبيل من عذاب الولد إلا أن

يحمـدوا الله ، فهو سبحانه قد فتح لهم مناطق للحنان وللحب لم يعرفها الكثيرون . واذا كان يشـوبها أحيانا بعض الحرمان فان رحمة الله كفيلة بأن تعوّض المفقود وتجبر الفؤاد، وعندئذ يشرق نور جديد على حنايا القلب الحزين ! ...



*

الوفاء كالنـار

عود الى حديث القلوب . وسـبحان الذى أسكن فى كل قلب ما أشغله ! انظروا الى رجل آخر غير الأب الهائم بابنـه، الرجل الذى يحب ولا يرى فى الدنيا غير محبوبه . وقد يكون ذلك المحبوب لا يسـتحق الالتفات ، تمـر به ألوف النـاس ولا يلقون اليـه بالا، ولكن المحب يمر بألوف النساء الفاتنات ولا يشعر بوجودهن، لأن الدنيا لا تسع إلا التى اختارها قلبه . وكنا أحيانا نرى فى البلدان الأجنبية الزنوج الذين تفننت الطبيعة فى تبشيعهم يسيرون الى جوانب الغوانى الشقراوات ممـا يجعل التناقض مدهشا مثـيرا للغمزات والابتسامات . يحار المـرء كيف بدأ ذلك الحب، كيف تجرأ عليه أحدهما أو كلاهما؟ ! كيف كانت النظـرة الأولى وماذا تبعها بعـد ذلك ! وكيف لم تهرب تلك الشقراء بدلا من أن تفتح ذراعيها لحب غريب شاذ! والفرنسيون يطلقون على ذلك : سنة التناقض .

يمكن القول إذا بأن المرء فى الحب لا يختار ، كما أنه لا يختار مسقط رأسه ودينه وأبويه ، ولكن النظرة الأولى هى التى يجب أن تحاسب النفس عليها . لنفرض أنها وقعت على مخلوق علاقتنا به تورّثنا الهم والغم ، وتفتح المجال لمتاعب ومصائب ، فلماذا نمضى فى الهوى والهوان ؟ !

من مصلحتنا عندئذ أن نتوقف ، وليس لنا أن نعتقد أننا مسوقون الى هذا بالرغم منا ، وان هذا هو حكم القضاء والقدر ، ونندفع بعد ذلك الاندفاع ، الذى يوصف عادة بأنه أعمى ، فى حين أننا مبصرون . فما أغربه من حب ذاك الذى لو أوتى صاحبه الصراحة لقال : إنى لا تربطنى بك أيتها المرأة إلا حاجة طبيعية مرهقة ، وأريد التحرر منها ولكننى لا أستطيع ، وإنى لأتربص الفرص للهرب منك والبعد عنك ! ...

أليس فى هذا من السباب والإهانة ما فيه ؟ ! أليس هذا هو البغض فى شكل الحب ؟ !

هكذا نجد فى العواطف التناقض . ولكن أهى عواطف هذه التى تتنازع وتتعارض بدل الانسجام كالألحان ؟ !

وما دام فى الحياة الحب وفى الحب الحياة أليس لنا أن نتردّد فى الاختيار ولا نزعم أنه فرض علينا فرضا؟! أليس لنا أن نتأنق فيه أشدّ من تأنقنا فى الطعام والشراب ؟

ولكن يوجد للمسألة جانب آخر . لنفرض أن القدر قد تسلط وحكم فعلا علينا بحب يراه الناس ـ وقد نراه معهم ـ ليس هو ما نطمع فيه وما يجوز أن نتمناه على دهرنا ، فكيف نفعل؟! ليس لنا أن ننساق ونتدهور فننزل دركات بعضها تحت بعض ، بل علينا أن نرفع هذا الحب الوضيع درجات . نرفعه بالوفاء له وبتخليصه من شوائبه حتى يفى لنا . فعندما يكون الوفاء فى الحب متبادلا يرتفع الحب ولا يصبح وضيعا حتى ولو بدأ وضيعا . فالوفاء يطهر الحب كالنار .

*

الشـــباب الراحل

ما هو شـعورنا عنـد ما يموت شاب أو شابة فى ربيـع العمر بغتة ، وكان بالأمس مزدهر الصحة والعافيـة ضاحكا للدنيـا يتأهب لاسـتقبال الحياة والحب ، فيـدهمه الموت ويختطفه؟ شعور استنكار غريب واحتقار لهذا الوجود الغادر الذى لا أمان له . شعور سخرية بهذه الدنيا التى لاتساوى جناح بعوضة . شعور استخفاف بآمالنا وطموحنا وجهودنا وما بذلناه بالأمس وما نعدّه للغد . شعور الألم سلفا على من قد نتركهم أحوج ما يكونون الى عطفنا وحبنا ووجودنا . شعور خوف على هؤلاء الأحبة الذين قد نغادرهم بلا وداع . شعور الرغبة فى الانتقام لأنفسنا فى كل لحظة من هذه الحياة قبل أن تنتقم منا . شعور قنوط لتأكدنا بأننا اذا بدأنا بهذا الانتقام فانها الدنيا التى تنتقم إذ ذاك منا . شـعور عجز مطلق وتسـليم على طول الخط . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

نحن فى هذه الدنيا نمشى فى ظلام دامس . كل ما نرسمه من خطط، وكل ما نحيكه من الأمانى ، وكل ما نعده للمستقبل القريب أو البعيد يضحك منه القدر ضحكا ترتعد له الفرائص، لأنه ضحك شيطانى مخيف، ضحك القوى من الضعيف .

يعزى بعضنا بعضا بكلمات فارغة (كالبقية فى حياتك) . حياة من ؟! وأية بقيــة هذه التى يريد المحب أن تضاف الى حياته من حياة حبيبه الراحل المفقود ؟!

ليس أفظع من رؤية الشــباب الناضر ، كفتاة أو فتى ، يغيب فى لحده، ويهال عليه التراب، ويترك وحده، وينصرف عنه المشيعون ، وينصرف عنه الأهل والمقربون ، وينصرف عنه حتى أحب الناس اليه .

ستأتى غيوم الشتاء فتؤنس وحشتنا ، وستبكى عيون السماء فتعــزينا فى محنتنا . فاذا جاء الربيع حقــدنا على أزهاره ووروده ، لأن القلب منفطر، والنفس فى حداد، وهى تذكرنا كم أهدينا الى الحبيب من زهر، ولن نجد فى الشقاء إلا هدية الهناء، فنعود لنضعها بخشوع لدى القبر .

*

الكاتب ليس مهرجا!

كتبنا منذ ثلاثة أيام كلمة تفجع على الشباب الذى يختفى فجأة من الوجود إذ يقبضه اليـه الموت ولا يرحم ذلك الربيع بل يجـرّده من الزهور . فاعترضت علينا سيدة «أسـيوطية» كريمـة : «... مالى أرى ذلك السـخط على الحيـاة وتلك المرارة المؤلمـة بأجلى معانيها ؟ مالى أراك ترثى موت الشـباب فى حال أننى أحسدهم لتحررهم من قيود الحياة المرهقة ! مالى أرى دموع الألم بين سطورك اليوم وعهدى بك المعزى لكل المحن والمصائب! إن الحياة ياسيدى مفعمة بالأحزان وكلنا قلبه مكسور من نزلات الدهر وضرباته ، كلنا مستنكر ومحتقر لهذا الوجود الذى لا أمان له ، فارحم نفسك وارأف بنا فالكأس طافحة، ولا تزد على النفس مرارتها بل ابعث الينا بما يفرج عنها كآبتها وفرج عن نفسك معنا ...» .

وأنا أقول لسيدتى الفاضلة : إن الكاتب كالمصور يجب

أن يرسم جميع الصور التى تمـر به ويقف أمامها يتأملها مع قرائه . فعند ما تمر أمامه مواكب الحزن والأسى، عند ما يرى شبابا كان بالأمس القريب حافلا بالحب والحياة يغيب فى قبر، فهل يسكت أو يكتب؟! هذا هو محور المسألة .

هل يبحث عندئذ عن موضوع آخر سطحى تافه ليكتب فيـه ويملأ نصف عموده ؟! هـل يغنى وصوته متحشرج بالحسرة، وصدره مختلج الألم، وعينه تذرف الدموع ؟

أفلا يكون عندئذ زائفا عند نفسـه وعند الناس ؟ ولمـاذ يحق للغنى أن يشكو ويتألم وينوح أحيانا ولا يباح ذلك للكاتب أحيانا ؟ أليس الحـزن عظيما كالفرح إن لم يكن أعظم وأنبـل منـه ؟ فكيف نتركه يمـر دون أن نحنى له ودون أن نحييـه ونحن انمـا نحيي بتحيته المصير العاجل أو الآجل ؟

فاذا وصفنا هذا الشقاء للقراء، أفلسنا نحمل اليهم فى ذات الوقت العـزاء ؟! ذلك أنهـم يرون الحزن شاملا وليس وقفا عليهم، يرون أن الدهر إن سرنا زمنا أساء الينا أزمانا ، يرون أن

الانسانية قد اشتركت فى الألم الذى يطهرها من أدران المسرات .

فالكاتب يا سيدتى يجب أن يكون صادقا فى شعوره وإحساسه ، أمينا فى رسم هذا الشعور والإحساس . لأن هذه الأمانة هى الوحدة الروحية التى تربطه بالقارئ، وتوثق بينهما الألفة بل الصداقة .

وهذه المحطات الحزينة التى نقف عندها ، من حين إلى حين، تنبهنا من غفلتنا وتوقظنا من سباتنا فلا ننساق مع قطار الملذات زاعمين أن الدنيا تجرى لنا ميسرة رخاء ... ومن هنا تجئ أيضا الموعظة الحسنة، واذا كان المهرج مطالبا كل ليلة بأن يضحك الجماهير المحتشدة فى المسرح لأنها دفعت ثمن ضحكها سلفا فان الكاتب الأمين يأبى هذه الصفقة، ويعيش حرا، أى يعيش أفراحه وأحزانه ...

*

المصـــــير

« ١٧ مايو سنة ١٨٣٨ »

« ... ... مات « تاليران » . فجاء الأطباء وحنطوا الجثمان على طريقة قدماء المصريين . أى أنهـم أخرجوا الأحشاء من البطن والمخ من الجمجمة . ولما تم لهم ذلك ، وحولوا «تاليران» العظيم الى مومياء ، ووضعـوا المومياء فى تابوت مكسو بالحرير الأبيض ، انصرفوا تاركين على منضدة مخ الداهية الكبير ، ذلك المخ الذى احتـوى أفكارا لاتحصى ، وأوحى الى ألوف الرجال بما لايستقصى ، وشيد صروحا وأقام أمجادا ، وقاد ثورتين ، وخدع عشرين ملكا ، واستوعب الدنيا .

وما أن خرج الأطباء حتى دخل خادم رأى ماتركوه فصاح : وى ! . ما هذا الشىء الذى نسوه ؟ ! .

فاذا تظنونه قد فعل به ؟ ! لقد ذكر أن بالشارع صنـدوقا للقمامة فحمل المخ ورماه فيه ! Finis rerum »

فيكتور هوجو

* * *

هذه نهاية الأشياء ، نهاية الحياة العامة ، وإنها لنهاية مخجلة حزينة ! ... وهى مكتوبة علينا جميعا . فاذا لم يكن المخ ملق

فى القيامة فان الدود سيأكله . وهذه العظة الماثلة ننساها دائما . ننساها ونتكبر على الناس ، ونظلم الغير ونستبد بالمستضعفين فى الأرض ، ونأتى كل محرم كأننا ملكنا الأرض طولا وعرضا ! ...

فلنقف قليلا أمام خاتمتنا الحزينة حاسرين . ولنذكر قليلا أننا فى يوم ما سنرقد جميعًا جنبا الى جنب ، لا فرق بين غنى وفقير ، وعظيم وحقير . وإن أكرمنا يومئذ عند الله أتقانا ، وإن أشرفنا عند الله أكثرنا برا بالناس .



*

القلوب الكسيرة

أرسل إلىّ بعض كرام الناس كراسة «أوتوجراف» من التى يحتفظون بها عادة ويسجلون بها خواطر الأصدقاء أو الأدباء. تصفحتها فلم أجد فيها ما يشجعنى على أن أكتب شيئا أو ما يوحى إلىّ بكتابة شىء، على الرغم من أن فيها أسماء بعض الكبراء.

ولكن جملة واحدة كانت تساوى كل ما فى تلك الكراسة، كانت بمثابة الوسام الثمين على ثوب مهلهل، وهى بالفرنسية بقلم سيدة مصرية، وهذه ترجمتها:

« لن يكون لرجل أن يضع يده على حياتى، على قلبى الذى لا يعنى خفقانه أحدا سواى ».

ففكرت فى أن أضع الى جانبها هذه الكلمات: « المرأة التى تعيش بلا حب، أعنى بلا سيادة رجل عليها وعبوديته لها فى وقت واحد، المرأة التى لا تعنى خفقات قلبها أحدا سواها، لا تعدّ حياتها حياة » ثم تردّدت وأحجمت، إذ أدركت مبلغ

ما فى هذه الجملة من القسوة . وقلت فى نفسى: إن الذى يده فى المـاء ليس كالذى يده فى النار. وتلك الجملة تنبئ بحزن عظيم ويأس شـديد وصدمة عنيفة مصـدرها الرجل بلا ريب . وهذه السيدة قد كفرت بحب الرجل ، بحب الرجال جميعا ، فلا بدّ من احترام حزنها والانحناء له ولها .

إن خيانته لها فظيعة بلا نزاع ، لأن الإنسان يشم فى تلك الجملة رائحة كبدها المحروقة . ربما كان قد أعطاها حبا عظيما ثم حرمها فتضاعف ذنبه عندها ، وهو حتما قد انصرف عنها بعد ماقطف زهرة شبابها ثم ورثها أولادا ، من يدرى كم عددهم ؟ هم عزاؤها حينا وألمها حينا آخر . ينادون (ماما) دون (بابا) لأنه أراد أن يكون أبا لأولاد غيرهم وزوجا لأم غير أمهـم ، ولعلها دون أمهم خلقا وفضيلة وجمالا وان كانت تفوقها مالا .

فى رواية « ويلهيلم ميستر » للشاعر العظيم جيته جمعيـة اسمها « جمعية الإغضاء » وينبغى لأعضائها أن يغضوا الطرف عن كل شيء فلا يفكرون قط لا فى الماضى ولا فى المستقبل .

وهذا بديع جدا فى مثل حال تلك السيدة ، ولكن هـل

تستطيع ؟ هل تستطيع أن تهرب من ذات نفسها ، وتسكت صراخ قلبها ، وتخمد نار ضجرها ، وتتحـرر من ذكريات عشر أو خمس عشرة سنة قضتها فى سعادة ؟

ومع ذلك فليس لهـا أن تظل جالسة تحـدق فى ظلمات آلامها وتغزل أحزانهـا ، لأن هذا لا يجديها فتيلا . فعليها أن تعمل على النسيان . والنسيان يجىء عن طريق العمل اليدوى البسيط الذى لا دخل للعقل فيه . الثوب الذى تخيطه بيدها لابنتها أو (الأباچور) الذى تتأنق فيه لحجرتها أو المفرش الذى تطرزه لمـائدتها يلهيها أكثر من أى شىء آخر .

وهــذا ما نجده أيضا فى رواية « تاييس » لأن الراهب « بافنوس » ظل يقاوم شبح غانيـة الاسكندرية وهو يلحقه ويضطهده ، وظل يراها بارزة على الجدار ثم تشقه وتدنو منه وتعانقــه . فيضرب رأســه بالجدار ليتخلص من اشتهائه ... ولم يجده ذلك . وانما لمـا بدأ يعمل بيده ويجدل الليف حبالا وسلالا غاب عنه الشبح واستروح قلبه السلوى .

*

خدعــوها !

قالت لى مرة فتاة فنلنــدية : « أتظن أننا نصــدّق كل ما يقوله الرجال؟ كلا . إنما نحن نتعامى ونتغابى . فنسمع كلاما بعينه من كل واحد منهم . فنحمل أنفسنا على التظاهر بتصديقه . ونضرب صفحا عن التكرار . لأننا نبحث عن الهناء الحقيق ولا نجــده فى أرض كلهــا سراب خادع وظل زائل ولون حائل ... » .

وهى تعــنى أن هذه الخديعــة من الرجال . أى أن كل الرجال يكذبون قليلا أو كثيرا . فهذه الفتاة الجميلة ، الرشيقة ، الأنيقة كانت تبحث عن الهناء ولا تجده . وكلما عرفت رجلا فى الجامعــة أو فى مجتمع شريف ولفتت نظــره وراح يحدّثها تشككت فى كلامه وتمنت مع ذلك تصديقه . فالقاعدة عندها أصبحت الخديعــة ولكنها تبحث عن الصــدق أو الاخلاص باعتبار أن لكل قاعدة شواذها . وهى كذلك أصبحت دون وعى

منها زاهـدة فى الدنيا لأنها بدأت تعـرفها على حقيقتها . وكل يأس جديد يحمل اليها زهدا جديدا . ولعل هذا المصير الحزين الذى ينتظرها ويكاد ينتظر كل امرأة جميلة ذكية الفؤاد رقيقة الأحساس هو الذى جعلها تبحث فى العلوم عن أشدّها وعورة فجعلت تدرس فى السوربون علوم الاحصاء . تحاول أن تحب الأرقام وتنسى فى جمعها وطرحها وضربها : نفسها . وهذه مهنة قلما تحترفها آمرأة . فأكثر الفتيات يدرسن الآداب أو الحقوق . وكانت تقضى لياليها منكبة على كتبها وبحوثها غارقة فى الأسانيد والوثائق والمراجع كأنها اتخذت من الورق بيتـا ومن الكتّاب حبيبـا ! .

وكانت تقول أنها مع ذلك ليست قدّيسـة . لأنها آمرأة لهـا الحق فى الحياة، فى الحياة الوافرة الهناء بقدر ما هى وافرة الحسن والذكاء . ولكن من أين لها ما تريد ؟ !

فالرجل العابث بقلب المرأة قـد يتصوّر أنه يلهو ويتسلى وقد يتصوّر أنه فى الوقت نفسه يلهيها ويسليها مع انه فى الواقع يطعنها فى فؤادها . لأنه يدخل عليها الوهم باعتباره حقيقـة .

وهو يسلبها راحة القلب التى كانت لها قبل أن تعرفه ويخدعها ولا يعوّضها عن ذلك شيئا . فهو آثم . وهو يشرع فى إثمه ذاك باعتباره طبيعيا للغاية .

فانظروا واعجبوا كيف أنه ابتدأ كلاما وانتهى إجراما .



*

*

فتـاة حزينـــة

أمامى رسالة حزينة من فتاة حزينة مع أنها فى العشرين من عمرها ، فى السن التى تحلو فيها الحياة . آنسة « عبلة » وحيدة أبويهـا كانت تسكن الاسـكندرية ثم انتقلوا منذ عامين الى ضيعة صغيرة فى الريف ، فساد حولها السكون والوحشة مع أنها تقضى الصباح فى مراقبة تدبير البيت ، وتربى الطيور وتتعهدها بنفسها ، وبعد الظهر تركب جوادا للتنزه أو تذهب لقنص الطير أو صيد الأسماك أو تتريض على الأقدام ، ولها فى ذلك حريتها . وفى المساء تجلس مع والديهـا فتعزف بعض الموسيقى أو تقرأ الصحف والمجلات . وهى مخطوبة وخطيبها سافر هذه السنة الى أوربا لاتمام علومه حيث يمكث خمس سـنوات أخرى . وحاله المـادية لا تمكنه من أن يأخذها معــه . وكانت والدتها تود لو تزوجا وساعدتهما بمالها ، لولا أن لها أقارب بحاجة الى المعونة فآثرت الفتاة ذوى قرباها على سعادتها وبقيت هنا ...

وتقول « عبلة » : « إذا قدّر لى أن أعيش فى هذا المنفى خمس سنوات بعيدة عن العالم ومسراته فلا سبيل الى احتمال هذه الحياة القاسية التى على منوال واحد . وروح الشباب تريد التجديد . وقد فكرت جديا فى الانتحار » .

ولكنها لا تكاد تقف فى الصلاة بين يدى الله تعالى حتى تنبذ هذه الفكرة الخبيثة ولا يفرج عنها إلا البكاء . وينتابها ألم نفسانى شديد فتسود الدنيا فى عينيها وتخشى أن تصاب بمرض عصبى لأن والديها قررا البقاء هناك وعدم الرجوع الى الاسكندرية ...

والآنسة تسألنى كيف الخلاص .

حقا إنها فى أزمة نفسانية ليست مع ذلك عسيرة الحل ، إنما أحب أن أقول لها إن ألوف الفتيات سيحسدنها اليوم على حياتها ولو كن يتنزهن على شاطئ (بولكلى وستانلى) ما ذا ينقصها؟ بعض (التواليت) و بعض الشبان الذين تورث عشرتهم الكآبة فلا تجد المرأة فيهم نخوة الرجال ؟! أنها اليوم بريئة طاهرة تنتظر رجلا ورجل ينتظرها . وهذا وحده يكفى عزاء

وهناء . لأن هناك ألوف الفتيات يعشن منتظرات بلا أمل ولا رجاء .

إن طيورها التى تتعهدها فى الصباح لها أرواحها الجديرة أيضا بالتأمل والدرس . ستجد بينها الدجاجة المتواضعة الخجول ، وتجد الدجاجة (الغندوره) التى تتيه بقامتها وخطوتها ونظرتها... وتجد الديك بعرفه الياقوتى يلفت عنقه ويحدج بطرف عينه يمينا ويسارا ويرفع عقيرته بالصياح والغناء ...

وتجد جوادها يعرفها ويحبها . ينتظرها فى موعدها ويصهل لو تأخرت عنه . ويفرح لقدومها وينحنى لركوبها وينطلق بها ...!

وتجد فى الصيد دروس الصبر الجميل وحلاوة اللقاء بعد العناء . وتخرج اليها السمكة الفضية البيضاء ترتعش وتخفق كقلب الحبيب الذى طال شوقه واصطباره .

فكرى إذا يا بنيتى فى هذا كله واعلمى — وأنت تؤمنين كما تقولين بخبرتى وتجربتى فى الحياة — أن عشرة الحيوان خير من عشرة الإنسان . وأريد أن أشير عليك الى جانب هذا بشراء جهاز (راديو) . فالراديو فى العواصم هو شىء يصم الآذان

ولا يطاق ، ولكنه فى الريف نعمة من النعم . يستطيع أن نتصل به بالقاهرة وطوكيو وباريس واستانبول ...

واذكرى بعد هذا كله أنك ضحيت من أجل أقاربك . فهلا ضحيت من أجل هناءتك المقبلة؟! ولطالما أيتها الآنسة «عبلة» انتظرت سميتك «عبلة العربية» صاحبها عنترة يخوض المعارك والمعامع وينتصر لأن اسمها على لسانه . وأنت لك «عنترتك» فلا تدعيه يفقدك فلن ينتفع بالعيش من بعدك .

وافرحى لطلوع الشمس وغروبها وسلام المساء فى الريف ، فهو يحمل معه السلام الى النفس . أما هنا فى المدن فالحرب والشقاء ... !

*

ســـعاة الواجب

كنت مرة نازلا بين أسرة سويسرية يقطن عندها شاب انجليزى كريم الأخلاق . وقد دهشت فى اليوم التالى لنوع الطعام الذى يقدمونه لأنه كان رديئا جدا . فلما كنا على مائدة الفطور ذات صباح قلت له : أتعرف أن الزبدة التى نأكلها صناعية ؟ قال أعرف . قلت : وكيف احتملتها شهرين طويلين مع أننى ضقت بها ذرعا بعد يومين ؟ قال : إننى أكره الشكوى وكفى .

ويوجد أناس هم على الضد من هـذا الانجليزى يشكون من كل شىء ، من الجو والنـاس والأهل والقدر ، حتى ومن أنفســـهم .

ولا تعالج شؤون الحياة بالشكوى . إنما لا بدّ لها من السيف القاطع مع الابتسام .

الآنسة الكريمة التى سألتنى أمس رأيى فى حالها كانت تشكو من علة الضجر مع أن كل مايحيط بها يدعوالى السلوى والاهتمام

بل والسعادة.ولكنها تتلق الصحف وترى صور شاطئ «ستانلى وبولكلى» وتسمع عن غوانى الاسكندرية (بالبيچامات) وهواء البحر والسهر فى ضوء القمر فتضيق الدنيا فى عينها وتعمل على تكوين ضجرها . فهل هذا الضجر مهما آزداد واشتد بها يحل عقدتها ويفرج عنها ؟ كلا، فهو إذًا شر محض . إنها تسىء الى نفسها من حيث ينبغى لها الاحسان، فالنفس كالجسم بحاجة الى الانصاف والعناية والتعهد والرعاية . وليس لنا أن نلح عليها بأسباب نخلقها بخيالنا وأوهامنا ونزيد فى متاعبها وهمومها ونحملها ما لا طاقة لها به .

السعادة تصنع وتكتسب . إنها تبنى حجرا حجرا، والعاجز هو الذى يعجز عن نقل الحجارة. وعند ما يجوع الرجل يفعل كل شيء ليأكل، بل عند مايجوع الرجل فى الصحراء ويظمأ يأكل التراب، كما يقول لنا رحالتنا العظيم أحمد حسنين بك، فاذا كانت النفس جائعة فكيف نكتفى بالشكوى ونزيدها جوعا وضجرا بدلا من أن ندخل عليها ألوف المسرات البريئة التى فى متناول

يدنا . أما الذى ليس فى يدنا فهو سر شقائنا وهو غالبا ما نتعلق به .

فلتسأل فتاتنا الكريمة نفسها عما ينقصها . ولتحلل هذا النقص شيئا فشيئا ، تجده هشيما تذروه الرياح . إنها محبة محبوبة فى صحة جيدة موفورة الرزق تلعب وتمرح ما طاب لها وتعمل وتجهد ما شاءت ، وتسمع الموسيق وتقرأ الصحف وتركب الخيل وتصطاد السمك وتتعهد طيورها . فلا أدرى متى تتسرب اليها هواجس الشقاء ؟ إن عليها أن تقفل طاقة الأحزان التى تفتحها على نفسها بذات يدها . فاذا أوت الى فراشها فعليها أن تذكر أن الدنيا ممتلئة بالفقر والمرض والشقاء والشيخوخة والألم والعار ، وأن تذكر أنها تعيش موفورة الحظ من المال والصحة والشباب والعفاف . ولتحمد الله كل ليلة ألف مرة ولتسأله أن يبارك لها فيما وهبها . ولتبسم للحياة وتحفل بها وتدخل السرور على قلب والديها فهما ينتظران منها فى شيخوختهما أن تكون قرة أعينهما . وأن تدفع لهما الآن بعض ما بذلاه لها . وفى هذا سعادة أخرى هى سعادة الواجب .

*

المساجد والصـــلاة

« ... أريد أن أطرح عليك سؤالا لتجيب عليه بما تشاء وكيفما ترغب .

وسيحمل علينا جمهور من ذوى العقول الضيقة يساعدهم فى ذلك بعض المرائين الذين يلطمـــون فى كل مأتم حتى لو كان مأتم إبليس . ولكنى أعرف فيـــك الشجاعة الكافية لاقناعهم أو ردّهم الى حدودهم .

والسؤال : لمـاذا لانتقـــدّم بنظام المساجد فنهيؤها بالمقاعد وننظم حركات الصلاة حتى تتناسب مع الجلوس ؟

لقد كان موسى وأصحابه يصلون على الأرض ، وكان عيسى وأتباعه كذلك لأن حياة الناس فى أوقاتهم كانت تختلف عن حياتنا ، فلمـا جاء المتأخرون من أتباع موسى وعيسى غيروا نظام صلاتهم بحيث تتفق مع حياتهم الاجتماعية .

انى أنتظر كلمتكم فى الموضوع ، كما أرجو أن يكتب فيـــه غير واحد من الذين سوف يقرءونه والسلام .

عبد الرحمن فوزى
خريج جامعة لندن



تسألنى رأيى يا أخى ومع ذلك تجعلنى فى صفك قبـــل أن أبديه ... و «تهوّشنى» بـ «ذوى العقول الضيقة والمرائين» ! .

قد يؤدّى تطوّر الأحوال الى ما نتمناه من وجود المقاعد فى المساجد، وتنظيم حركات الصلاة بحيث تتناسب مع الجلوس، وقد يؤدّى التطوّر الى أكثر من ذلك .

ولكن أقول لك الحق يا أخى ، ورزقى على الله ، أننى أتمنى أن يكون هذا اليوم لا يزال بعيدا .

كنت مرة منذ بضع سنين عند صديق كريم فى مجمع حافل، وقرأ أحدنا قصيدة ما ، فقام صديقنا ومضيفنا عن مقعده وجلس على البساط قائلا : إنه لا يجوز سماع هذا الشعر إلا ونحن جلوس على الأرض .

فطابت لى هذه الفكرة، وشعرت بمقدار ما فى هذه العاطفة من صدق ووفاء . ولم يكن يمكن أن يشعر بها إلا كاتب كبير مثـــله .

والآن أذكر ذلك بعد عشر سنين أو أكثر . فأنت تريد أن تدخل بيوت الله بالجرأة التى تدخل بها بيوت الناس . وتريد أن تجلس على مقاعد مريحة، وقد تغلو بعد ذلك فتطلب فراشا

وثيرا ، ثم قد تغـلو وتغالى فتطلب أن يقـدّموا لنا المرطبات صيفا والمدفئات شتاء .

يكفينا يا سـيدى ما نحن فيـه من غرور الدنيا، نركب السيارة وننظر الى مخلوقات الله السائرين على الأقدام كأننا من معدن أفضل من معادنهم، وأولى بالهناءة منهم، والله يعلم أنها حظوظ . ونركب الطيارة، نزعج الطير فى وكره ، ونحلق فى الجو نعلو السحاب وكأننا نحاول الوصول الى أسباب السموات .

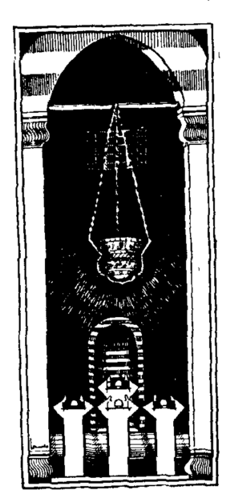
واذا جرى بين أصابعنا بعض المـال ، صـعرنا خدودنا وسرنا فى الأرض مرحا، وطغينا ما شاءت نفوسنا الطغيان .

دعنا إذًا يا سيدى ندخل مساجد الله فى ذل وخشوع . ودعنا نسجد حتى تمس جباهنا الأرض ويلوثهـا الثرى، لعلنا نكفر ذرة واحدة عن الظلم والإساءة والغرور . لاتحرمنا يا أخى هذه الترضية النفسانية، وهذا العزاء، وهذا التكفير .

وأنت لو دخلت الكنائس لوجدت سـيدة جميلة أنيقـة تترك المقعد الخشبي وتجثو بثوبها الحريرى تنحنى لسيدنا المسيح وعيناها مغرورقتان بالدموع . أليس ذلك شعورا منها بالاحتياج

الى الضراعة والتوسل وهى فى موقف الضراعة حقا والابتهال ؟ ! ولن يكون ذلك بالجلوس رجلا على رجل ، وتنظيم حركات الصلاة . بل انى أذهب الى أبعد من هذا كله ، وكنت أوثر وأتمنى لو أنهم لم يستبدلوا فى بيوت الله بقناديل الزيت المتواضعة الخافتة تلك المصابيح الكهربائية الساطعة الفاجرة ! ...

إن كل شيء يدور ويتحول . ولكننى أريد أن أكون اليوم رجعيا والسلام .



*

رمضان

ثبت الهلال . واتجهت مئات الألوف من العيون الى السماء تنظر وترجو . واتجهت معها مئات الألوف من القلوب تؤمل وتدعو .

نحن الآن أقرب الى الله، لأننا الى الفقراء أقرب . ألسنا نحرم أنفسنا طوال يومنا الطعام والشراب ؟ ! ألسنا نتساوى الآن فى الجوع ؟ !

ولكن إذا غربت الشمس فليس لنا أن نترك الزاد يطغى علينا . لأن حكمة الصوم هى الحرمان . هى الزهد .

ونحن نتأنق فى موائد الفطور لأنها طبيعة النفس تريد أن تعوض ما فاتها . وخير لنا لو أننا لم نسرف، لأن المعدة بيت الداء . أولى لنا أن نخص بالصنف الزائد بعض الذين قلما يتاح لهم أن يذوقوا مثله .

إن أولادنا الذين نحملهم على الصيام فيذوقون عذابه ينبغى

لنا أن نعلمهم حكمته ، لأن الصوم من دون حكمته لا يساوى شيئا . فلنعط الكبار أمامهم حتى يعطوا بدورهم الصغار مثلهم. فما أكثر الأولاد المحرومين وملاجئ أبناء السبيل واللقطاء غاصة بهم . فلماذا لا نصحب أولادنا يوما فى رمضان الى تلك الملاجئ ، ونحملهم الفطائر والحلوى والفاكهة ، ونحملهم ما فضل من ثيابهم ومن لعبهم ، ونجعلهم يعيشون ساعة فى سعادة الاحسان بين أولاد لن يعرفوا آباءهم الأنذال ، ولا أمهاتهم من الفاجرات أو الضحايا .

هذه حلقة صغيرة من حلقات رمضان . ولكنها تربطنا بالله .



لعب الأولاد

فى القـاهرة ، على ذلك الصليب العجيب لتقاطع شارع عماد الدين وفؤاد الأول، بين الساعة السادسة والسابعة مساء، يرى الإنسان الآن قطعة من أوربا، أو بالأحرى من باريس، لأنه قلما يجتمع مثل هـذا الجمال وهـذه الأناقة وهذا التنوع فى الصور والأزياء فى غير مدينة النور .

أصبح النظر الى المحال التجارية متعة للنفس . السيارات الصغيرة الحمراء مكدسة على الأبواب تنتظر راكبها الصغير الموعود الذى لن يدفع فيها مليما ولن يخضع لصفارة (عسكرى) المرور ولن يحمل هم الزيت والبنزين، بل يركبها فرحا مغتبطا فى حديقة الدار، يضرب زمارتها فى الفضاء، وكلما ضرب تجـدد ضحكه وسـروره .

وهـذا منطاد «زبلن» معلق وراء الزجاج . رمز صـغير لحضارة عظيمة وشجاعة عظيمة ونبوغ عظيم . رمز يتعلم منـه

الولد أن وراء جدار البيت آفاقا فسيحة عليه أن يتطلب رؤيتها وأن يساهم فى مجازفاتها وأفراحها وأحزانها وأمجادها جميعا . فليست الحياة هى الأمان والاطمئنان . يجب أن ندفع فى الحياة ثمنا باهظا من قلوبنا ومن عقولنا ومن صحتنا وإلا كانت الحياة خاملة كاسدة آسنة . وهذا النضال نفسه هو الذى نتغلب به على فراغ الأيام وكآبتها .

ليس أجمل من منظر الأم الشابة تأخذ بيد ولدها الصغير تتجول به ويسير الى جانبها كأنه رجل يحميها . نعم يحميها من النظرات الخائنة ويجعل لها حتى عند الرجل الطائش نوعا من المهابة والقداسة . وترى أحيانا رجالا يسيرون جنب نسائهم كالنساء . وترى أحيانا أولادا يسيرون جنب أمهاتهم كالرجال ! ...

كل هذه الأناقة والرشاقة فى مصر قد اجتمعت بمناسبة العيد البهيج . عيد الميلاد وعيد الإنسانية ، كأنها تحية الاستقبال .

فعند ما تجتمع هذه الأسر التى لايحصى عددها ، حول شجرة

الميلاد، فى ذلك المساء الذى كدست فيه اللعب والهدايا فى أسرَّة الأطفال ومخابئ البيت حتى يجدها ملائكة الدار فى الصباح ، نشعر نحن المسلمين بهذه البهجة عينها كأن العيـد عيدنا ، وهو عيدنا فعلا ، لأننا أخوان فى إنسانية واحدة شعارها الرحمة والخير والمحبة، وهى التى ولدت يوم ولد سيدنا المسيح عليه السلام .



*

ليـــلة عيـــد الميـــلاد

أعتقـد أن أكثر الذين عاشوا زمنا فى أوربا قد شـعروا أمس، فى ليلة عيد الميلاد، بوحشة غريبة . يستحيل على أنغام « الجازبند » والأرجل الراقصـة والصياح والضحك واللعب والمزاح أن تتغلب على صـوت الذكريات أو تمحو من النفس صورتهـا .

سـبحان الله ! فى مثل هـذا العيد ، فى بلاد الغـربة ، كنت أشعر بأنى فى وطنى واليوم فى وطنى أشعر بأنى غريب !

من كان يصـدق أن الدهر يضرب هكذا بسهم الفراق بيننا وبين أوطاننا الروحية ، وبيننا وبين أحبابنا فنعيش بلداء نأكل ونشرب ونعمل وننام بحركات «أوتوماتيكية» ليس فيها من الحياة إلا ظلها ومن الروح إلا اسمها ؟ !

من كان يصدق أن العيد يجىء وليس لنـا برنامج ، وليس لنـا مائدة ، وليس لنـا رقص ولا ضجيج ولا مفاجآت وليس

لنـا أمل إلا أن نذهب فننام ، ونلق على وجوهنا الغطاء حتى لا نرى على لوحة الظلمات الأنوار الجذابة المصوبة الينا من وراء ألوف الأميال، من وراء البحار والوهاد والجبال .

عنـد ما ينتصف الليل ، سنكون قد أوينا الى الفراش، فلن نذهب فى موكب صاخب بين الحى اللاتينى ومونبارناس نصعد الفنادق و « البنسيونات » ، ونوقظ النيام من أصحابنا، ونخرجهم من فراشهم نلومهم على الكسل والنوم والخمول والناس فى عيـد، لا نرحم ما هم فيـه من دفء وما فى الخارج من برد وثلج، ولا نرحم إفلاسهم ان كانوا بلا مال، بل نضع القروش على القروش، ونروح نحيي باريس ونحيي الشباب ! ...

لن نوقظ أحدا الليـلة، ولن يسأل عنا أحد . سنعود اذا جن الليل منفردين الى صحراء « هليوبوليس » ، فنجد فى الجو غيمة وفى القلب غيوما .

من كان يصدّق أن القلم لم يتحرك حتى بتحية العيد يرسلها بالبريد الى اخوان الصفاء والولاء ؟ !

ليس هـذا الصمت إلا رحمة بهم وبأنفسنا . علام نرسل

هـذه الوريقات المذهبة المصوّر عليها النيل أو الأهرام ونحن نعلم أنها ستكون بمثابة من يرفع الضماد عن جرح لم يلتئم !
بأى حق نقطر الصاب والعلقم، برسائل العيد ، فى كؤوس الشمبانيا والنبيذ الأبيض ؟

كفانا أننا نذكرهم، وربما زعموا أننا نسيناهم . .

اذكرونا مثل ذكرانا لكم　　　رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبًّا إذا غنى بكم　　　شرب الدمع وعاف القدحا



*

عيـــدهم عيـــدنا

يقولون ان الوطن مجموعة من الذكريات والأماني .

وكذلك الإنسان عندي . فنحن نعيش على ذكريات الأمس وأماني الغـد . فإذا غضب قارئ لأنني أتحدث عن ذكرياتي فكأنه يريد أن يحرمني نصف حيـاتي، واذا رضي قارئ عن هذه الأحاديث فهو قد اتقى الله في هذا النصف الأول ! .

خذ مثـلا ذلك (الالبوم) من الصـور التي جمعناها على مدى الأيام. قلبه أنت في يدك، فهل ترى منه أكثر من لمحات جمال أو مناظر خلابة، أو صور أشخاص، أو سفن وبواخر، أو مدن وشوارع، أو مقاهي ومدارس ؟

ولكن أنا ! ، إنني آخـذه في يدي بحنان وعطف كأنه ولدي . وأفتحه بنوع من القداسة كأنه كتاب صلاة، وأتصفحه بشغف كأنني أعيش مرة أخرى، أيام هناءتي وشقائي ، أيام غناي وبؤسي، أيام صحتي ومرضي، أيام تمتعي وحرماني .

كنا أمس فى أجازة عيد الميلاد . تركنا مشاغل الحياة اليومية لنعود الى حياتنا الخاصة التى لا يشاركنا فيها أحد، حياة أفراح وآلام مضت فى حساب الزمن وهى باقية فى حساب الروح.
وجدت صورة صغيرة لى فى منزل الأسرة الفرنسية التى كنت أعيش معها فى عيد ميلاد سـنة ١٩٢٩ بباريس، ووجدت حولى جماعة من الانجليز من نساء ورجال كانوا قد جاءوا خصيصا من لندن لقضاء هـذا العيد بيننا ، فطاب لهم المقام حتى مكثوا بدل الأيام الخمسـة ، خمسة عشر ! ... عنـدئذ ذكرت تلك المودات التى توثقت عراها فى ذلك الزمن الضئيل، ووازنت بين أصحابها و بين كثير من الناس الذين نعرفهم منـذ سنين ولا تربطنا بهم مودة حقيقيـة . ذكرت الليـالى الساهرة فى السمر واللعب الزكى أو النزهات الحلوية أو زيارة دور الآثار والمتاحف التى كان كل شخص منا له رأى فيها، ومجموعة تلك الأراء تكاد تكون كتابا فى الثقافة العامة .
شـعرت بحنين غريب لوسـط كل من فيـه متعلم زكى

الفؤاد، يشعل الاحتكاك به نارا فى الفكر تصقل الذهن وتجعل للوجود معنى ساميا يجهله الذين يعيشون للأكل والخمول .

عيـد هؤلاء الناس هو عيدنا . ان لهم دينهم ولنا دين . ولكنا جميعا قد اجتمعنا عنـد دين عظيم جدا هو دين هـذه الإنسانية العليا التى لا دخل لهـا فى المذاهب والشعائر، ودين تلك الروحيـة العليا التى توحّـد بين نفوس قوم اجتمعوا من أقصى الأرض ، والتقوا ليمجدوا النـور الذى يشملهم ، نور العقل ونور القلب .



*

كلما الغيث همى

شعرت أمس ببعض الهناء . لأن الجو قد اكفهر والمطر ظل يتساقط من الصبح حتى المساء. وغسلت مياه السماء كثيرا من أدران البشر . وشعر بالانقباض الذين يريدون أن يحيوا حياتهم على وتيرة واحدة . تطلع الشمس، ثم تطلع الشمس، ثم تطلع ... كانت أمس طبيعتنا غنية. دلتنا على أن عندها شيئا آخر غير الشمس والحرارة . أرسلت مطرا ولو رزازا وغيرت لون السماء الصافى الذى لا يتحوّل،ولمعت الطرقات وعكست أنوار المصابيح العالية، واكتسبت أوراق الأشجار لونا من الزمرد، وكأن الدنيا قد أسرعت الى عُرس لا يلبث أن ينفض وتحل السرادق وتطفأ المصابيح. فى ذلك البرد شعر القلب بالحرارة. لأنه وجد الجو الذى يعرف كيف يعيش فيه . فإن حرارة الشمس الدائمة تصيب القلب بالبرود . إن الجو الذى لا يتغير كاللحن الموسيقى الذىلا يتنوّع فليس فيه من الطرب شىء .

كان سكان البادية منـذ أقدم الأزمان وما زالوا يبتهلون الى الله و يصــلون حتى ينزل عليهم من السماء ماء فتخرج لهم الأرض غلتها . ونحن مثلهم . نحن البدو التائهون فى هذه المدنية الزائفة . نحن أيضا نبتهل الى الله ونصلى حتى ينزل علينا من السماء ماء وثلجا حتى نشعر بأن الله ما زال معنا . حتى نشعر بأننا جزء من تلك الشــعوب الحية التى تعيش فى الجليـد وتبتكر وتخترع وتبدع وترسم للكون آياته الجديدة .

فاللهم خذ شيئا من شمسنا ، واعطنا شيئا من ثلوجهم !...



*

فى غفلة الدهر

فى غفلة الدهر يجب أن ننتهز لمحات السعادة . فالدهر حسود حقود . إنه ينفس علينا الراحة والأمل والرجاء فى الحياة والحب . إنه يأخذ منا أكثر مما يعطينا . إنه قد يغمرنا بالمال ولكنه يقتر علينا فى رزق الفؤاد ، وعندئذ يصبح المال شقوة . أى شىء أجمل من أن نتفاهم فى الحياة روحان ؟ ! فهذه هى رسالة الحياة ، ولهذا وحده نكد ونكدح ونعيش .

الأيام نفسها متثاقلة ، والليالى أشدّ وطأة . وعيش المرء الى جنب إنسان غير ممتزج به فى الروح تمام الامتزاج هو ضريبة فادحة تقصم الظهور ، فإن الخبز عندئذ يبتل بالدموع . أما اللذان يتفاهمان فإن الخبز الأسود يصبح لديهما ألذ من الشهد المصفى .

ما أكثر الذين يعيشون بجمود كأنهم بغير قلوب ! بعض الناس الذين يحسون الألم والعذاب يحسدونهم مع أنهم أحق

بالرثاء لهم، لأن الإحساس هو ميزان الحياة . وخير للإنسان أن يحس ويألم من أن يكون والجماد سواء .

لماذا نعيش ؟ ! هذا هو السؤال الذى يجب أن نبادر به أنفسنا كل صباح . هل نحن سعداء بأنفسنا أو أنها هى الأنانية السعيدة بنا ؟ ! قد تلذ لنا الوحدة ولكن الوحدة يجب أن يكون لها حق معلوم بحيث لا تفصلنا عن منطقة الإنسانية المفروشة بالقلوب . وعلى كل فرد أن يحاول أن يسعد فردا أو أفرادا، أن يسعد أمه أو زوجه أو ولده، وإلا فهو يسلب الحياة معناها ويخون رسالتها . لماذا يقطب وجهه ويدخل كاشرا عن نابه كالذئب فى الوقت الذى يجب أن يدخل على امرأته فاتحا ذراعيه مجددا الحب فى كل لحظة . فالحياة قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة، وضيقة محدودة .

وعلى الذين تفيض نفوسهم بالجمود والكراهية للبشر أن يعتزلوا البشر . وألا يتزوجوا حتى لا تشقى بهم زوجاتهم، فليست المرأة خادما للفراش والمطبخ بل إنها روح البيت .

وكذلك المرأة ، فان وظيفتها أن تنشر البهجة والحبور

وتنطق كل ماحولها بأنغام منسجمة كالموسيقى . تكون فى ملبسها فى الداخل خيرا منها فى الخارج . تتزين للزوج لأن الزوج يجب أن يكون الحبيب ، وان لم يكن كذلك فهى ضحية منكودة من ضحايا القدر .

ليس فى الدنيا سعادة خالصة ، فعلينا أن نحاول تجميل الأيام الكئيبة ، وانعاش الليالى الحزينة ، وأن نحرص على عواطف الحياة لأنها تمر كالبرق الخاطف ، فهذه العواطف هى وحدها العزاء عن دنيا لا يرضى عنها أحد .

هذا هو ما خطر لى إذ قرأت فى ليلة واحدة كتابا عن الحب باعتباره صعيدا مجهولا . رجل عاش مع زوجه دهرا وهو لم يعرف سرها ، ولم يكتشف حسنها ، ولم يفهم مكنون عواطفها ، ولم ينبــه كائنها الخفى و يدنيه منــه و يقربه إليه . فماذا كانت النتيجة ؟ ! إنهما صارا كعدوين أو خصـيمين ينكر كل منهما صاحبه وهما فى خدر واحد !

والنتيجة ... ماذا كانت النتيجة ؟ !

*

بين التضحية والتمرّد

«قرأت ما كتبته أمس فى (ما قل ودل) عن الأشخاص جامدى الشعور عديمى الإحساس الذين يعيشـون بلا قلب . وقد أثر فىّ مقالكم تأثيرا عظيما إذ أننى إحدى ضحايا هذا النوع من الناس .

تزوّجت من سنين مضت ، وكنت حينئذ حديثة السن لا علم لى بماهية الزواج . ولى الآن ولدان ، ولكن من يوم زواجى وأنا أعيش مع زوجى حياة جسدية لا عاطفة فيها . روحانا مختلفتان تمام الاختلاف لا ائتلاف بينهما ، عقليته مناقضة لعقليتى . وبالاختصار فكل ما كتبته من التحليل النفسى فى مقالك هو الحقيقة الواقعة .

ولكن ألا ترى معى أنك قد شخصت لنا الداء بحذق ومهارة ولم تصف لنـا الدواء ؟ لم تقل لنـا ما يجب أن تفعله تلك المنكودة ، ضحيـة المجتمع ، التى يمتزج خبزها بالدموع لمـا يختلج فى جوانحها من العواطف المتناقضة ، ولاعتقادها بأنها مرغمـة أن تعطيه جسمها ثمنا لحياتها المـادية بالرغم من التنافر والكره المكتوم فى أعماق نفسها التى تشعر به نحوه .

هل من علاج فى علم الاجتماع لتلك الفئة التى لا هم لهـا إلا إرضاء الشهوة الجسدية ، والتى لا تفقه للذة الروحيـة والائتلاف العاطفى معنى ؟ أم هل قسم لتلك التعسة أن تعيش الى الموت مع شخص لا يمت اليها بأى صلة روحية أو عاطفية ؟

وإنى لردّكم لمتلهفة ولكم الشكر من : «سيدة بائسة»

* * *

سؤالك ياسيدتى البائسة عن علاج لهذه الحال يفتح كتاب أحزان لاعداد لصفحاته. إنه سؤال لا جواب له إلا من نفسك أنت، فهذا الداء الواسع الانتشار فى البيئة الشرقية لسوء أنظمة الزواج لا يوجد له دواء واحد يصح وصفه لكل فرد. سؤالك اذا ترجمناه كان معناه : أيهما أختار : التضحية أم التمرد ؟ ! فأنت واقفة بين بين، تشعرين بمرارة التضحية وآلامها وذلها ولا تجسرين على التمرد بما يتبع التمرد من مكافحة جديدة فى الحياة تتطلب جرأة عظيمة وتضحية أخرى. والمرأة التى تجد على ساعديها ولدين تنكسر أجنحتها وتثبط عزيمتها وتؤثر التضحية غالبا . وفى هـذه التضحية عذابها، ذلك العذاب الذى يتكرر كل يوم ويتجدد مع مطلع كل شمس. ومع ذلك إننى أسألك : أفلا تخفض أصوات طفليك الحبيبين بعض سورة غضبك وثورتك؟ بأى شىء تشعرين نحوهما؟ إنك تكرهين أباهما ولكن أفلا تحبينهما هما، هما الصغيران البريئان، حبا يجعل ذلك الرجل بجوارك ولا وجود له، أم إنك تنظرين اليهم أحيانا زاهدة فيهما مستنكرة أن تكون فلذة كبدك من ذاك الرجل ؟

إن أغرب العواطف وأشدّها تناقضا من الحب والغيرة والهناءة والألم والضجر والكره تتوالى على النفس كما تتوالى على الأرض تقلبات الطقس من شمس ومطر ونسيم ورعد و برق . فهى كلها أجزاء من الطبيعة تكوّنها وتجعلنا أحيانا فى حالات من السعار والجنون فرحا أو حزنا .

والزواج ليس بمجرّد العقد يعقد، فما أسهل تلك الورقة التى يوجد أحيانا وراءها ، فى روح الدين ، ما يحرمها . فليست المرأة هى رهينة المهر يدفع والجهاز يشرى . ولو تغلغلنا فى صميم ألف أسرة لفرقنا شرعا بين العشرات بل والمئات منها . فان للجسد حرمة مقدّسة ، وقد يغتصب الزوج الشرير أحيانا زوجته باسم العقد، والدين الحنيف من هذا براء .

تسألينى فى التضحية أو التمرّد ؟ ! ماذا أقول لك ! ؟ لو كنت بغير أولاد لقلت لك تمرّدى ورزقك على الله، رزق فمك ورزق قلبك . أما فى حالتك هذه فلا يسعنى إلا أن أشير عليك بمحاولة جديدة لاصطناع السعادة . تلك السعادة التى ربما استحال عليك أن تجديها إلا بين طفليك ، والله يعوّضك بينهما بالروح ما تخسرينه مع الزوج بالجسد !

*

فتـــاة جميـــلة

رأيت أمس فتاة جميـلة تزهو بنفسها وشبابها زهوا غريبا يكاد يبلغ حد الصلف . فهى تسير رافعة الرأس والصدر كأنها تتحدّى العـالم، كأنها تتحدى النساء وتكيد الرجال؛ كأنها تقول بمحياها : أنا جميلة وشابة، فكيف تسعنى الدنيا ؟ !

خيـل إلى أول الأمر أنها مسرفة وأنها معتـدة بنفسها لأنه يوجد سـواها جميلات وشابات أيضا . ولكننى عدت فقلت إن هذه الفتاة لها جمالها الخاص بها الوقف عليها، وقد يكون فعلا فريدا؛ فلماذا لا تتيه بهذا المحيا الذى خصها الله به، وبهذا الجسد الأنيق، والقوام العادل، والغصن الرطيب ! ؟

ثم عدت فوجدت تفسيرا آخر لزهوها : يستحيل أن يكون كل هذا الزهو راجعا إلى أنها شابة وجميلة فقط، فإن الشباب والجمال كثير . إنها لا ريب معتدة بشيء آخر وراء هـذا كأنه العضد والسند . إن قلبها لا يزال خاليـا ، فهى تسـير شاعرة

باستقلالها ، تقطع الطريق رافعة الرأس لأنهـا ترى من حولها القيـود والأغلال ترى من حولهـا كآبة الحب الخائب والحب الذليـل والفؤاد الكسير . ترى نساء جميلات وشابات أيضا أصابهن الذبول قبل الأوان، ترى عيونهن النجل قـد اطفأتها الدموع . تحس أنك لو سألت كل واحدة من أولئك الحزينات المتجلدات فى عرض الطريق لسمعت من كل واحدة حكاية تجعلها تهرب من الرجال . فما أكثر الذين يجتمعون من الجنسين فى قران وكان ينبغى أن يذهب فريق الى الشرق وفريق الى الغرب . وللقدر مفارقات أليمة تحير العقول . وقد يسخر الناس من هـذه المفارقات، ولكن الأولى بهم أن يرثوا لهـا لأنها ضريبة الأحزان التى حكم على البشرية أن تدفعها ثمنا السعادة الأقليـة ، السعادة التى هى أيضـا مهددة فى كل لحظة لأنها سعادة محسودة .

هذه الفتاة التى تسير فى غرور هى البكورة البريئة الخالية، أما البكورة العابثة فهى تسير منخفضة الرأس شـاعرة بأنها فى بحر الظلمات . بحر لا شاطئ له ولا أمان فيه .

أنا أفهم هذا الجبين المرفوع وهذا الصدر العالى ، إنه رمز التحرر من عبودية الجيل ، ولكنه رمز لايطول مداه، فإن الرجل يتربص به ، وقد قضى الدهر بأن يخط الرجل على هذا الجبين ما سوف تراه العيون ! ...



*

الشتاء صديق النساء

كان الهواء أمس لاذعا وبدأ الشتاء يقدم بعد إحجام .

وكثيرات من السيدات لايحببن الشتاء مع أنه صديقهن وعليهن أن يحببنه لأنه يرد اليهن أزواجهن فيؤثرون الرجوع مبكرين بدلا من الدوار فى الطرقات والمقاهى كالتائهين .

وعلى المرأة أن تعرف كيف تنتصر داخل البيت لا خارجة . فهى إذا تأنقت للخارج ولبست فى الداخل زرى اللباس فمعناه أن زوجها ثانوى الأهمية بالنسبة للغرباء .

أجل . على المرأة أن تعرف كيف تجمل البيت لتجتذب الرجل وتعطيه ذوق البيت . بيتها يجب أن يكون الف ليلة وليلة فى براءة واحتشام ، يجب أن يشعر الرجل عند دخوله أنه يدخل معبدا من معابد الهنود فيه العطر والبخور ، وفيه الحرير يغلف النور ، وفيه الذوق والانسجام ، وفيه العطف والحنان ،

فيدخل شاعرا بدخوله حرما . وليس جلوس الرجل الى جنب زوجته وأولاده إلا نوعا من العبادة والصلاة .

فالمرأة التى تذهب الى الخياطة لتفصل أز ياء الشتاء يجب ألا تضع نصب عينيها الظهور فقط بهذه الملابس عند فلانة وفلانة لتزهو أو تتكبر إنها إذًا عابثة. على المرأة أن تحب الاناقة حتى يفخر بها زوجها من جانب، وحتى ترضى ذوقه من جانب آخر . فإذا لم تكن تحبه بحيث يكون هو وحده الذى يملك كل حياتها وتفكيرها ، اذا لم تكن تحبه بحيث تُمنى بعد هذا العالم أن تلتقى به هو نفسه لا أى أحد سواه، فهى شهيدة .

فاذا دخل الرجل البيت كل مساء فيجب أن يكون دخوله مرحبا به، منتظرا بفارغ الصبر من زوجته، كما لو كان عائدا من سفر طويل ، أو كما كان نساء الأمس يستقبلن أزواجهن الحجاج العائدين من الحجاز . فتضع بين يديه لا التمر والعسل، ولكن عواطف فياضة بحب يتجدّد أبدا له كل يوم مزاج وكل يوم فتنة، لأنها يجب أن تكون الفتانة، بل يجب أن تكون الفتاكة ! ...

والتى تفعل ذلك تكون هى العارفة بقلوب الرجال . قلب الرجل حصن ضعيف المقاومة سريع الاستسلام . فيجب أن تكون هى وحدها الغازية الفاتحة ! ... ويجب أن تنتهز الشتاء لتكسب الشتاء والصيف جميعا . وتستمر العجلة تدور . فالحياة قاسية كلهـا غواية وفوضى وكلهـا نسيان و جحود . والرجال متقلبون يعرفون ما سلحتهم به الطبيعة من سلطة وسطوة غشوم فيستبدون باسم حقوقهم ما طاب لهم الاستبداد !

فعنـد ما تغيم السماء و يهطل المطر يجب أن يصفو البيت و يهطل بالخير واليمن والحب ، وتدفأ فيه الأجسام والقلوب . فهـذا هو وقت اكتساب الفؤاد . أما فى الصيف على شاطئ البحر فهو العبث والنزوة الطارئة التى لا تأتى حتى ترحل .

بين جدران البيت ، فى وقت تجهم الطبيعة وغضبها ، عند عصف الرياح وهطول الأمطار واشـتداد البرد ، يكون مجال العواطف البيتية النبيلة ، العميقة ، المستمرة ، الصادقة ، التى تكفل للمرأة اكتسـاب الرجل ، لأن المرأة يجب أن تكسب زوجها كل يوم ! ...

*

رأس السنة الهجرية

أرسلت إلىّ آنسة كريمة من قارئاتى العزيزات، المعروفات المجهولات، اللواتى كثيرا ما أكتب لهنّ، أرسلت إلىّ فى عيد رأس السنة الهجرية ، شيكا على بنك السلام والوئام العالمى بمبلغ ٣٦٥ يوم هناء ! ... وعلى الشيك أن للبنك فرعا فى كل بيت ! ...

ياليت ! ... ياليت لهذا البنك فرعا فى كل بيت ؛ و ياليتنى كنت أستطيع أن أصرف هذا الشيك وأن أقبض مقابلها عام سعادة ! ...

ولست أدرى ، هل التى بعثت إلىّ بهذا الشيك لها رصيد عظيم تبذر منه هكذا باليمين و بالشمال ! ... وهل آثرتنى وحدى بهذا المبلغ العظيم أو أرسلت الى غيرى و وهبت سواى ! !

وعندى أنه يصعب على أى بنك فى العالم أن يصرف لفرد واحد ٣٦٥ يوم هناء فى العام ! فان هذا كثير على الانسان ونحن لم نخلق فى هذه الدنيا للهناء بقدر ما خلقنا للشقاء .

وإننى لا أطمع من عامى الطويل فى أكثر من ٣٦٥ ساعة سعيدة . على شريطة أن تكون سعادتها خالصة، كاملة، أنسى فيها كل هموم الدنيا ومشاغلها وأتراحها . أنسى فيها الماضى والحاضر والمستقبل . أنسى فيها من أنا ، وأين أنا ، وكيف أعيش ، وماذا أنتظر من دهرى ،وماذا أتمنى ،ولماذا أشكو ، وأنسى كل شىء ! ...

لو أننى ذهبت وطرقت كل باب ، كل باب بلا استثناء ، وسألت أهل الدار هل يصرف من عندهم هذا الشيك ،لابتسموا وقالوا : لو أن عندنا رصيدا كافيا لهذا الشيك لكنا من غير هذا العالم ! فليس فى تاريخ السعادة ٣٦٥ يوما متوالية، ولا ٣٦٥ ساعة متوالية ولا ٣٦٥ دقيقة متوالية! ...

إذن يصح أن يصدر هذا على بنك الأمانى . وإن يكون هذا الشيك المرسل إلىّ هو دعاء ورجاء . وما أحوجنى الى هذا الدعاء، والرجاء فى الهناء، يرفع الى السماء، من فتاة طاهرة! ...

*

دموع السمـــاء

بكت السماء أمس حتى شبعت بكاء . فهل كانت دموع حزن أم كانت دموع فرح ؟! من يدرى!... نحن نفسرها على هوانا . بعضنا يعجب بها و يطرب لها ، و بعضنا ينقبض منها ويقبع فى عقر داره ، و بعضنا يجـد فيها عزاء أى عزاء !. بعضنا سيشعر، وهو الكسير الفؤاد، أن السماء تشاركه أحزانه. ونحن بحاجة الى هذا التصوّر ولو كان ضلالة من خيالنا .

و بعض الناس قد فرحوا أمس بهـذا المطر لا لشىء إلا لأن فيه رزقا لهم . الفلاح فى أرض جافة، والعربى فى البادية، ينتظران الغيث المنهمر . والغلام الصغير الذى أضناه البحث عن حذاء يمسحه ، والطرابيشى الذى ينشد الزبائن الذين ينسون طرابيشهم أشهرا، والكواء الذى يريد أن تمتلئ حانوته بالبدل. كل هؤلاء وغيرهم يرون فى المطر رزقا . لأنهم لا يفكرون إلا فى لقمة العيش . تلك اللقمة التى أصبحت فى أيامنا عسـيرة المنال لا بدّ من دق حجر على حجر للوصول اليها .

كلٌّ يأخذ من السماء رزقه . ويأخذه حتى من دموع السماء !. ولقد شعرت أمس ساعة ببعض، بكل الهناء . نسيت الدنيا بأفراحها وأحزانها وبنيت لنفسي دنيا ليس فيها إلا السماء تبكي وقلبي يخفق . في خفوقه من الحاضر ومن الماضي. في خفوقه من الإحساس بجمال اليوم وروعة الأمس . في خفوقه من وعود الحياة ومن شجون الذكرى .

هذا هو رزق الشعراء . وقد يسخر منه بعض الناس، وقد يعدّه البعض أضغاث أحلام، ويعدّه آخرون خيالا في خيال، ولكن الشاعر يفخر بأحلامه وخياله . فهو يعيش بها ولها . وهو يزيد الدنيا بها جمالا . ولولا هذه الأحلام والخيالات لأصبح الوجود غليظا كئيبا . ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير الشعراء، بغير أحلامهم الجميلة، وخيالاتهم النبيلة؟! ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير سمائها التي تارة تظلم وتارة تصفو، وتارة تختفي وراء سحبها وتارة تبدو، لأن السماء لها أيضا خيالاتها وأحلامها . وإلا لماذا تذرف الدموع ؟!

*

الحب والمـــوت

رأيت رواية يموت فيها حبيب امرأة فتلجأ الى السـحر والشعوذة أو ماشابه ذلك لترد اليه الحياة . فابتسمت لسذاجة الوسيلة ورثيت لمطامع ابن آدم .

ففى الموت يتقدّس الحبيب . تزول الاختلافات التى بيننا وبينه، وينتهى ما كان يصدمنا من أخلاقه أو طباعه، وتتبدّل عندنا سيئاته حسنات . سيصبح حبنا له روحيا خالصا بعـد ما كان ماديا وروحيا فى وقت واحد أحيانا ، وماديا خالصا أحيانا . سنشعر نحن أنفسنا بأننا لم نكن معه كما كان ينبغى أن نكون . سنشعر بأننا قد أسأنا اليـه أحيانا بلا موجب ، وقد أغضبناه مرة أو مرارا ظلما وعدوانا لعصبية مزاجنا أو شذوذ أخلاقنا وأننا لم نمتعه بكل ما كان يجب أن نمتعه به لأننا حرمناه بدافع الإهمال أو دافع البخل . ويخزنا ضميرنا لهذا كله وهذا الوخز هو كفارة الذنب والتماس للغفران .

يتقدّس الحبيب بالفراق . تزول عندئذ الفوارق التافهة التى كانت تبدو لنا فى حياته كبيرة . وتلوح لنا صورته أشدّ جمالا وفتنة مما كانت أبدا .

ونقول عندئذ كيف زاغت عيوننا عن هذا الحسن كله فلم نمنحه كل قلوبنا ولم نقصر عليــه كل عواطفنا ولم نقف عنـده ذاهلين ؟ !

لو عرف النـاس قسوة الموت لزادوا إعزازا للحيـاة . لو عرف الناس قدر الحبيب لأحبوه حق الحب ، ولكانوا أشدّ ممـا هم الآن ولاء و وفاء ...

انظر الى ما يشجر بين حبيبين ، بين زوجين ، من خلاف على أبسط الأمور ، تشعر بالخجل لقصر النظر وسوء التقدير والتمسك بالنـافلة وتجسيم قيمة المـادّيات والحساب العسير على النظرة أو الابتسامة أو الدمعة أو الكآبة ... انظر الى الغيرة الجنونية التى تنشب أظفـارها فى عنق الحب فتقضى عليــه فى بعض الأحايين قبلما يزدهر و يملأ الحياة بهجة . انظر . وانظر ! ...

يا لنا من مخلوقات ضعيفة تبحث عن رشـدها وعن خيرها

فى أحوال كثيرة فلا تجـد اليه سـبيلا ... ترى ... أفلا بد من الموت ليوقظنا ، وينبه ضميرنا ، ويقفنا على أغلاطنا واخطائنا ، ويعلمنا التسامح والغفران ، ويذكرنا بقدسية الحب وأنه أعز ما فى الوجود ، وأن من دونه لا تساوى الدنيا جناح بعوضه ؟

أفلا بد من الموت لنفهم الحب ؟

*

الخبز الروحى

اختفى الشحاذون أو كادوا من القاهرة أو على الأقل من بعض الأحياء . ولكن الشوارع مازالت ملآى بالذين يشحذون من الدهر السعادة ويسألون الأيام الهناء . وهؤلاء أشد فقرا وأكثر حاجة من الذين يمدون أيديهم بطلب الخبز . فهم ينشدون خبزهم الروحى غذاء القلوب . وهم يذكرون ذلك كله خاصة فى العيد . لأن العيد هو احتفال بالحياة بل واحتفال بالموت أيضا . ألسنا نلبس فيه الجديد ، ونأكل الشهى من الطعام، ونتزاور ويهنئ بعضنا بعضا؟! ألسنا نقصد فيه المقابر نحمل الزهور ومن كل الثمرات ونذرف دمعة عند مثوى القريب والحبيب ؟ !

ولكن أريد أن أفرق بين الباحثين فى مفاوز الأرض عن راحة القلب . فأكثرهم ينشد اللذة لا الهناء . ويوجد فرق شاسع بين هؤلاء وهؤلاء . فأكثر الناس قد سعدوا باللذة

وحدها، اللذة الطارئة العنيفة، العارضـة، المتجددة، ولكنها لا تترك وراءها إلا الحزن والمرارة . فهى أسهل من الهنـاء لأنها تشترى أما الهناء فيقتنى . اللذة كوميض البرق يخبو بعـد طرفة عين أما الهناء فيملأ الوجود . اللذة هى المخدّر أما الهناء فهو الرحيـق . اللذة تجعلنا نتشكك فى معنى الحيـاة ومغزى المصـير، وأما الهنـاء فهو الثقة بأنفسـنا وبالنـاس وبالخير وبالحب .

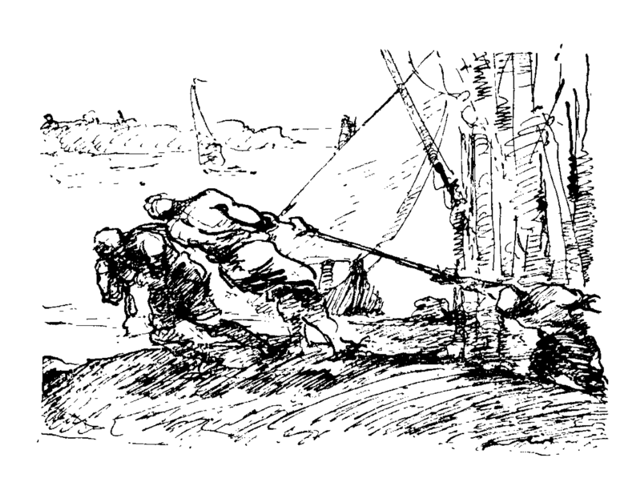
اللذة أمل الأنانيـة وهى عيد الأثرة . والهناء هو الايثار والايمـان . اللذة شـيطان جذاب ولكن الهناء ملك كريم . بعض الناس يحبون الشيطان لأنه براق خلاب كالنار . وهؤلاء يصيبهم من اللهيب نصيب . ولكنه ليس اللهيب المقدّس .

لأن اللهيب المقدّس يشعل القلوب الطاهرة، المطمئنة، الصابرة، الذاكـرة، التى تعرف حقها، وحق الناس، وحق الله . فاذا حرمت دهرا من هنائها انتظرت ولم تيأس ولم تقنط من رحمة ربها . لأن الهناء فى الواقع هو جزء منها كالفضيلة .

تأملوا أبسط الأشياء الفاضـلة وهى زيارة الموتى فى يوم

عيد . فنحن أمام تلك القبور الجرية التي يرقد تحتها أحبابنا نقف متعظين، ذاكرين، خاشعين، وننصرف عنها بعد البكاء ببعض العزاء . فهذا هو ضرب من ضروب الهناء . وفيه راحة القلب فعلا لأنه تجرد عن لذة الأشقياء .

فانظروا كيف يحسن الينا الحبيب حيا وميتا ! ...



*

مظاهر العيـــد

انظر الى شوارع مصر الكبرى، كفؤاد الأول وعماد الدين وقصر النيل، وكيف تموج المحال الفخمة بلعب الأطفال الجديدة، تتشابك على الباب وتدور من وراء البلور الوجهات؛ تضيء أنوارها وتنطفيء، وتنكشف أسرارها وتحتجب، وتغرى تلك النفوس الطاهرة بالنظر فيها والتعلق بها ، وينظر الرجال والأمهات الذين ليس لهم أولاد الى تلك اللعب البديعة بشيء خفى من الحسرة ، وينظر الرجال والأمهات الذين لهم أولاد وليس لهم مال بشيء كثير من الحزن والقنوط ،ويدخل الأغنياء ومتوسطو الحال يشترون ويهدون الى أحبابهم من الصغار الوانا شتى من اللعب والهدايا .

هـذا هو مظهر العيد . أفلا تراه مظهرا جميلا فعـلا يبدأ بالتفكير فى الأولاد تلك الأكباد التى تمشى على الأرض ؟ ! أليست هناءة البيت تكاد تجتمع فى الطفل وتقضى بأن يستمد

الأهل سعادتهم من ذلك المخلوق الصغير سواء أكان يحبو أم كان قد شب عن الطوق أو صار بعض الرجال؟! أليست هذه اللعب التى نقدّمها اليه هى امتحان لذكائه وشحذ لقريحته وترويض لفكره وجلاء لذهنه؟! فهم لا يتخمونه بالكعك بالسكر ولا باللحم الأبيض واللحم الأحمر، وهم لا يملأون بطنه وانما يهذبون نفسه، ويصقلون استعداده، فلا يكون العيد عنده أن يأكل ثم يأكل ثم يأكل، ولكن أن يشترك فى أفراح الأسرة بليلة عيد الميلاد تحت تلك الشجرة التى تضىء فروعها وتتثاقل أغصانها بالتحف الصغيرة والهدايا المهذبة .

ليت تلك (الحلاوة الحمراء والحلاوة الصفراء والحلاوة البيضاء، والحلاوة الحمصية والسمسمية والجوزية والشكلمية والهريسية ... الخ الخ) تختفى من أعيادنا ومواسمنا ليحل محلها ما هو أرقى وأجدر بالطفل والبيت .

فإن تلك الحلوى القذرة التى تفسد معدته وأسنانه، لا يجوز أن تكون رمزا للمولد النبوى الكريم ولا علامة عيد. إننا فى حاجة الى أخذ أشياء كثيرة جدا عن الغرب حتى لعب أطفاله .

*

رأس السنة الميلادية

من ذا الذى لا يتوقع فى عيد رأس السنة أن يحمل اليه القدر خيرا جديدا . هل فى هذه الدنيا الطويلة العريضة رجل (أو امرأة) سعيد تمام السعادة يريد أن يبقى حيث هو لا يتطلب المزيد أو التبديل ؟

سمعت أمس ابن بلد يغنى على الرباب أنشودة شجية تقول « ما حدّ فى الدنيا من الهم خالى ... » وقد صدق . لا فرق فى ذلك بين كبير وصغير أو غنى وفقير فالهم جزء من الحياة لا ينفصل عنها ، وفى مستهل العام يشعر الانسان بأنه قد طال به انتظار الهناء فهو يصنع ثوبا جديدا كأنه يريد أن يودع مع القديم الهم المقيم .

حقا أن كل لحظة من لحظات السعادة محسوبة علينا بعشرة أمثالها نتمتع بها اليوم لندفع ثمنها غدا أضعافا فهل يا ترى يخلصنا أول يناير من حساب خاسر ومن تركة مثقلة بالديون ؟ !

هذا هو الذى نتمناه . والناس على ذلك يحتالون أنواعا . بعضهم يلعب ليرى هـل يكسب أم يخسر . وبعضهم يحطم الكؤوس، بعد شراب نصف الليل، ليكسر من شرة القدر .

وفى هذا اليوم الجديد، المشرق ، المسؤول عن نفسـه ، لأنه أوّل يناير ١٩٣٤ ، نشعر برجفة التمنى والرجاء. نشعر بعجزنا وقوة المجهول . نشعر باستسلامنا وسطوة الغـد . نشعر بأننا مخلوقات ضعيفة ، مسكينة تسير على غير هدى ، نتلمس النور فى الليل وتنشد النظام فى الفوضى ، ونتمنى الوصول الى شاطئ الأمان وهى تتخبط فى بحر الظلمات ...

كثير ما يعرض الخير لنـا فنعرض عنه كثيرا ما تقف على بابنا السعادة وتدق الباب ثم تدق ونحن لا نسـمع فتنصرف، والسعيد الذى يفتح لهـا يكون هو الموعود الذى أوحى اليـه بالسمع . أما الشقى المحروم فيعيرها أذنا صماء ...

لذلك يمثلون الحـظ بملك مغمض العينين . قد امتلأت جعبته ذهبا وهاجا وهو يبحث عمن يلقى فى حجره هـذا النضار ويخلص منه !.

وهم يمثلون الدنيا بفتاة جميلة تحجبوا عينيها وجعلت تدق على جميع الأوتار حتى تقطعت كلها ولم يبق إلا وتر الأمل فى الله ...

لذلك أيضا يصعد البعض جبل عرفات ، ويقصد آخرون بيت المقدس ويروح غير هؤلاء وهؤلاء أناس يهيمون على وجوههم الى أقصى الأرض فى طلب أشياء أخرى لا يكادون يعرفونها على وجه الدقة وان كانوا يشعرون بها ، يريد البعض أن يفنى فى الله ، و يريد آخرون العون من الشيطان ...

وفى أول يناير تقف جميع الكائنات مندهشه لهذا المصير الغريب ، متسائلة عن الحب الأبدى الذى لايخدع ولا يخون ، متسائلة عن معنى الوجود وسر الكون ، فلا تكاد تظفر عن سؤالها بجواب مقنع حاسم .

فنحن نسير هكذا ، طوعا أو كرها لأن الدنيا تسير وكفى ، وقد نود لو نقف هنيهة لنتأمل ونستوعب ونحكم ونختار فلا نجد وقتا يسمح لنا بالوقوف أو التمهل واذا وجدنا الوقت دفعنا

الناس من كل جانب من حولنا إلى المسير، لأن الناس يهرعون كالجائعين إلى المصير !...

أول يناير !... رباه !... هل يحمل شيئا جديدا أو جاء يراكم القديم على القديم ، ويزحم الهموم بالهموم ، ويكسر النصال على النصال ؟!؟

ليكن أول يناير ما تشاء يا رب أن يكون ... على شريطة أن يحمل للارواح الحائرة : بعض الهدى ، وللافئدة الحزينة : بعض العزاء ، وللنفوس اليائسة : بعض الأمل ، وللقلوب الظامئة : بعض الحب ! ...

*

شم النســـيم

حمــل الغوانى أمس من الكأس ، فى نصف الليــل ، الشموع الموقدة حتى بيوتهن ... وحرصن طول الطـريق على ألا تنطفئ حتى يسعدن طول العام ! .

كلنا فى حالة التمنى هذه . كلنا يحمل فى يده، أو فى قلبه ، هذا السراج يريد أن يظل موقدا، ويخاف عليــه هبة الريح ، أو خطرة النسيم ، أو تنفس انسان ...

شــعرت لمرآهن بعطف ورجاء ، وذكرت أن جماعاتهن الصغيرة هى رمز الجموع الغفيرة . رمز الملايين التائهة فى بيداء الحياة والحب تبحث عن الرفيق وتتمنى اللهب وتريد أن تشــعر وتتعذب ويكون لندائها صــدى ويكون لصوتها مجيب ويكون لانتظارها فائدة .

وجماعاتهن الصغيرة، أولئك الغوانى اللواتى يحملن الشموع، هى أيضــا رمز الملايين التى وجدت طلبتهــا وأجيب توسلها

و بلغت متمناها ولكنها تخشى عليه فى كل لحظة وتريد أن تحوطه بضروب الإعزاز والرعاية وان تجعله ، برغم الدنيا الغادرة، فى حرز حريز .

ولكن أى الفريقين أسعد حظا ؟ ! أولئك الذين لقوا متمناهم وهم فى خوف عليه وخوف منه، أم أولئك الذين مازالوا يبحثون عنه أو يعيشون فى انتظاره ؟ ! كلا الفريقين يتوجس خيفة . ولكن الذين لقوا الحبيب واطلعوا على سر الحياة قد يطغون وقد يتكبرون على المحرومين . وقد يكايدون الذين ما زالوا فى الانتظار ويتيهون عليهم . أتراهم لم يسمعوا أغنية « لوسيين بوييه » وهى تقول : « لا تقل (دائما أبدا) لأن ذلك فى الحب كفر وتجديف ! فليس هناك من يعرف . والمرء اذا ما أحب الآن أقسم بمغلظ الأيمان ثم بكل بساطة ينساها ... لا تقل (أبدا) فليس فى الحب ما يربطك ... ان الانسان يمل حتى من الهناء ... » .

وإنى أشفق من ترجمة الباقى . وأشفق من ذلك خاصة فى يوم شم النسيم الذى يجب أن يكون خالصا للحب والرجاء

فى دوام الحب . ولولا هـذا الرجاء لأظلمت الدنيا فى عيوننـا ولانقلب شم النسيم ريح الخماسين .

فى أحضان الطبيعة اليوم، بين الزهور والحبور، ستوجد نفوس كاسفة البال، حزينة، لأنها لم تجد شطر روحها وثمة حياتها . فعليها ألا تفكر كثيرا . عليها أن تنطلق أيضا مع المنطلقين، فاتحة ذراعيها للنسيم ، وتشغل ولو قليلا بمـا حولها عن نفسها، وتنسى المرارة العالقة بفمها وتندمج فى موكب السعداء ولو لم تكن منـه ، ولو كانت غريبة عنه ، ونتساءل لمـاذا تذبل كالزهرة على عودها وهى منكمشة تأبى النور وتأبى النسيم، وهى تأبى أن تأخذ ولو من ظاهر الفرح بنصيب ؟ !

تمنيت أمس لو عدت طفلا أطلق البـارود وأفرقعـه فى الحـائط أو على قارعة الطـريق . تمنيت لو عدت صبيا فى العاشرة ومسحت اللوح كله ولم أدرك من الحياة تباريحها وهمومها ولم تدركنى الحيـاة باضطهادها ومشاغلها . تمنيت لو عدت صبيا، وبقيت صبيا، لم يكبر لى عقل ولم يكبر لى قلب، العب بالشمس والقمر والنجوم ! ...

شم النسيم أيضا

«لقد قرأت كلمتك عن يوم شم النسيم وكررت تلاوتها فى شغف و إنعام نظر . ولقد طالما أعجبت بما تكتب بما هو خاص بالعواطف وخفقات القلوب ، ولا جرم فأنت شاب ملء قلبه الحب والأمل والرجاء وأنت أديب تستطيع أن تعبر عن هذه العواطف بما يشجى النفس ويهز أوتار القلوب . و إنك فيما كتبت لتقسم أهل النفوس الشاعرة والقلوب الخفاقة قسمين :

واحد نال ما أمل وحصل على ما كان منية النفس ومعقد الرجاء فهو حريص عليه يحاذر أن ينفصل عنه وأن يخرج من بين يديه ، وآخر يبحث عن حبة القلب وراحة الفؤاد : عن نصفه الآخر الذى به قوام قلبه ونفسه وجسمه ، الذى به يتوطد كيانه ويشتد بنيانه وتهدأ نفسه الثائرة ، ويسكن قلبه الخافق الى شىء من السعادة والنعيم .

ألا ترى — يا أستاذ — أنك نسيت قسما آخر من أهل النفوس الشاعرة والقلوب الخفاقة المذكورين : أولئك لا هم اجتمعوا بنصفهم الآخر فاستراحوا اليه ولا هم يبحثون عنه فتنسيهم شواغل البحث ونشوات الأمل بعض ما يعانون ، أولئك الذين وجدوا نصفهم الآخر وحبيبهم المقدور ولكنهم لم يضموه الى أنفسهم كما تنضم الجزئيات بعضها الى بعض فتنتج من ذلك كليات تامة الصفات ميمونة البركات .

كم منا نحن الشبان من يرى حبيبه ويراه ويتبادلان أرق العواطف وأنبل التمنيات بالنظر لا بالكلام وبالعين لا باللسان ويحرقهم الشوق ويحز فى نفوسهم الاشتهاء لضم النصف الى النصف وتكوين الواحد الكامل القادر على الحياة .

ولكنهم ينتظرون ويطول بهم الانتظار حتى تأكل نفوسهم وتودى آلام القلب بجسومهم وقد يذهبون من جراء ذلك هباء ، ويكون سبب الحرمان أتفه الشؤون وأكثرها صغارا من أعراض الحياة . أليس جديرا بهؤلاء أن يكونوا كاسفين محزونين فى يوم كيوم شم النسيم حين يكون غيرهم فى سرور وحبور وانشراح ؟ أليس من المحزن حقا أن يرى الانسان نصفه الآخر الذى به قوامه وحياته وسعادة نفسه ولا يستطيع منه دنوا لأن الحياة قد حرمته بعض أعراضها الزائلة فى حين أن نفسه من أكثر النفوس سموا وأعظمها علوا ؟

أليس من المؤلم حقا أن تكون أنشودة هؤلاء فى مراحهم ومغداهم وفى سرهم ونجواهم وحين ينفردون وحين يجتمعون وحيثما كانوا فى المدينة الصاخبة أو الخلاء الطلق .

أليس مؤلما حقا أن تكون أنشودة هؤلاء قول عمر بن أبى ربيعة :

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع	ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع	ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر

(م ٠ س)

* * *

لا يوجد قسم ثالث ياسيدى لأنك أنت المحروم تدخل فى القسم الأول . أنت وجدت فعلا النصف الأفضل وفهمته وفهمك ولو لم نتبادلا حرفا واحدا، فهذا له عزاؤه، وعزاؤه العظيم . وإن أشق المحرومين هو الذى يبحث ولا يجد، فهو التائه فى بيداء لاأول لها ولا آخر، يتخبط ولايدرى متى يطمئن قلبه أو متى يهتدى الى بصيص من النور ولو ظل يراه دون أن يعيش فى ظله . وإن مجرد العثور على النصف المنشود هو الجانب الرفيع فى المسألة . أما امتلاك هذا النصف فهو دائما فى المحل الثانى . وإن لك أن تهنأ لأنك وجدت، ولك أن تتعزى فقد قطع سواك بحر الحياة ولم يجد، وعاش ومات ولم يبل أوامه، ومات بحسرته، لم يبسم له ثغر، ولم تذرف له عين، ولم يخفق له قلب !

*

الحمى !

بدأت تدب فى القاهرة الحياة ، فالشتاء يحييها والصيف يقتلها . إن عاصمتنا الجميلة عروس جمعت بين الشرق والغرب . وهى أشدّ بهجة من روما وأبدع من لندن . ليس فى لندن كلها عمارة مثل عمارات سيف الدين . وليس لباريس ضاحية مثل هليو بوليس . وليس فى روما مثل جاردن سيتى . أشعر بعرفان الجميل نحو الذين يبنون هذه القصور وهذه العمارات . كان يجب أن يمنحوا الأوسمة والمكافآت . كان يجب أن نبرهن لهم على أنهم ساهموا فى جمال هذه العاصمة وفى تمجيدها وفى الدعاية للبلاد ، فإن البناء ثروة والبناء الأنيق ثروة للذوق ، ونحن بحاجة الى الكثير جدا من الذوق السليم .

الإضاءة ، إضاءة البيوت والقصور ، أصبحت فنا خطيرا ، فان النور قد يكسف (الصالون) و يفضح الأثاث و يجعله مبتذلا . لا بدّ من أن ينسجم الضوء مع الفرش . ان لون « الأباچور »

أو شكل الثريا يدل على أخلاق أهل البيت . يدل على حبهم للسر والسلام أو الفوضى .

كذلك ثياب النساء ، فإنها زادت أناقة . ولكننا نريد أناقة البيت أكثر من أناقة الشارع . ترى ، لو أننا رأينا مرة فى الطريق سيدة أنيقة وعدنا توا الى بيتها فكيف نجده؟ ! هل تكون قد قلبت كل شىء من (مناديل) وجوارب و (فساتين ومانتوات) وألقت بعضها على السرير والبعض الآخر على (الشيزلونج) أو الأرض ؟ ! .

دخلت أمس بيتا مصريا فانشرح صدرى ،لأنه لا البيوت الفرنسية ولا البيوت الإنكليزية يمكن أن تكون أسلم منه ذوقا . ولو عملت مسابقة لفاز من دونها . كان بيتا له روح ، له سر ، له مزاج . كان بيتا يخفق كالفؤاد . كانت جدرانه ، وكراسيه ، و (كنباته وسجاجيده) وأنواره (و زهرياته) وستائره كلها منسجمة كالألحان الموسيقية . صاحبة الدار لا بدّ موسيقية ، إنها تجعل حياة زوجها وأولادها لحنا شجيا ، انها فرشت بيتها لا بألوف الجنيهات ولكن (برصيد) هائل من الفطرة

السليمة والذوق المصفى . ذوقها مطبوع . يدها واثقة من مكان هذا المقعد ، ومن لون هذه الستارة ، ومن موضع ذلك الإطار : أثاثها كله يتحدث الى بعضه و يتناجى بجماعة من الأصدقاء الأعزاء ، بجماعة متفقة متفاهمة متحابة لا ترفع صوتها بالضجيج والجدال . انها تتهامس ، ولكن مجرد الهمس بل مجرد النظر يكفيها لتدرك ما تريد أن تقول .

هذه هى حياة البيت ، فلا تكفينا الصروح المشيدة ، ولا تكفينا الأناقة الظاهرة ، ولا تكفينا ألوف الجنيهات لنجعل فى البيت السلام والسر . أى شىء فى الدنيا يعدل صفاء البيت ، وهدوء السر ؟

*

شجـــرة المشمش

رأيت شجـرة مشمش على الطـريق العام بالجـزيرة ؛ وقد ازدهرت أغصانها إيذانا بقـرب حلول الربيع ، فنبهتنى الى الربيع ! ...

وشجرة المشمش هذه من أحب الأشجار الى نفسى . فهى حقا من بشائر الربيع . زهرها أنيق كثوب المـرأة التى تعرف كيف تلبس . وما أقل الشجر الأنيق ، وما أقل النساء اللواتى يعرفن كيف يلبسن ! ...

وزهور المشمش قصيرة العمر . وكذلك الثوب النسائى . فهذه الشجرة تحمله شهرا أو بعض شهر . والمرأة الأنيقة لاتحمل ثوبها أكثر من ذلك . وربما عدّ بعض الناس هذا إسرافا . ولكنهم مخطئون . فان جمال المرأة لا يبدو فى غير بزتها . والرجل الذى له مزاج يحب أن تلبس امرأته وتتأنق فى لبسها ، وهناك رجال هم أعداء لبس نسائهم . وهؤلاء لا أدرى كيف

أسميهم، فان عداوة الاناقة هى شىء فى الدم، كما أن حب الاناقة، ومعرفة الاناقة فى الدم أيضا .

ولكن تستطيع المرأة محرومة الذوق أن تقتبس الذوق . فعليها أولا أن تحب الطبيعة وما بها من طير رشيق، وزهر جميل وعليها أن تدرس كل ما حولها فلا تراكم أثاث البيت ولا تزحمه ولا تحاول أن تقلد كل ما تراه بل أن تجعل لها فى بيتها وزيها شخصية وقفا عليها .

وفى الربيع تتفتح أكمام الزهر وتبدو بشائر الحياة وتزدان الدنيا بثياب النساء الزاهية وتخفق القلوب ... يخفق بعضها تمنيا للحب وبعضها ابتهاجا بالحب وبعضها حسرة على الحب . وكما توجد عندئذ قنابر تنوح على أغصان شجرة المشمش توجد سيدات ينسجن أحزانهن بينا يطرزن ، الى جنب النافذة ... يتأملن تلك العصا السحرية التى لمست الكائنات فأيقظها من سباتها وجعلت الشجر يورق ، والزهر ينضر، والسماء تصفو، والجو يحلو،ولكن تلك العصا الساحرة لما تمس قلوبهن وتبعث فيها حرارة وقوة ! وما أحوجهن الى قوة جديدة لمواجهة الدنيا

من جديد . ولكننا جميعا نكون تلك الانسانيــة الشاملة التى يشقى فيهــا البعض ويسـعد آخرون . فعلى السعداء ألا يطغوا فى هنائهم وعلى التعساء ألا يفنوا فى شقائهم . على السعداء أن ينظروا الى تلك النفوس الحزينة فيتعظوا ويعتدلوا ولا يسرفوا . وعلى التعساء أن ينظروا الى تلك النفوس المرحــة الزائطة بكل عطف وكل حنان ويشتركوا ، ولو من بعيــد، فى ذلك المرح لأنه رمز ضعف الانسان وحاجته الى الحرية،حرية الانطلاق من الأغلال والأحزان ...

لتكن إذن بشائر الربيع هى بشائر القلوب ...ولتكن زهور المشمش بمثابة نداء الى السلوى والعزاء والاحتفاء بالحياة !...

*

أوّل مايو

فى أول مايو تغص شوارع باريس الجميلة بألوف الباعة الذين يقدمون زهرة « الموجيه » للمارة من شيب وشباب لتزين صدور الرجال وخصور النساء وقبعات العاملات . وتنتشر الخلائق فى حلل زاهية، فى الحدائق والغابات، احتفالا باقبال الربيع الذى يلمس فى ذلك اليوم الكائنات بعصاه السحرية فيحييها . ويريد أهل باريس أن يتصلوا فى ذلك اليوم — كما نتصل بعدهم غدا فى عيد شم النسيم — بالطبيعة التى تجدّد وتنتعش . ولا يبقى غنى ولا فقير إلا ويشترى تلك الزهرة رمز الأمل وحاملة الهناءة .

وفى الجانب الآخر من المدينة يقف مائة ألف شخص يهتفون بهتاف واحد يبلغ عنان السماء تحية ليوم العمل والعمال.

فترى نصف المدينة فى ذلك اليوم يستبشر بالحياة والوجود ويجدد أمله ورجاءه فى العيش الرغيد، والنصف الآخر يهتف

للعمال وفوز طائفة على طائفة . وعندى ان الهناءة المنشودة من البعض لا يجوز أن تكون كالنير فى عنق البعض الآخر . ويستحيل على أمة أن تهنأ إلا باتخاذ جميع قواها فى هذا السبيل . وفى انتظار أن يكون الاتحاد الاجتماعى مسخرا ميسورا حقا لا بد لكل منا أن يعمل لا لهناءته الفردية فقط بل لهناءة محيطه الذى يعيش فيه أيضا : من أهله وأصحابه ورفقائه وزملائه (وعملائه) وتابعيه . بهذا يرضى روح الدين نفسه ويساهم فى التعاون الاجتماعى العام . واذا كان القدر حائلا دوننا ودون كثير من الماديات الى حد ما فليست الماديات وحدها هى سر سعادة البشر . بل ان الناس كلما زاد مالهم زادت همومهم . وبالأمس لقيت فى طريق الى الإسكندرية الرجل الذى ربح ثلاثين ألف جنيه وحسده جميع الناس وكان من أساتذتى بالمدرسة السعيدية منذ بضعة عشر عاما فتصافحنا وهنأته ، وقد عرفنى لأول وهلة . فلما أشرت عليه فى سياق الحديث بالقيام برحلة حول العالم لا تكلفه أكثر من ٤٠٠ جنيه قال لى : انتظر على الى العام القادم حتى أفيق ! ... فهو اذًا

فى حال تشبه الغيبوبة بسبب الثروة الفجائية، وليست من الهناءة فى شىء لأن السعادة هى اليقظة .

وعندى ان الرجل لا يجوز له كذلك أن يكون عبدا لخبزه وأكل عيشه . لأنه اذا أصبح العمل مذلة للنفس فأولى للانسان أن يموت جوعا . والناس من خوف الفقر فى فقر . فالثقة بالنفس والرجاء فى الله ضروريان لكل كائن، ولا بد من تجديدهما عن يقين . ويوم أوّل مايو أصلح الأيام لذلك، لأنه يوم الربيع الذى تجدّد فيه الطبيعة شبابها، ويجدد فيه الإنسان آماله .

*

الانتحـــار

انتحر على «العقيلى افندى» فى ربيع حياته لم يتجاوز الثامنة عشرة، لأن التى أودعها قلبه قد خانت عهده وتعلقت بآخر .

ان فكرة ملأت رأســه ولم تتركه . شغلت كل حواسه فكأنها ذلك الأخطبوط الهائل الذى اذا تعلق برجل فى البحر لف عليه سواعده وأطرافه وعصره وقتله .

يمشى صاحبنا فيراها تسير أمامه . يجلس فتجلس قبالته أو الى جانبه تتحدث اليه على الحال التى يصورها له خياله و يرضاها !

و يقرأ فيراها واقفة على الصفحة بدل السطور والكلمات .

فاذا ذهب الى فراشه فانما ليجدها الى جانبه توقظه وتسهده بالعتب واللوم ما طاب لها ذلك . فإذا غفا سلّت عليه سيوفها الأحـــلام ! !

هذا الاضطهاد الذى أصوره لك هو الذى يخلقه صاحبنا ، فهو يقيم من ذاته عذابات واضطهادات .

انتحر لأنه لم يتحرر من هذا الاضطهاد، بل خضع له ورضى

به . وقد أخطأ ، وقد دفع ثمن خطأه حياته كلها، ووارحمتاه عليه ! فقد كان الثمن باهظا .

كان أولى له أن يخرج الى الهواء الطلق قلبا وقالبا ، فكراً وفعلا . أى أنه عندما تعرض له صورة هذه المحبوبة الخائنة يلعنها فى نفسه و يسخر من شكلها و يقبح خيانتها و ينعى عليها غدرها، و يذهب الى النيل يجدف فى قارب، و يملأ قلبه من هواء الجزيرة، و يدفئ جسمه بشمسها، و يملأ عينيه بمحاسن الوجود، و يتأمل حيـاة ذلك النوتى الفقير الذى يغنى حتى تهتز بصوته العالى أجواز الفضاء، وهو يأكل الجبن والفجل قرير العين .

عندئذ قد يدرك صاحبنا أن السعادة ليست من الغير إلينا بقدر ما هى من أنفسنا، من قلوبنا، من عقولنا .

فقد رضى أن يبقى كقطعة الحديد الصغيرة يجذبها المغنطيس و يلعب بها . فراح يجرى ثم يقف ثم يجلس ثم يقوم ثم يأكل ثم يصوم ثم يحيا ثم يموت بإرادة فتاة لعوب .

هذا عوضا عن أن يقول لنفسه كلما عرضت له صورتها : أنت ! أنت ! وما شأنك بى؟ إننى لا أعرفك ! ...

ويحطم تمثالها في نفسه بذات يده ، ويضرب بذلك لنفسه برهان رجولته .

ويمضى فى دروسه ، ويكون على رأس فرقته ، وينبغ وينبه ذكره ليصرعها عند ما تكون هى فى زاوية خاملة ما زالت تتعثر بحثا وتنقيبا عن قلامة ظفره .

والخيانة فى الحب يمكن تشبيهها بالسقوط فى الامتحان فى مادة كاللغة الانجليزية مثلا ؛ يذهب بعدها الطالب فيشرب «الفنيك أو صبغة اليوت» وينتحر ، وذلك منه ضعف وجهل . وكان أخلق به أن يحبس نفسه فى البيت ثلاثة أشهر لا يقرأ فى خلالها ولا يكتب إلا لغة إنجليزية خالصة ، ينجح بعدها حتما ويوفر حياته لنفسه وأهله ووطنه .

فالفكرة هى التى تذلك أو ترفعك ، تحررك أو تستعبدك ، تحييك أو تقتلك .

حرر فكرك إذًا من خيالات المرضى السقيمة ، واعلم أن الدنيا غنية بالعظات والمسرات . فلا ترضى الخروج منها كما يخرج البعض مفلسين .

*

زاد الإيمان

العالم فى أزمة روحية تفوق أزمته الاقتصادية . نحن قد نشكو جميعا الأزمة ولكننا مع ذلك نأكل فى النهار مرتين أو ثلاثا ، ونشرب عشر مرات وننام عشر ساعات كالعادة ، أو فوق العادة . وكل ما فى الأمر أن الأكل عند بعض الناس قد زاد فيه الخبز على (الغموس) وزادت (السلاطة) على (البسبوس) وبعد ما كان الوارث المغرور يشترى كل شهر سيارة جديدة ويهب القديمة أصبح يكتفى بسيارة مستعملة و(٤ جالونات بنزين) فى اليوم . والباشا العريق الذى كان يفصل بذلته فى شارع المغربى بخمسة عشر جنيها انتقل الى شارع الساحة بسبعة جنيهات . والموظف الذى كان يفصل فى شارع الساحة انتقل الى (ترزى) غيط العدة . والهانم التى كانت لا تعرف إلا شارع فؤاد الأول لملابسها وشارع عماد الدين لأحذيتها قد (تدحدرت) قليلا الى الموسكى وباب الخلق وبين السورين ...

ولكننا مع هـذا كله لم نسمع لحسن الحظ بأن سيدة قد انتحرت لأنه حكم عليها بلبس حذاء « باتا » بعد « راؤول » .
ولم نسمع أن كثيرين من الناس قد ماتوا جوعا لأن القمح أصبح (بتراب الفلوس) .

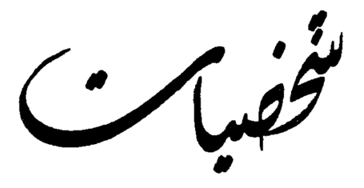
لكن الأزمة الروحية موجودة فعلا . دليل ذلك ما كتبه صحفى ألمـانى : « ان مسرح الحياة هو المسرح الوحيد الذى لا يوجد فى صالته باب رسمى للخروج . حتى انه يحدث فى كل ليـلة أن المتفرجين الذين يصرون على الخـروج (من كل بدّ) قبـل الفصل الأخير يضطرون الى إلقـاء أنفسهم من النوافذ أو (البلكونات) . وكان يَحسن إقناعهم بعدم الخروج، ولكن لمـا كان ذلك يتعذر أحيانا، فلا معنى لتجاهلهم وتركهم ينتحرون وحدهم ونحن ننظر اليهم من وراء ستار » .

فهذا الزميـل المفضال يقترح انشاء معهد للانتحار يدخله الراغب يتبختر من باب ويخرج (سطيحة) من الباب الآخر!... والحاجة أم الاختراع . لأن حضرته قد رأى فى العام من مواطنيه الذين ضربوا الدنيا وأنفسهم (طبنجة) ١٨٠٠٠ نسمة !...

وها هو الكاتب الفرنسى الكبير « دوهامل » (يخانق) مواطنيه فى آخر كتاب وضعه ، وقد أطلق عليه اسم : « شجار عائلى» ويقول : إن الناس من أزمتهم التى صنعوها سيعرفون أزمة الحضارة . فليس أمرها وقفا على الاقتصاد العالمى ولكنه يشمل الأخلاق والسياسة والاجتماع ، بل ومستقبل النوع وسلام الروح ونجاة العقل ، وقصارى القول كل ماتشتمل عليه الإنسانية بتاريخها وأديانها وأطماعها وعواطفها وآمالها ودولها .

وهو مع ذلك ليس يائسا . إنما هو يعتقد أن عالمنا العجوز مريض طغى فيه الشر على الخير ، وهو لذلك حزين ، وحزنه يحمل فى ذاته عزاءه ، وثورته هذه دليل أمله ، وشجاره هذا دليل ثقته .

فاذا كان قد قل الزاد فى بطوننا فينبغى أن يزداد فى نفوسنا الايمان .



(١٠-٢)

*

داود بركات

حرمنى المرض من حضور حفلة تأبين أستاذنا داود بركات ويعز على القلم أن يكتب « تأبين » بدل « تكريم » ومهما قرأت الخطب والقصائد فان هذا لايبلغ مقدار سماعها من أصوات أصحابها الكرام ففى تلك الأصوات بعض نفوسهم ، وحبات قلوبهم . فى ذلك الجو الذى تملؤه روح داود لأن روح داود تملأ كل مكان تحل فيه .

مضى الآن أربعون يوما على وفاته . أيام بقدر الأعوام التى قضاها فى خدمة الخير الخاص ، والخير العام . فإنه كان يعيش للناس ولأهله ، ولم يعش يوما لنفسه ، دليل ذلك أنه عاش بغير حب ، ولا زوج ، ولا ولد . وفى مثل حالته فقط تعد العزوبة فضيلة .

أما عيشه للناس فدليله مجموعة « الأهرام » منذ ثلث قرن . مجلدات لو وضعت فوق بعضها بعض لصارت من

نواطح السحب، وهى أقوى من نواطح السحب لأنهـا من نواطح الدهر . فالفكر جوهر الوجود، وهذه أفكار تحارب الشر وتنصر الخير . أى شيء فى هـذه الدنيا، أيا كان طغيانه وجبروته، يمكن أن يعدم جوهر الخير ! ؟

نفس خيِّرة سمحة إلى أبعد حدود الخير والسماحة . تشفق على خصمها وتبتسم له لأنها تعلم أنها أكبر منه وأكرم . ولهذه الابتسـامة معانيها . ومن معانيهـا التعفف والترفع ومكارم الأخلاق .

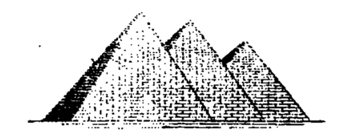
نفس مطمئنة تنشد الوداعة وتنشر السلام . راقبها فى حياتها كلها تجدها لم تنحرف عن الدعوة الى الوئام بين أبناء البلد الواحد وعن التلويح بينهم بغصن الزيتون .

نفس كالأسد الرئبـال أمام خصوم الوطن . راقبها منـذ مصطفى كامل وهو فتى ينهض وقد توالى على مصر كرومر وغورست وكتشنر ومكسو يل واللنبي ولو يد ولورين، فى السلم والحـرب، فى أحكام عادية وأحكام عسـكرية، فى احتـلال

وحماية واستقلال مع تحفظات ، تعرف كيف دفع داود عن مصر دائما لا تلين له قناة .

وهو فى السياسة مثله فى التاريخ ، وفى الأدب ، وفى الاجتماع وفى الاقتصاد ، وفى كل شىء ، فى كل شىء . ساير هذه النهضات كلها فى البلاد ، وأيدها ، ودعمها ، وأمدها بالفكر والصوت الجهير المسموع ، الصوت الذى كان يهز الحكومات هزا .

ثوى الآن واستراح . وكانت سعادته وراحته فى الجهاد . ولكنه كان عظيما . ملء هذه الدنيا ، فلم تكن تكفيه إلّا راحة الأبد .



*

*

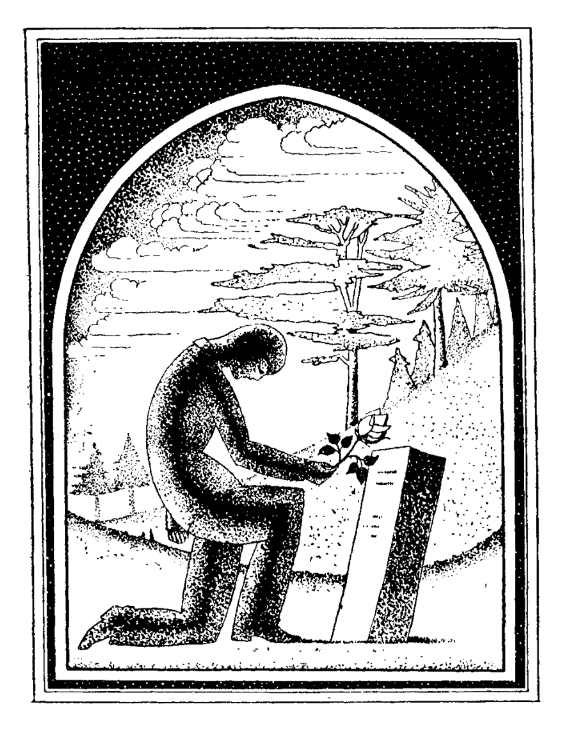
خير الله خير الله

مات صديق «خير الله خير الله» الصحفى اللبنانى الكريم نزيل باريس منــذ ثلاثين عاما . ولست أرثيــه لأنه صديق فحسب، بل لأنه صديق من أوفى أصدقاء مصر العزيزة يشتغل بالسياسة وهو أنزه الناس وأعفهم وأكثرهم شمما وإباء . كان يحرر الشئون الشرقية فى جريدة «الطان» وهى أعظم جريدة فرنسية . فكان لا يترك فرصــة تمر إلا ويشيد بذكر مصر . وكان يحتفى فى داره رقم ٧٧ بشارع «دنفير روشروه»، التى تجمع الى تواضع الفيلسوف ذوق الفنان، بكل من نبه ذكره من الشرقيين الذين يمرون بباريس . وكان يقيم فى كل عام حفلة استقبال لزعيمة النهضة النسائية التى ترفع رأس بلادها فى كل مكان حلت فيه السيدة هدى هانم شعراوى . وكان يجمع فى هــذا الاستقبال الساهر الحافل الجاليات الشرقيــة الكريمة من مصرية ولبنانية

وسورية وعراقيـة ومراكشية الى غير من يضمهم من أعيان الفرنسيين وكبار أهل الأدب ورجال السياسة .

وكنت ترى فى دار الأستاذ خير الله مدالية مسكوكة بصورة جلالة ملك مصر وتمثال جلالة ملك العراق وصورة ملك الأفغان وتمثال أمير الشـعراء شوقى بك، وهو من صنع المثـال اللبنانى الشهير «الحويك» . وكنت ترى كتبه تناطح السقف العالى وتدور بالمسكن كما يدور السوار بالمعصم . فاذا جلست تتحدث اليـه وجدت ينبوعا يتدفق من المعرفة الواسعة الطليقة، الجامعة الى التاريخ فلسفته، والى السياسة أساليبها، والى الأدب أصوله . فاذا سمعته خطيبا — وقد خطب مرة الجمعية المصرية احتفاء بعيـد ١٣ نوفمبر باللغة الفرنسية ، فان الفرنسيين أنفسهم لا يصدقون أن أجنبيا يحذق لغتهم فوق حذقهم إياها، وذكر فى ذلك اليوم بعض ذكرياته عن المغفور له سعد زغلول، وكان على اتصال به أثناء المفاوضات الأولى هو و رجال الوفد المصرى جميعا . فكان هو هو خير الله الصادق الأمين للعهد الوفى وفاء المخلصين المترفعين . وكان هو هو خير الله الشرقى العربى الصميم .

هذه لمحة عاجلة عن حياة موفورة الخيرات والمبرّات، حياة صديق يعز فيه العزاء . فلتكن بمثابة الوردة أضعها الآن دامع العين خاشعا وهو يوارى فى قبره تحت أرز الجبل .



*

مختــار

شيعنا امس جثمان مثالنــا الكبير محمود مختار فعرفنا عنــد رؤية هــذا النعش بين الزهور، الى جوار تمثال نهضة مصر، مقدار خسارتنا فى مثالنا الوحيد الذى جعل المرمر يرتعش بين أنامله، ويسجل فى تاريخ الفن آيات مصرية لولا مختــار لمــا نقشت فى لوح محفوظ .

فمحمود مختار الذى نهل حــتى ارتوى من بلد الفن، من باريس، قــد تجلى نبوغه وحبه لوطنــه من جميع التحف التى أبدعها، فهو قد جعل الرخام يهتز إعجابا بقــوام الفلاحة اللدن وهى تحمــل تارة بلاصها على رأسهــا أو تلتفت الى المــاء برشاقة وخفه كأنها عذراء تســتحى من النيل، أو تحمــل على رأسها ذلك الوعاء الخشبي الذى يأكل فيه فلاحونا العدس والثريد، أو هى تجلس فى حالة من الحزن والألم تجعل كل ما حولهــا حزنا وألمــا، أو تغفو لحظة وتأخذها من النوم سنة

فنجد غصنها الرطيب قد انثنى ونجد رأسها الجميل قد مال على كتفها . كل هذا من الصخر الأصم الذى عمل فيه «أزميل» مختار مالا تعمل أنامل الموسيقار البارع بالأوتار . ورأينا الى جنب الفلاحة المصرية فتاة القاهرة الأنيقة والأميرة النبيلة التى أسدل على محياها نقابا شفافا من المرمر فإذا بهذا الوجه الوضاء ينضح بالنور والجلال الذى ميز الله به المرأة الشرقية العريقة .

فمختار هو أستاذ فى الوطنية والفن معا . لأنه رغم ثقافته الأجنبيه قد أحب امرأة بلاده وعرف كيف يدرس قوامها ، وحركتها ، وخفتها ، وخفرها ، وأناقتها ، وغندرتها ، وحشمتها ، ويجمع هذا كله فى تماثيله التى لا تقدر الآن بثمن ، لأن مختارا مات .

وأذكر يوما من عام ١٩٢٩ إذ كنت فى مصر بالإجازة وزرت متحف الخيال الذى عرض فيه مختار بعض قطعه فى دار «روجيه بريفال» . وكتبت فى «الأهرام» مقالا مجدت فيه فنه العظيم . وأثنيت على تلك الليونة المدهشة والحركة الحية

فى تمثاله «نحو ماء النيل» لفلاحة تنزل بجرتها الى المـاء . وقد زارت زعيمة النهضة النسائية السيدة هدى هانم شعراوى عندئذ ذلك المعرض و رأت ذلك التمثال الفريد وأعجبت به لأنها هى أيضا فنانة مجيدة فى روحها النبيلة . وعرفت أن مختارا سيقيم معرضا عن قريب فى باريس، فاشــترت ذلك التمثال الصغير بمائتى جنيه . نعم (٢٠٠ !) ولو أن جاهلا سمع بذلك للطم على خدّيه . ولكن الفضل يعرفه ذووه . وهذه القطعة الآن تساوى أضعاف ثمنها . وما هو المـال التـافه الذى يبــذل على الدوام فى سخافات إذا قيس ببذله تمجيدا لفن مصرى يخلق من الحجر جسدا كأن فيه قلبا يخفق ودما يجرى ...

ولقد حدثنا «مختار» فى كتاب «باريس» عن حياته الفنية فى عاصمة النور، ولسنا ننسى الصفحة التى كتبها عن حياته فى نزل عائلى وعن النضال بين الروح والجمال، وهو بين فتاتين إحداهما جميلة جدا والأخرى ليست من الجمال على شىء، ولكنها كانت مع ذلك تنتصر فى كل مجال بما حباها الله به من ذكاء وخفة روح . وانقطاعه بعد ذلك لدرسهما كفنّان، وما وجده من أن

جمال النفس كثيرا ما ينتصر على جمال الجسم . واستنتاجه أن على الفنان عندما يريد تصوير إنسان : أن يتغلغل فى قرارة نفس الشخص الذى عليه تصويره أو تمثيله لأن الشبه وحده لا يكفى للدلالة بل هى الروح والخلق التى يجب نزعها واخراجها على وجه الشخص .

هـذا ما فعله مختار فى تماثيل « ثروت » و «على ابراهيم» و«سعد زغلول»وغيرها ، فلم يكن مختار حفارا ولكنه كان مبدعا يصوّر النفوس والأخلاق ، و يصوّر العزيمة والإرادة والذكاء .

وهـذه تحية عاجلة ، الى حين قريب فى دراسة طويلة ، نرسلها الى الراحل عنا فى عجل وقد نسى الدنيا بمـا فيها من «القاهرة» و «باريس» . ولشد ما قسم قلبه بينهما . ولكنه ما أحب باريس إلا ليعرف كيف يبوح بحبـه لمصر ، وكيف يمجد ذلك الحب .

*

غانـــدى

أمس، كان فى زاوية من الهند، على فراش غير وثير، يجلس أو يرقد هيكل عظمى نذر الصيام، فهو لا يحـرك الجيوش، ولا يحرض الجماهير على الثورة، ولا يخطب، حتى ولا يكاد يتكلم. بل يترجح فى أرجوحة كالطفل الرضـيع تحت ظلال شجرة المـانجو والمؤتمر منعقد فى ظل أرجوحته.

هذا الهيكل العَظمى، وهـذه الروح العُظمى، قد تغلبت أمس على مئات الملايين من الهنود، وبدلت تقاليدهم، ففتحوا هيا كلهم للمنبوذين منهم الذين كانوا يعدونهم منذ ألوف السنين والحيوانات العُجمى سواء.

فهو قد دفع نفسه ثمنا للوحدة. ولم تكن تضحيته هـذه إلا تاج حياة كلها تضحية، فهو من زمن مديد لم يعد من أهل هذه الدنيا إلا بالشبح وان كان لا يعيش فى الواقع إلا لتطهيرها والسمو بها عن أدران الأحقاد والمظالم والتعصب.

من كان يصدق أن رجلا يريد أن يجوع وأن يموت جوعا
يهز الامبراطورية البريطانية ويهزمها؟! لقد حقق غاندى هذه
المعجزة . لأن من وراء غاندى وقف العالم كله لا فرق بين
سكان أيسلانده وأهل صعيد مصر، ولا فرق بين مسيحى
واسرائيلى ومسلم وبوذى، وقف العالم كله صفا واحدا وراء
غاندى كما يقف المسلمون وراء إمامهم للصلاة .

وهكذا قاد غاندى كتائب النصر بلا سلاح . لأنه باحث
عن المثل الأعلى، عن الحقيقة، عن الله . إن حياته المادية
انخفضت قيمتها المادية عنده الى العدم لأن الله كان ملء
قلبه . وعلى ذلك سخر المادة الفانية للغاية الخالدة، لخدمة
الانسانية .

هذا هو المثل الذى يجب أن يكون كالفنار الذى يهدى
الحائرين فى الظلام . إن غاندى كان أمس بصيامه وجوعه
أسعد الناس، وهو اليوم بإفطاره على قطرات من شراب
البرتقال أقر الناس عينا . فلا المال ولا الشهرة ولا الزعامة هى
التى أسعدته هذه السعادة كلها المحروم منها ألوف الألوف من

الأغنياء فى طول الدنيا وعرضها، وإنما سعادته فى تضحيته .
وهو لا يبحث عن هذه التضحية عمـدا ليموت شهيدا ولكنها
إذ جاءت تقدم على هيكلها قربانا راضيا مرضيا .

فليعرف شبابنا إذًا أن الذين يصلون الى أعلى المراكز
من غير طريق الخدمة العامة ليسوا هم الذين يستحقون الحسد .
وليعرف شبابنا إذًا أن سـلام النفس وهناءة القلب ليسا
فى خدمة الذات بالانشقاق على المجموع، بل فى خدمة هـذا
المجموع بالانشقاق على الذات الأمارة بالسوء، والفوز عليهـا
بكبح جماح أنانيتها .

إن حياة غاندى، فى هـذا العصر المـادى ، دليل على ان
رحمة الله لم تخل بعد عن هذا العالم .

*

كريمة السعيد

اذا كانوا فى الحرب العظمى قد كرموا أبطال المحاربين فما أولانا نحن الأمة الآخذة فى النهوض أن نقيم تمثالا للوالدين اللذين أعطيا الوطن فتيات راقيات هنّ زينة الفتيات أدبا وخلقا وذكاء واجتهادا . فنحن نعرف فضل هؤلاء الآباء والأمهات لأننا أحوج ما نكون الآن الى الفتاة الفاضلة ، ولأن الكثيرين جدا من الآباء والأمهات مازالوا ينظرون بعين الشك والتردد الى تعليم البنت المصرية . بل إن بعض الذين يتصدون للكتابة فى الشئون العامة أفتوا لنا بحجب البنت بعد نيل البكالوريا !

فالدكتور أحمد بك السعيد هو والد الآنسة «عزيزة السعيد» خريجة معهد فرو بل بلندن وناظرة مدرسة محرم بك للأطفال، والآنسة «كريمة السعيد» (التى نكرمها اليوم) خريجة جامعة لندن فى التاريخ بدرجة الشرف، والآنسة «أمينة

السعيد» الطالبة بكلية الآداب بالجامعة المصرية والآنسة «عظيمة السعيد» الطالبة بكلية العلوم . ومصطفى السعيد الطالب بالكفاءة .

فهذه الأسرة الكريمة ، بارك الله فيها ، هى مثال جميل للأسرة المصرية . وهذان الوالدان الفاضلان قد أديا الى هذا الوطن خدمة جلى بما قدما اليه من أعضاء نافعة عاملة فى المجتمع المصرى .

وهذه الآنسة كريمة السعيد قد نالت من العام الأول لبعثتها فى لندن شهادة « المتريكوليشن » وهى العقبة الكأداء فى سبيل الدراسة ، وما أكثر الطلبة المصريين الذين يعجزون عن نيلها ! وما أكثر الذين يبقون للحصول عليها سنوات وسنوات ! وليس تكريم الآنسة كريمة السعيد حقا علينا لأنها نالت جازتها بدرجة الشرف ، بل لأنها كانت الأجنبية الوحيدة بين ١٥٠ طالبة انجليزية فى كلية وستفيلد ، وعاشت ليلها ونهارها بينهن فمثلت الخلق المصرى النبيل والذكاء المصرى الواعد تمثيلا جعل عميدة كليتها تشهد لها شهادة هى أبلغ من كل ما يمكن أن نكتبه ، إذ قالت عنها قبل أن نتقدم الى الامتحان النهائى وتنجح :

« ... إنها تتقدم الى درجة الشرف فى التاريخ التى ينتظر منها أن تنالها فتحقق بذلك الأمل الوطيد فيها لما أبدت طول دراستها ، فهى طالبة قديرة لا يعتريها الكلل والملل ذات ذكاء مرهف ، وفكر ثاقب ، واطلاع واسع مع استقلال الرأى ، ولقد انتفعت الانتفاع كله بتجارب الحياة المدرسية فى الكلية ، مدفعة بكل قواها فى نشاطها ، مساهمة بأكبر نصيب فى أعمال الكلية الفكرية والاجتماعية جميعا .

« ان الآنسة كريمة السعيد هى فتاة على أسمى المبادئ ، وذات نظر بعيد ، تعرف كيف تكرس نفسها بكل اخلاص وهمة ودقة فى القيام بأى عمل يعهد به اليها . وقد حباها الله بقوة الادراك ورقة الاحساس مع البشاشة وحضور الذهن ودماثة الخلق . وليس من شك فى أن صلتها بتلاميذها ستكون من أسعد وأجدى ما يعود عليهم فى تعليمهم العام أو توجيه دراستهم . وانى أعتقد أنها تكون من خيرة المعلمات ومن أحزم الاداريات . »

* * *

وهذه واحدة من الشهادات التى كتبتها عميدة الكلية وأساتذتها بعد أربع سنوات اختبار وعشرة . وهى أنموذج لما يمكن أن تؤديه الفتاة المصرية من الدعاية لبلادها فى الماضى ، وهى لمحة لما يمكن أن تؤديه من الخير لبلادها فى المستقبل .

*

الشيخ سلامة حجازى

جاءنى من دمنهور خطاب من الدكتور محمد فاضـل عن «اللجنة التحضيرية لتخليد ذكرى الشيخ سلامة حجازى» وهذا الخطاب يدل دلالة واضحة على أن الريف المصرى يقدر الفن الجميل أكثر من العاصمة مع أن العاصمة هى التى تمتعت فى الواقع بالشيخ سلامة أكثر من دمنهور، فقيام جماعة من خيار الناس لتخليـد ذكرى فقيـد الغناء المسرحى جدير بكل ثناء وتشجيع فأشكر الدكتور فاضل الذى أتاح لى هذه الفرصة .

سمعت الشيخ سلامة حجازى فى أواخر أيامه وكان يقاوم الشيخوخة وكان يقاوم المرض ولكنه كان لا يزال يغنى ويملأ رنين صـوته الشجى أجواز الفضاء بالأنين والحنين . كان فى صوته الغرام المنكسر الحزين، وكان فى صوته اللوعة على ليـالى الشباب التى مضت ولن تعود ، وكان فى صـوته التطلع للراحة الأبدية فى سكون الموت الذى يشبه سكون الحب .

كان الشيخ سلامة وهو يعرج على مسرح الكورسال رافع الرأس وفى عينيه دموع تلمع ولا تنسكب استكبارا . كان يمثل الفنان فى آخر حياته . الفنان المهضوم الحق دائما . الفنان الذى يألم ليسعد الناس، ويبكى ليضحك الناس . وقد يمثل للجماهير وهو جائع، أو وهو مريض، أو وهو عائد من المقبرة حيث دفن عزيزا عليه ...

لقد رأيت فى كل مكان ذهبت اليه فى أوربا تماثيل رائعة الحسن مرفوعة تكريما للذين أطربوا الجماهير وأحيوا سهراتها البريئة وملئوها بالهناءة . وكانت هذه التماثيل مقامة تخليدا لذكراهم . وقد اشترك فى إقامتها الشعب والحكومة . وكتب عليها «من الدولة التى تقدر الفن الجميل ومن الشعب الذى أحب المغنى أو الممثل» .

فارفعوا له تمثالا أو أقيموا باسمه معهدا أو افعلوا أى شىء يرفع عنكم عار نكران الجميل . إنه ظل أربعين عاما على خشبة المسرح يسعدكم بغنائه، ويشرف الفن بأنفته وكرمه وترفعه عن التبذل . وقد عاش للفن وحده، أى انه وهبكم حياته

كلهـا . وكان ينسيكم متاعب أيامكم وهمومكم بالصوت الذى كانه صادر من غير هذه الدنيا ... لأنه صوت عميق مؤثر حار مرطب بالعـبرات والقبلات ، فياض بالرحمة والمحبـة . لأنه صوت علوى ، لأنه صوت أبدى ، لأنه صوت الشيخ سلامه حجـازى .



*

*

نعيمـــه الأيوبى

الفتـاة التى تتم واجبها وتقضى من العـلم لبانتها ، مثـل الآنسة نعيمة الأيوبى ، هى الفتاة التى تعرف معنى الحرية . أما البنات اللواتى تتلخص عندهن الحرية فى الرقص (والشخلعة) فهن الجوارى ؛ لأن فتاة كالآنســة نعيمة الأيوبى قد تثقفت لتحتفظ بجوهر الفكر وتزيده صقلا ، وترفعت عن الفراغ والفوضى ، وملأت ذهنها بعلوم نالت إجازتها ، وملأت قلبها بأمنية حققتها ، وسهرت فى هذا السبيل الليالى الطوال ، وكدت على الأيام مدى الشهور والسنين ؛ وهى إذ تكافأ اليوم هذه المكافأة تشعر بالغبطة الحقة ، لأن عملها لم يعــد محصور الفائدة فيها بل شمل وطنها كله . فنحن الآن نفخر بنعيمة الأيوبى لأنها فتاة جادة غير هازلة ، فتاة صبرت وظفرت ، فتــاة تريد المساهمة فى الخير العــام ، فى النهضة العامــة ، ولكن متى كان لنا أن نفخر بفتاة تنال لا ليسانس الحقوق بل الجائزة الأولى فى مرقص عام ! ؟

فالحرية ليست الانطلاق دون قيد ولا شرط ، وليست إلقاء الحبل على الغارب ، وليست الهوى الطائش، وليست النزوات الطارئة ، وليست أن نخلع ما يلبسه الناس أو نلبس ما يخلعونه . إن هذا هو الشذوذ، هو ضرب من الضعف ، هو نوع من الفوضى .

فالحرية عزيزة المنال . إنها تطلبت من نعيمة الأيوبى الجلوس الى مكتبها سبع أو عشر أو اثنتى عشرة ساعة فى اليوم. كل يوم، فى الحر والبرد ، فى الصحة والمرض، لأنها مرضت فعلا وكان ذهنها فى أثناء مرضها قلقا على دروسها، وكان قلبها مشغولا بمستقبلها .

هذا هو الطريق الذى نحب من فتياتنا السير فيه . ولسنا نعنى به أن يلتحقن جميعا بكليات الحقوق والطب والآداب والعلوم وينلن إجازاتها، ولكن أن يدركن المعنى الحقيقى للحرية، وهو يبدأ بتكميل النفس وتنوير العقل والارتفاع بمستوى الذات قدر الطاقة . فالحرية عناء وجهد لا بد من دفع مهرها

الغالى . وللتى تدفع هـذا المهر أن تتمتع بعد ذلك بمزاياه، وهى عديدة، متنوعة، شائقة . خير للفتاة أن تعرف أولاً كيف تتحـدث . والحديث وحده عالم هائل ، دنيا أبوابها من العاج وشوارعها من البلور وحيطانها من الذهب والفضـة وأشجارها محملة بالزمرد والمـاس ، هى ألف ليلة وليلة . ولا بدّ للفتـاة التى تريد أن تفوز من أن تكون : « شهرزاد » .

فلا غنى للفتاة الجديدة من الاطلاع على الأدب العربى والغربى ، ودراسـة كل ما يجعـل البيت الصغير دنيا حافلة موفورة المسرات كدراسـة تدبير البيت والموسـيقى والتصوير وشغل الإبرة . فالتى تفعل ذلك تكون قد نالت أيضا شهادتها، وتكون قد تحررت من عبودية الجهـل والذل . فاذا جلست فى (صالون) لم تثرثر بالكلام الفارغ ولم تجلس (كالبجم) . واذا غاب الطبـاخ لم تغرق فى (صحن ملوخيـة) ولم تقطع أصابعها فى تقشير البصل . واذا عاد رجلها متعبا عرفت كيف تروح عنه بألحان (البيانو) ، من أناملها هى لا من (تجعيرة الراديو

واسطوانة بياع العرقسوس القائل : فرفشنى ودندشنى) . وفى كل جانب من بيتها شىء من صنع يدها ...

وهذه هى الحرية .



*



اسکندریات



*

الى المصيف

بدأت القاهرة توحش . وفى كل يوم تقل السيارات . وتختفى الأثواب الحريرية النسوية الجميلة . وتقفر الشوارع الوجيهة . وفى كل يوم تقفل نوافذ جيران حولنا، ويجىء الليل فتظل مظلمة حزينة شاعرة بخجل لهذا الهجر الذى لا تدرى له سببا ، صابرة صبر المحب الوفى الصادق الواثق من عودة الحبيب .

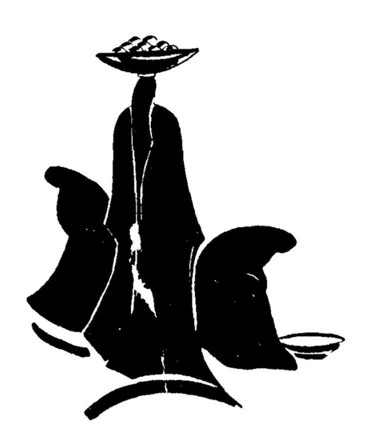
هنيئا للإسكندرية ورأس البر ، إنهما قد استردا اليوم عزهما بعد طول الاصطبار وبدأ النور يوصوص من خلال بوص العشش، وكأنه يشارك الهامسين فى همسهم . أى شىء يقال فى المصيف ؟ ! لو سألونى رأيى لقلت لهم انسوا جميع تكاليف الحياة، فليس السفر الى المصايف هو دائما لأن الحر شديد لا يطاق فى المدن ، فحرارة القاهرة ما تزال محتملة وهذا عزاء لنا نحن الذين ما زال وراءنا بعض العمل

أو فى جيوبنا قليل مال . السفر اليوم الى الشواطئ كأنه موعد خفى مضروب للانطلاق من قيود الزى الثقيلة . وكذلك يجب أن نتحرر فى الوقت نفسه من المعيشة على وتيرة واحدة . يجب أن ننسى فى المصيف جميع الهموم، والمشاكل، والقضايا ، والديون .

يجب أن نخلص تماما، وقبل كل حساب، من مشاغل القلب . يجب ألا نزيد فى الشجون على شاطئ البحر ولا نبدع ألوانا جديدة لآلامنا وهمومنا . يجب أن ندع مع حرارة المدن حرارة المشاكل . وإلا اذا كنا ننوى أن نحملها معنا فالأولى بنا البقاء فى بيوتنا ، فإن المصيف هو للتفريج عن النفس بقدر ما هو للتفريج عن الجسم . هو راحة للقلب قبل أن يكون راحة للجسد .

هو تجديد للقوى المعنوية بقدر ما هو تجديد للقوى البدنية . هو رياضة ، هو رياضتان . فلنقبل على المصيف بشعور الابتهاج والفرح كالعاقر التى ترزق طفلا ، ولنتمتع كل لحظة فى إجازتنا لأن الدهر بالمتاع ضنين . لنختلس إذا منه

أو يقات الهناءة هذه، ولنعدها نعمة من الله أن نذهب الى المصيف فى الوقت الذى يحرم الألوف حتى من الهواء النقى . ولننطلق من قيود الماضى لنعيش حياة مستقلة قائمة بذاتها لا شأن لها بالأيام التى قبلها والأيام التى بعدها، وليكن الانطلاق فى حكمة وحشمة ، فى حدود الفضيلة ، وهى سر سعادة الرجل والمرأة على السواء .



*

عروس البحر الأبيض

حظيت الاسكندرية بالعز والسلطان. وانكسفت أمامها شمس القاهرة، وإن ظلت كأنها شواظ من نار. فى كل خطوة تجد الباشوات والبكوات والهوانم ، سيما الهوانم . ولكن هل أصبحن هوانم؟! هل أصبحن يحببن، أو ينطبق عليهن، ذلك الوصف التركى الجميل بعد ما خلعن النقاب، نقاب الحريم، وخلعن ما هو أكثر من النقاب ؟! هوانم اليوم، غوانى اليوم، يرتعن بين سيدى بشر وستانلى باى . يرتعن مساء الأحد فى كازينو سان ستيفانو، ويصرعن فى كل خطوة قلوبا .

ستانلى باى فى يوم الاحد، يوم الحشر بغير حساب . أكوام من اللحم بغير عظام ، أكوام مكدسة لا تكاد تجد بينها ممرا .

ستانلى باى هذه السنة هو ستانلى باى العام الماضى، أمس أشد أناقة . كان للجريئات والغنيات ،

أما اليوم فقد استباح الجميع حماه، وانتهكوا حرمته، إن كانت له يوما من الأيام حرمة .

نظرت بذهول، بشيء من الإشفاق و بشيء من النفور . هالني هذا التزاحم العارى لأنه رمز آخر لغير التمتع بالصيف وشاطئ البحر من رمل وماء . إنه من جانب النساء للتمتع بالنظرات ومن جانب الرجال لاستجداء النظرات . إنه استعراض مخيف لشيء يحسن فى أحوال كثيرة ستره الى حد ما، بل الى حد بعيد . إنه مباراة فى الخروج والشذوذ . إن تلك الفتاة الجميلة التى كانت منبطحة على وجهها فى ذلك اليوم، فى ذلك الحشد، لم تكن جميلة . إنها كانت مبتذلة . إنها كانت متصنعة . إنها كانت كالشحاذة المادة يدها على قارعة الطريق .

مررت ، عائدا من سيدى بشر، فى الساعة الواحدة صباحا، فرأيت الظلام الدامس قد ساد ستانلى باى . ترى كيف رضى الظلام بعد النور ؟ ! كيف رضى السكون بعد الحركة؟ ! كيف رضى الذل بعد عز ؟ ! استكان حتى الصباح



التالى . إنه يتربص . إنه ينتظر فرائس جديدة . إنه يريد أن يتجدد . إنه يرضى بسدول الظلام ليحيك اثناءه شباكه اذ يشتد فى الصباح نوره .

ظلام دامس . لم يبق على كورنيش ستانلى باى إلا جندى خفر السواحل ، السودانى ، لا تميز من الظلام وجهه النحاسى الجميل . إنه يتعرّض لكل تهريب ، كتهريب المخدّرات ، ولكنه لا يتعرّض لتهريب الجمال ، ولا يتعرض لتهريب النفوس ، ولا يتعرض لتهريب العواطف ! ...

أيُّها أشد تحريما وخطرا ؟ ! المخدرات أو المخدر الأكبر الجمال ، الحب !

*

لمحات في الاسكندرية

الكابينات على الشاطئ متراصة بلا نظام ، ولا انسجام في اللون أو في الشكل . تزاحمت الناس على الشاطئ ، حتى أفقر الناس الذين لا يدخل بيوتهم اللحم إلا مرة في الأسبوع قد نصبوا هنا بيتهم الخشبي حتى ضاق بهم ثم ترامى الباقون حوله على الرمال . فالشاطئ هو أمتع نزهة للصيف بلا مقابل . أو بمقابل طفيف لا يذكر .

لا تكاد تميز ثياب العوم بين الناس ولكن للنعمة سمة على الوجوه لا تغيب ولا تخيب .

هؤلاء هن النساء يكدن يكن كأمهن حواء ، لوحتهن الشمس فصرن سمرة في حمرة . ومع ذلك رأيت ألوفا منهن هنا وفي أجمل شواطئ أوربا ، في دوفيل مثلا ، حيث كل ما حول المرء وجاهة وأناقة ، ولم أستطع أن أقف أمام جمال باهر . لأن أجمل امرأة عندي هي تلك التي لم تخلع ثيابها .

في البحر ، كان الفتى يحمـل الفتاة على كتفيه وقـد تدلى ساقاها على صدره وأختها أو صاحبتها متعلقة بظهره وهو يجرى بهذا الحمل الثقيل، الخفيف على قلبه .

لو رآه أهل الفضيلة فى الزمن المـاضى لأغمى عليهم ! .

يا للتهتك ! .

ولكن لعل هذا البغل الذى كالوعل لو سألته فى هذا الفجور لقال : لعب البحر .

وأمس أردت أن أتحـرر من البنسيون وطعامه فأكلت فى مطعم فاخر قدّموا إلىّ فيه أرزا مع نوع من الدود سمـوه : بلح البحر .

أيها البحر !... ما أكثر الجرائم التى ترتكب باسمك !



الصـباح على الكورنيش ، ثوب حريرى رمادى جميـل وقبعة بيضاء وقفاز أبيض يغطى ثلث الذراعين، وحزام أبيض وجورب أبيض، وقوام ممشوق، فهى زنبقة .

على هذه الوجاهة والملاحة تحمل فى يدها كيس مشتريات البيت ، لحم وسمك وخضروفاكهة . هذه هى امرأة البيت التى أنحنى لها .

ليست تختال بثوبها غرورا وفتنة أمام الرجال . زوجها فى عمله وهى تؤدى عملها . تتعاون فعلا مع الرجل الذى قدم اليها هذه الأناقة كلها ولا تترك الخدم يسرقونه بلا اكتراث ، مثلما تفعل ألوف السيدات اللواتى يعاشرن أزواجهن وهن يكرهن هؤلاء الأزواج . يتمنين خرابهم .



الظهر على الكورنيش أيضا ، الشمس قوية . أفنديان يسيران وخلفهما سيدة زوجة أحدهما وقريبة الثانى دون ريب . يتكلمان دونها . هما فى عالم آخر وهى وحدها تجر أذيال ملاءتها السوداء وتتقى لفح الشمس بجريدة . مجرد مشيهما أمامها دليل احتقارها ، وعند ما يصلون بعد نصف ساعة للغذاء سيأكلان طبعا وحدهما بينما هى تقف بين يديهما

كالجارية . ثم تأكل بقيـة طعامهما هى وأولادها وقطتهم .
هذه هى النظرة الشرقية للمرأة ماتزال تسود ألوف الألوف منا .

بهذه العزلة تزداد المرأة انحطاطا . لا تشـترك فى حديث الرجال فتبعد عن تيارات الحوادث والتجارب، كل مهمتها أن تحضر الطعام وترتب الفراش، وهى مهمة يمكن العبيد أن يؤدوها أحسن منها .



رأيت شابا يختال فى شوارع المدينـة وعلى صدره شارة إحدى الجامعات الانجليزية . عريضـة كالكف وموضعها على يسار السـترة . وقد دلتنى جميع التجارب على أن الشـبان الذين يضعون هـذه العلامة و يظهرون بهـا فى الطرقات من الذين لم يتموا دراسـتهم فى تلك الجامعات أو من الذين أتموها بالفشل .

إن العلم كما يقولون فى الصدور لا على الصـدو ر . وعند ما يتعلم الانسان حقا يخجل من وضع رقعة أجنبية على صدره ولو كانت رقعة كمبردج .

شبان آخر طبعـة ، بلا طرابيش ولا قبعات ، قمصان حريرية وكرافتـات غالية وشـعر لامع مسبسب . يجلسون فى القهاوى على كرسى وأرجلهم على كرسى أو كرسيين آخرين . يتمددون بشكل يخجل الانسان منـه فى بيتـه . وليس فى أيديهم كتاب أو جريدة . يتكلمون عن البوكر والبنـات والشامبيونات . ثقافتهم هى التجرّد من الثقافة . وحياتهم هى الفراغ والكسل والظهور والغرور . هذا هو التخنث الذى يجب أن نحاربه كما نحارب الأمراض الفتاكة . توجد أخلاق مصابة بالملاريا والبلهارسيا .

انظر الى هذا الذى يدعى أنه أتم تعليمه ! . تجده يتكأكأ مع خمسة ستة من أمثاله يركبون سـيارة أحدهم ، يروحون بها ويجيئون مرات . تجـد كتلة عاطلة خاملة هى معرة للبـلاد والعباد . صياد السمك الذى مر أمامى منـذ هنيهة يفوح منه الزفر . زفره أرقى من عطر هؤلاء الشبان ، لأن هذا الصياد قد حمل الندى على رأسه فى الساعة الثالثة صباحا وسهر ينشل رزقه ، وصبر ثم ظفر ، وعاد يحمل الى البيت طعامه ، تقتات من ورائه

نساء وأولاد . وهو عندى أشرف من أشباه الرجال هؤلاء جميعا ، الذين يأ كلون بالشوكة والسكين و لا يعرفون ثمن رطل اللحم أو أقة الخبز ، لأن كل حياتهم من جيب سواهم ، من أمهات وأخوات . والمصيبة أنهم يعتقدون فى أنفسهم بهـذا الصلف والفتنة أنهم خير ممثلى أمتهم ، وأنهم زين الشباب .

وقد غصت بهم الاسكندرية لأنهم هم أيضـا قد جاءوا «يستريحون من عناء الأعمال» ! ...



*

نظرات فى الاسكندرية

شارع اسكندر الأكبر. اسم عظيم يثير الطموح الى أشياء عظيمة فى أيام خاملة . القمر شاحب ذابل كوجه هذا العهد، عهد الأزمات الشداد ، يسطع على القبور فى طريق الرمل ، طريق الحبور . إنه يذكرنا فى طريق الكازينو والشاطئ أننا مهما عشنا وتمتعنا فمصيرنا قطعة من الأرض . حفرة عميقة مظلمة . ولن تكون حتى هنا فى الرمل ، على طريق اسكندر الأكبر ، وانما ستكون هناك فى وسط تلال من أتربة القاهرة وحجارتها السوداء المنحوسة، المنحوسة كالموت قبل الأوان .

ترى ما أثر هذه القبور فى نفس الذاهبين الى النزهة ؟ ! ولكن هل يلتفتون اليها أو يرونها؟ ! وإذا التفتوا ورأوها هل يفكرون فيها و يتعظون بها ؟ ! والله ما أظن !

* * *

فى الكازينو يوم الأحد الساعة العاشرة مساء . لعل

الأنيقات انصرفن كلهن، فإن جميع الفتيات الباقيات يظهرن من بعيد جميلات ، حتى إذا قاربتهن عرفت الى أى حد أتلفت المدنية محاسنهن القليلة . كنت ألمس فى بعض الوجوه البشاعة التى تركتها البودرة والأحمر والسهر والخمر و بقية الشهوات . أين هؤلاء من فتاة ريفية ساذجة رأيتها ذات مرة منذ خمسة عشر عاما فى شربين تملأ «البلاص» فى الساعة الخامسة صباحا من الترعة ؟ ! كان ثوبها الأسود الذى لا يساوى غير بضعة قروش يظهر وجهها الصبوح النضر كما تظهر ظلمة الليل نور البدر . رفعت بصرها فرأت شابا ليس من وسطها ينظر باسما مرتاحا فاضطربت وكادت تعثر ، ولكنها استجمعت إرادتها ونشطت بخفة الظبي الغرير ومضت وهى ترنو أو تكاد لأول وآخر مرة ... فودعت فيها فتنة المرأة وخفرها وحشمتها ودلالها ورشاقتها وطهرها ! ...



موسيقى الجازبند تعزف ألحانها المنوعة القوية التى تحفز على الرقص وتوجه نداء الى البدن والفؤاد لا يقاوم، فهى ترقص

الجماد ، ومع ذلك فالشبان زاهدون فى الرقص والفتيات لا يشبعن يوجهن نظرات التمنى عن اليمين والشمال و ينتظرن بخجل وخيبة أمل . نزل فى الحلبة نحو خمسين من الجنسين لا يكاد يطيب منهما للنظر غير زوجين اثنين ، ومع ذلك فقد اندفعا هما أيضا آخر الأمر اندفاع الحمق . فضاعت منهما موسيقى الحركات التى كان يتكلم بها جسماهما وعلا الرغاء والثرثرة ، أعنى حل الطيش فى رقصهما وضاع الانسجام .

وكانت فى أقصى الحديقة المظلمة نوعا ما فتاة فى سواد شامل تجلس الى فتى بجوار النافورة يتحدثان فى هدوء . و بدت لى عن بعد أكثر وسامة من الأخريات . ولكنها هى الأخرى لم تستطع على الرقص صبرا فجاءت تسعى و وراءها الفتى . لو كان لسخافة التقاطيع جائزة لنالها غير منازع . رقصت معه فبدت لى قبيحة . فندمت على استحسانى . وأسفت على خيالى أهكذا قدر على النساء الجميلات أن يكن من نصيب نفاية الرجال ! ؟

* * *

لعبة الروليت : عجلة الشيطان، رأيت أمامها رجلا واحدا يكسب . ولكن من يدرى كم خسر قبلما أراه؟! وكان زرى الهيئـة لا يزيد ثمن كرافتته عن ثلاثة قروش . وكانت الرجال تلعب والنساء تلعب . وهـذه امرأة حسناء شقراء لا تلعب كل مرة بأكثر من خمسة قروش وتلعب مرة وتسكت مرة. هذه رائحة الفقر، بقية باقية من نقود يائسة .

لم تحدّثنى نفسى بأن ألقى شيئا ، لا خمســة ولا عشرة . كنت أشعر بأنى إذا لعبت جازفت بكل مامعى. وكنت أشعر أنى إذا لعبت ألقيت النقود كما يفعل غيرى بلا اكتراث، ولكن إذا كسبت خجلت من جمع بضعة القروش، ولو كانت أضعاف ما رميت، من طرف ذلك «الكريك» الخشبى فى يد صاحب الروليت فما أقذر نقود القمار !

وكنت أشعر أنى إذا رأيت خمســة قروش فقط وخسرتها فانى سألعب حتى أخرج صفر اليدين . ولم يكن يكسب غير

واحد فى العشرة أو أقل ، ومع ذلك كان النـاس يلعبون بعناد وعصبية وكآبة كأنما قد حكم عليهم بلعب القمار والخسارة !

* * *

الظهـر . فى المقهى الوجيـه أمام محطـة الرمل . كانت السـيارات الفخمة تحمـل العقيلات الوجيهات . وكن ينحنين وينظرن الينا كما لو كن جميعا يعرفن الجالسـين، ولم تمر واحدة ترفعت عن النظر .

ترى . هل نشـقى نحن الرجال طول العمر وندأب ونكد ونسهر الليالى لنحضر هـذه السيارات الكبيرة لنسائنا ثم يركبن هذه السـيارات لينظـرن بكل هـذا الشغف الى رجال غيرنا جالسين على المقاهى ؟ !

*

ستانلى باى

الاسكندرية فى أوجها . وستانلى باى صباح الأحد هائج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر آلاف المتلهفين على رؤيته الذين تنقصهم الموارد . والناس يجذب بعضهم بعضا . وهذا رجل حائر يدور بآلة التصـوير فى يده . يلتقط عن يمينه وشمـاله . ويجتهد فى الحصول على الصـور الشاذة الخارجة . يريد الاحتفاظ بتذكار دائم لهذا العرى الفنان . فانهم ، انهن ، قـد تفنن فى التجرد عن الثياب . نهود بارزة صارخة تربطها فتلة رقيقة بالظهر العارى تماما . يردن التقاط الأشعة البنفسجية ، أو بالأحرى يردن إرسال الأشـعة البنفسجية . أليس البنفسج رمز الهوى ؟ !

وهذه عذراء صغيرة، يانعـة ، منضَّرة كزهرة الحقول . لم تمسسها بعد يد المدنية بالشر ولكنها توشك . إنها تقطر ماء وتقطر حسنا . لست أخاف عليها هـذا الفصل ولكننى أخاف عليها

الفصل القادم . فإنها فى الموسم المقبل سيفتر زهرها ويتفرّع عودها ، ويقل خجلها . سيكون ستانلى باى مألوفا لديها . بل سيكون حبيبا اليها . ستنتظره بقية عامها . وتفكر فيه حتى فى الشتاء . وتتلهف على الصيف . وتحب البحر . وتتمناه . وتدعو الله أن يقرب أيامه ، وأن يلهب العاصمة بشواظ من نار .

هنا تحتك مدنيتان . هنا يلتقى الشرق بالغرب . أى شرق وأى غرب! الشرق الذى ما زال يتثاءب . الشرق النئووم . الشرق الخمول . الشرق الذى هو بحاجة الى أن تتنبه فيه عناصر الحياة ، عناصر الجد قبل عناصر اللهو . عناصر القوة قبل عناصر الضعف . عناصر التماسك قبل عناصر الانحلال .

ماذا نرى فى ستانلى باى ؟ ! هل هو وسط شرقى ؟ هل هو وسط غربى . لا هذا ولا ذاك . إنه خليط . إنه خليط شنيع ، مدهش ، متضارب ، كما لو كان قد امتزج هنا عدوّان لدودان ، وكل عدو منهما مع ذلك عدو لنفسه ، كالشيطان . فيالها من بيئة لا تعرف لها عقيدة ، ولا مذهب ، ولا مبدأ ،

ولا دين . هنا صراع الطيش والتردد والاستهتار والحياء والصراحة والتذبذب، والبكورة والفجور . يا للهول ! إننى لا أخشاه اليوم، ولكن غدا . إنه الآن يحضِّر الخطر . إنه يعد معداته . بل إنه بذر البذور ونبت النبت وغدًا يشب عن الطوق لا تستطيع الأيدى الناعمة أن تنزعه لأنه شوك القتاد

قالت لى آنسة مصرية نبيلة وهى تعتب على حملتى الأخيرة : « أرنى مصرية واحدة متهتكة أو فى شكل مبتذل فى ستانلى باى ... »

وقد استطيع أن أدلها ولكن جزعى ليس من أجل واحدة أو اثنتين أو عشر فتيات . فان الحرية لها ثمنها . ولكن جزعى هو من أجل المستقبل . فإننى أخشى عشر السنين القادمة . أخشى التحضير للحرية عن طريق الاستهتار . لذلك كنا نهلل فى كل مرة نسمع فيها بفتاة مصرية تنبغ مثل زينب كامل أو نعيمة الأيوبى أو كريمة السعيد أو سهير القلماوى أو إيفا حبيب المصرى نهلل ونكبر ويقول ضعاف الأحلام والعقول هذا إسراف فى تمجيد المرأة والانتصار لها . وها هو الرد عليهم فى ستانلى باى . فاننا يجب

أن ننفخ فى صُــور الفضائل ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال يدرسن ويبذلن شبابهن فى خدمة المجتمع فهؤلاء هن اللواتى يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة ، الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البيجامات من شاطئ ستانلى باى .



*

ستانلى باى!

ستانلى باى أيضـا . هذه أجنبية نحيفة، رشيقة، شقراء جدا ، فضة وذهب . ظهرها عار تماما والبـاقى فى البيچاما . رأيتها حائرة . إنهـا مع رجال، مع كثير من الرجال، مع رجال يتغيرون فى ستانلى وفى الـكازينو ، ومع ذلك كأنهـا منفردة . إنها امرأة لا قلب لها . لو كانت واجمة، أو حزينة، أو ضاحكة لـكان لها قلب . فى عينيها الخضراوين الزجاجيتين ترى الفراغ . شقراء بغير أنوثة . أين هـذه من المصرية ، تلك التى كانت كغصن الزنبق، تلك التى لم تكن عارية ولا متجردة ولا فى بيچاما ولا فى ثوب البحر، تلك التى كانت فى ثوب أبيض ، وقفاز أبيض، وقبعة عريضة بيضاء، تسير مثل «فرنشسكا برتينى» فى «ذات الكاميليا» ... تلك التى كان فى صميمها الحياء الشرقى تنضح على وجهها العذرى النبيل .

ومع ذلك فإن الشبان تفتنهم تلك الأجنبية ، ذات الشعر

الأشقر، ذات الظهر العارى، ذات الخصر الذى ينتقل فى كل رقصة الى ذراع رجل جديد، ذات القلب الخلى، ذات الجسد بغير قلب .

ولكن هل يعرف الشباب أنهم فى السن التى تلمع فيها العيون ولا ترى شيئا ، أنهم فى السن التى تتحكم فيهم عواطفهم لا عقولهم وقلوبهم ؟! وقد يزعمون أنهم يعرفون فى الجمال . وهذا نادر . إن الجمال فى الحشمة قبلما يكون فى التبذل . إنه فى التستر قبلما يكون فى التهتك . إنه فى السر المكنون قبلما يكون كاللحم المعروض عند الجزار .

قال لى صديقى الأستاذ اسكندر مظهر : انظر خطر ستانلى باى على رجل متزوج . إنه يشوش ذهنه . إنه يجعله يزهد فى بيته . إن امرأته يستحيل أن تكون على غرار هؤلاء الفتيات . فيا للخطر الذى تتعرض له بيوت شريفة، هادئة، مطمئنة !

وهذه ملاحظة صادقة . وهى عندى ليست خطرا فقط على المتزوجين ولكن على العزاب أيضا . إن الذى يتزوج من

ستانلى باى سيتزوج الطيش والتبرج . إنه سيتزوج لشهوات طارئة لا تلبث أن تزول وتعقبها يقظة موجعة . إن فى كل مصرى الكائن الرجعى الخفى الغيور . الغيرة فى فطرتنا ، وقد احتفظنا بها ولازمتنا الدهور الطوال ، فالذى سيفتنه ذلك البريق ويخطفه ويرتفع به عن أرضنا لا يلبث أن يلقيه ثانية من حالق .

ليس الزواج الكريم ، الشريف ، الرزين ، الأمين ، الذى تطمئن اليه القلوب ، من شاطئ ستانلى باى . إنه فى مكان آخر بعيد جدا . إنه مكافأة للواتى لم يبذلن أجسادهن تنتهبها الأنظار حبا فى الأنظار . إنه ينتظر اللواتى انتظرن الخير خالصا غير ممزوج بالشر .

*

جددوا حياة البيت !

فى الاسكندرية . «مساء السبت» . مرقص فى وندسور . مرقص فى سسيل . مرقص فى التريانون . مرقص فى اثنيوس . فى كل مكان مرقص . ومع ذلك ما أقل الإقبال على الرقص . رأيت فى اثنيوس بصحبة الصديقين الشاعرين الأديبين خليل وصديق شيبوب، مائة يجلسون وخمسة أزواج يرقصون بل أربعة بل ثلاثة ، ويرقصون فى شبه خجل . وآثر الناس أن ينظروا الى بعضهم بعضا . وكان الجو كله مشبعا بشىء لا أدرى كيف أسميه هل هو زهد أو هو انكسار خاطر أو هو تعب أعصاب أو هو ملل وسآمة .

فى العشاء . فى مطعم ج ... أوثره لأنه مشهور بأصناف السمك . فاذا ذهبت الى الاسكندرية أكلت كل يوم سمكا غداء وعشاء . وكانت الموائد فى تلك الليلة قد غصت بالأُسر الافرنجية تتلذذ بأكلة ليلة الأحد . وكانت هناك أسرة كبيرة

من اثني عشر شخصا تأكل فى فرح ومرح . فمن عادة الكثيرين من الأجانب أن يخرجوا ليلة فى الأسبوع للعشاء فى مطعم .
وهو ما أريد أن أشير به على الشاب المصرى الجديد الذى يتزوّج . فلماذا لا يدعو امرأته يوما فى الأسبوع للعشاء خارج البيت؟ اذا كانت عنده سيارة، أو لم يكن، فلماذا لا يستقل القطار مرة فى الأسبوع أو فى الشهر الى الفيوم مثلا فيتغدى هناك على شاطىء بركة قارون ويقضى سحابة يومه ؟ ! بل ولماذا لا يقضى ليله أيضا فى فندق صغير من تلك الفنادق التى تحتها مطعم ومقهى وليس فيها بعد كهرباء ؟

والزوجة لماذا لاتدخر من مصروف البيت ، اذا لم تكن غنية ، وتدعو زوجها ، هى بدورها ، ترد له الدعوة ، الى الشاى أو العشاء فى مكان ما ، من حين الى حين ، خارج البيت ؟ إن هذه الدعوات المفاجئة تجدد الهناءة . فالهناءة لا تأتينا تسعى على قدميها طائعة مختارة بل هى كالمال يجب أن نجد فى تحصيله .

تصوروا سيدة تقول لزوجها : « انا عازماك الليلة ياحبيبى » . بماذا يشعر ؟ أليس بسرور المفاجأة أولا ، وبأنه

سيغير منظر خادمه المنحوس ثانيا ، و بأن زوجتــه هى صاحبة الدعوة ثالثـا ؟ أليس فى هــذا ما يشعره بأن زوجتــه ليست زوجته فقط ولكنها أيضا صديقته ؟ !

وهو يذهب معها . لا يسألها الى أين ليرى تفننها . وهى قد تحتار مرة وتهتدى مرة . وهى قد توفق مرة وتخفق مرة . ولكنها لا تلبث أن تبرع ولا « يخرم » معها الحساب والنفقة وستجد لذلك لذة أى لذة . ولتكن دعوتها أحيانا بعض السندويتش يأكلانه على صخرة من صخور الأهرام ، فى ضوء القمر ، على أنغام حب يغنيها الزمن فى تلك البقعة الخالدة قائلا : « إن الحياة دقائق وثوان » ولتكن دعوته إياها مرة فى أحد الفنادق الكبرى على أبهة الأنوار ، وسحر الموسيقى ، ولذة الطعام وتنوّعه وحسن تقديمه .

أعتقد أن كل بيت فى حاجة الى التجديد ، و إلا نسج عليه العنكبوت خيوطه . أعتقــد أن كل حب بحاجة الى العنـاية والخــدمة باستمرار . واذا ضحك السخفاء والسفهاء من هــذه المقترحات فذلك لحسن حظنا . و إلا وجدناهم أمامنا فى تلك الدعوات الخاصة ، يسدون علينا منافذ الطريق .

*

سيدى بشر

غروب الشمس فى سيدى بشر ، سلام فى الطبيعة تستمد منه الأرواح سلاما . جلسنا الى البحر . ما أجمل البحر فى سيدى بشر ! انه بحر عظيم نبيل ، لا يشاهد الفضائح التى تجرى فى الجانب الآخر . ولعل هذه بركة سيدى بشر على شاطئه ! أليست البركة تجوز فى مثل هذا أيضا ؟

كانت الشمس لهيبا وذهبا . كانت كالفؤاد المعذب . لا يغنى اللهب عن الذهب ولا يغنى الذهب عن اللهب ، كانت الشمس شاعرة غنية . تنثر النضار على صفحة السماء الصافية بسخاء تارة ، وتمزق أديمها بأسواط من نار تارة أخرى .

وما قيمة الغنى إذا لم يبذل فيشعر الغنى بأنه غنى ، بأنه سيد ، بأنه أمير ، لا بأنه عبد ذليل للمال ؟

الوف الأغنياء يمرون ولا يقفون بسيدى بشر . إن جمال الطبيعة هو سر لا يبدو الا للموعودين . إنه للفقراء وللشعراء

والفنانين قبلما يكون للموسرين . إن الأثرياء قد امتلأت رءوسهم بمشاغلهم ومشا كلهم فلم يعد جمال الطبيعة يجتذبهم . وهذا توازن القدر . اذ يجب أن يكون للشعراء والفقراء شيء لا يشاركهم فيه سواهم . شيء لكل الناس ولكنه وقف عليهم ، شيء مضنون به على غير أهله .

شبعت العين سريعا من رؤية الأجساد العارية . وزهدت النفس . فى كل عشرين جسما تجد جسما واحدا يستوقف النظر . ولكن لعل الوجه فى تلك الحالة يصرف النظر ! هل توجد امرأة جميلة حقا ؟! هذا سؤال يصعب الجواب عليه . لأنه عند ما توجد تلك المرأة ، عند ما تثبت انها جميلة الجسد فعلا فإن روحها قد تكون تافهة أو شريرة وهذا توازن القدر .

حقا إن مالا سر له يخفيه فلا جمال له يبديه . لو أدركت النساء ذلك لاقتصدن فى العرى وفى التجرد عن الثياب . لو أدركت الفتاة ذلك لضنت بكل هذه التقاطيع تبرزها ، وكل هذه النظرات تبذلها .

غروب الشمس فى سيدى بشر ! لم تمر عنده ثلاث فتيات ، ولم تقف به ثلاث سيارات . ان الناس هائم بعضهم بالبعض . انهم يجدون الأثر باحثين بعضهم وراء البعض . انهم جاءوا يبحثون عن شئ آخر غير الرمل والماء والشمس والهواء .

انهم يبحثون عن قيود لأيامهم ولياليهم . انهم يمدون أيديهم للسلاسل والأغلال بدلا من أن يفتحوا صدورهم للهواء وعيونهم للسماء .

حسنا أن نعود من شاطىء البحر وأجسادنا سمراء نحاسية ، ولكن ليس لنا أن نقصد البحر بنفوس كنفوس الجوارى والعبيد ، تقول : هل من مشتر ؟ !

*

غاية الصيف

« ستانلى باى » موحش، والكابينات مقفلة صماء كأنها أكتفت بما مر بها من الهناء : العرس قد انفض ، و بدأ الفراشون يرفعون الكراسى .

هـذه الكابينات الأنيقـة كأنها حلقة الاولمبياد ، والبحر ملعبها . وهذه هى عرائس البحر، وجنيات البحر. حبذا جميع بنات المدارس يخصص لهن شاطىء من تلك الشـواطىء التى تعدها البلدية ويأتين لقضاء أيام فىاللعب والمرح . نحن بحاجة شديدة الى الفتاة الرياضية ذات الجسم المـرن القوى النشيط السليم الذى ليس فيه ترهل . وتلك الأيام التى اقترحها هى أفيد ألف مرة من تلك الحـركات الجمبازية العتيقة الضـئيلة التى لا تغنى شيئا . و يكفينا شـقاء تلك الفتاة التى ظلت مكتومة الأنفاس دهرًا فاكفهر وجهها واغبر لونها وورّثت بعد ذلك أولادها الصفرة والسقم .

رأيت البيجاما على شاطىء البحـــر . ليست البيچاما شيئا إلا بمن تلبسها . كانت هناك سيدة بشعر أحمر وبيچاما بيضاء يتمنى الإنسان لو وضع نظارة سوداء حتى لا يراها .

ومرت على رصيف الكورنيش ســيدة أجنبية فى بيجاما سماوية تجـــر بيديها كلا سلوقيا جميـــلا ، فكأنها « ديانا » آلهة الصيد والرشاقة عند القدماء ، أو كأنها « كريزيس » فى قصة أفروديت تمر بقناعها الذهبي على رصــفة الاسكندرية وترسل السحر عن الشمال واليمين .

وجاءت أسرة مصرية فضربت شمسيتها الكبيرة على الشاطىء كما يضرب البــدوى خيمته فى الصحراء ، واســتقبلت البحر ونسماته ، واستقبلت الصحة والأمل ، وكانت الأسرة المصرية أمس تدفن أيامها ولياليها بين الجدران ، وتوصوص بعيونها من الشبابيك وثقوب الأبواب ، وإذا رأت رجلًا قالت «يوه !» ولهذه «اليوه» ما وراءها . أما الآن فقد أسفرت المرأة المصرية حتى إذا عفت فعفافها ليس عفاف الحجاب ، وفضيلتها ليست فضيلة السجون .

لذعات

*

الإنسان والحيوان

فى دفتر التليفون، نمرة « طبيب بشرى و بيطرى » ! ! !

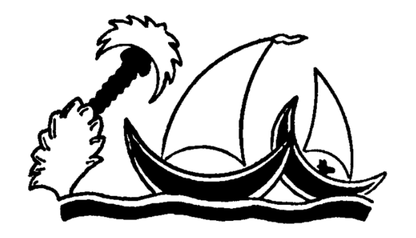
وهذا عنوان مناسب جدا . لأن الرجل يستطيع أن يذهب للكشف على نفسه، ويكشف على حماره، بالمرة! . وتذهب السيدة الأنيقة لتكشف على شىء ما يؤلمها ، وتأخذ معها كلبها للكشف عليه، بالمرة ! . .

ولكن المهم هو منظر اجتماع الحيوان والانسان فى صعيد واحد ! . . فإذا سكتنا للزبون حتى دخل بحماره فهل يذهبان الى غرفة انتظار واحدة أو ينفصلان ؟! وإذا نهق الحمار حزنا على فراق صاحبه ونبح الكلب انزعاجا لفراق سيدته وثار الثور مثلا لأن فرش قاعة الانتظار أحمر . . فماذا تسمى عيادة الطبيب البشرى البيطرى هذه ؟!

فى الحق إنها تسلية ! . . وكان يمكن قطع تذاكر للفرجة على قاعات الانتظار هذه مثل «سرك هاجبك» ! . . ولا بد من إناطة

خدم بإطعام الحيوانات . . حتى إذا « هوهو » فوكس أسرع اليه بقطعة سكر . و إذا صهل الحصان أسرع اليه بمخلاة الفول . و إذا نهق الحمار بادر اليه بالعليق والبرسيم .

ومثل هذه العيادات شيء لم يسبق له مثيل . وأنا أحب هـذه المتناقضات تجتمع هكذا لأنها تسلى القلب الحزين . وحبذا لو كثرت هذه العيادات لأنها تذكر الناس بما هم مدينون به لحيواناتهم ، وأنهم اذا كانوا أعقـل منها ، فليسوا أفضل ، بدليـل أن هناك رجلا رحيما قد جمع الكل فى عيادة واحدة ، لها طبيب واحد ، وتليفون واحد .



*

البحث عن عروس !

" ان كنت قد نسيت حاجتى فانك معـذور لكثرة شواغلك ، وما عليك إلا أن تكتب للناس أن شابا مصريا بلغ أقصى درجات التعليم الدراسـية بمصر وانجلترا يطلب عروسا عوراء أو عمياء أو عرجاء أو كسحاء أو سمراء أو سوداء ، ويشترط على نفسه أن يدللها كما تهوى بشرط أن تكون مسـتعدّة للمغامرة وإياه فى سبيل الحياة " .

"أريد عروسا تكتب وتؤلف معى القصص والروايات باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وأن تكون على قدم الاستعداد للأسفار البعيدة والى مجاهل البلدان لا يؤنسها الا محبتى الأكيدة واخلاصى الشديد " .

" أريد عروسا لاتعترف بمسألة اسمها المهر ، ولاتعرف للمال قيمة الا فى سعادتها وهنائها وشهرتها ولا تعرف للذين يسعون وراء الشهرة وطنا ولا بلدا" .

" أريد عروسا تخرج معى الى المجتمعات سافرة قادرة على ضبط نفسها وسط الحفلات العامة من علميـة وخطابية ورياضية ، تنظر الى الناس من عل لا يبهرها جمال أو كمال أو دلال " .

" أريد عروسا لا تأكل بأصـبعها ولا تمضغ الطعام لواكا فى شـدقيها ولا تتأفف فى شرب المـاء كمصمصة الثعابين ولا تشخر فى نومها شخير الذبيحة" .

"وأريد أن أقول لتلك العروس انى فى ريعان الشباب جميل الطلعة حلو الحديث كثير النكات لا أسعى إلا للشهرة، و انى أرغب فى زوجة تساعدنى وتأخذ بيدى فى ذلك السبيل" . «ع . ف»

إننا نسجل باغتباط هذا الطلب الجديد للزواج فى مصر، فهو وثيقة تدعو الى الابتسام فى هذه الأيام الحزينة . ولكننى أرجو «ع» أن يعدّل الأساس، فانى أعتقد أن الفتاة المصرية التى ينشدها لا تعرف مصمصة الثعابين وانما هديل الحمام، ولا تشخر فى نومها وانما تحلم به !

ثم اذا كان يطلب حقا عروسا عوراء أو عمشاء أو كسحاء، فانى أعتذر اليه لأن ليس لدينا طلبه، فليست توجد واحدة بهذا الوصف بين قارئات «الاهرام» الكريمات .

واذا كان يصر على سيدة بهذا الوصف، مع معرفتها اللغتين الفرنسية والانجليزية، فنستطيع أن نرجو سعادة الدكتور شاهين باشا أن يرسل منشورا الى المستشفيات المختلفة بأنحاء القطر للبحث عن العروس، وبعد ذلك ندخلها مدرسة (برليتس) .

ومع هذه الدعابة فانى اسمع هذا النداء وأشعر بمقدار مافيه من مرارة وألم، فأرجئ التعليق الجدى الى غد .

*

طالب زواج !

« ع » شاب ظريف حقا . فقد نشرنا رسالته أمس التى يطلب فيها عروسا مهما كان شكلها على شريطة أن تكون فتاة عصرية تعرف الانجليزية أو الفرنسية لتؤلف بهما القصص والروايات، وتغامر معه فى السفر الى أقطار بعيدة، ولا تطلب مهرا ...

ونحن نشكر له حسن ظنه إذ يزعمنا قادرين على ذلك . واذا نحن حللنا هذه الرسالة استبعدنا عناصر تأليف الروايات والسفر الى مجاهل الأرض . فليس الكاتب فى حاجة الى أن يتزوج بكاتبة ، والفيلسوف لا تلزمه فيلسوفة شريكة لحياته . واذا كان حضرته يرغب فى الشهرة حقا فانه بالتماسها عن طريق الزواج بفتاة تشاركه فى التأليف يأخذ أبعد طريق الى الشهرة . وما شهرة الكاتب إلا نتيجة السهر الطويل والصبر الجميل وحسن الاستعداد وتذوق الحياة . وكذلك شرط السفر الذى

مازال فى عالم الغيب ؛ فهو يعدّ عندنا منفرا لا مبشرا؛ والمرأة التى تحب زوجها حقا لا تتردّد فى أن تتبعـه ولو الى جهنم . أما اشتراط السفر (قبل الهنا بسنة) فهو سابق لأوانه .

إذاً نخرج من تصفية الرسالة الى أنك تريد ، باختصار ، فتاة مصرية عصرية راقية بلا مهر . واذا كنت حائرا كما تقول كل تلك المحاسن وخفة الروح وشهادة عالية من انجلترا فعليك أن تبحث . وقد سهّل مهمتك ما نشرناه لك . والطريقة الوحيدة المتبعـة أصفها لك ، لأنك على ما يظهر عائد من انجلترا حديثا ومتشبع بأفكار متطرّفة ، واليك هى :

أن يبحث الخاطب عن خاطبة محترفة (بلانة أو دلالة أو عالمة أو نحيا أو دادة) أو ما شابه ذلك ، و يطبع مائة (كارت فيزيت باكاشيهات) باسمـه وعنوانه وأصله وفصله وشهاداته ووظيفته ، مع توضيح اذا كان داخل هيئة العمال أو خارجها ، وماهيته و إيراده و إيراد والده وأجداده وأعمامه ومن ينتظر أن يرثهم . ويكتب على ظهر (الكارت) أنه لا يسـكر ولا يقامر ولا يعشـق . و يعطى تلك (الحرمة) أوّل مرة ٥٠ قرشا حتى

تدهب من فورها الى احسن من عندها ، لان هؤلاء الخاطبات متعوّدات على (الشلن ونصف الريال) . ويحسن صنعا اذا زوّدها بصورة (فوتوغرافية) اذا كان واثقا من أنه أبيض اللون (وطول وعرض) ثم ينتظرها بعد ثلاثة ايام اذ تجيء تصف له أجمل خلق الله (ولا جميل إلا سيدنا محمد . قوامها واعتدالها وفرنساوى وبيانو وعود وحسمة لاتخرج ولاتدخل أبوها غنى وأمها غنية وعمها ليس له ذرّية وعزبة فى البحيرة وعزبة فى الشرقية وسراى وأوتومبيل و ٧ خدّامين) .

فاذا سمع هذا الوصف المدهش فأرجوه أن يحلله أيضا تحليلا تستبعد منه عناصر (التهويش) فلعل الفتاة حسب طلبه هو : (عوراء أو عمياء أو عرجاء أو كسحاء . أو ...) وربما كان الفرنسى : (بنجور وأوريڤوار ومرسى وبنسوار) . وربما كان (البيانو شوية : «محمد لابس سيفه» على «يا لابس على السترة نجمة ») وربما كانت الضيعات الشاسعة عبارة عن ٧٠ فدانا، مع وجود ٩ أولاد، أو أطيانا تزرع جزرا أو ملانة . وربما كانت القصور المنيفة بيوتا متهدمة تحتها دكاكين ...

أما الشيء الوحيد الثابت الذى يجب أن تصدقه من الخاطبة وانت مغمض العينين وتقبله قضية مسلمة، وعلى عهدتى، فهو المهر ! ٣٠٠ جنيه يا حبيبي منها ٢٠٠ يسدد بها الأب بعض ديونه و يؤجل الزفاف شهورا وأعواما والمائة الثالثة يشترى بها فرش (٥ أود أو كازيون) .

ومبروك عليك !



*

طالب زواج آخر

« لى الشرف أن أحيط حضرتكم علما بأنى بكل سرور تلقيت عدد جريدتكم (...) وقد لفت نظرى العامود المبين به إعلان صحيفة رقم — ١٠ — بخصوص السيدة (...) والتى به تفيد أنها ترغب الزواج بالشاب الذى يجيد اللغتين الانكليزية والعربية . إنى أقدم نفسى لحضرتكم بما أنى شاب نابلسى الأصل من سلالة عربية محضة مخرج من الصف الثانى العلمى من الجامعة الأميركية فى بيروت ، حائز على شهادتين من الابتدائى وشهادة من القسم العلمى أى البكالوريا أجيد اللغتين جيدا . صاحب أملاك تقدر بخمسة آلاف جنيه . أرجو التوسط مع السيدة المار ذكرها لأجل زواجها كما هى تزعم على الشروط الآتية :

(أولا) أن تكون بكرا لأنى أعزب لا أعرف النساء .

(ثانيا) لا فرق فى الأعمار إن كانت أكبر منى أو أصغر .

(ثالثا) لا يهمنى إن كانت لها والدة تحب مرافقتها .

(رابعا) لا يهمنى إن كانت تعرف بشئون تدبير المنزل أم لا لسبب وجود الخدم .

(خامسا) لا فرق أن يكون جمالها عاليا أو متوسطا .

(سادسا) أهم شىء لدى هو كيان العفة والشرف والاخلاص .

فاذا كانت يا حضرة الأستاذ حائزة على هـذه الشروط بتمامها فانى مستعد لتبادل الرسوم بيننا . ولكم اليد البيضاء فى اتمام هـذا الوفق ما بيننا . ولا زلتم مصدر الانسانية والوفاء .

(صح) أرجوك أن تعلمنى جيدا حقيقة الست المذكورة إذا كانت ثروتها ثلاثين ألف جنيه كما هو موضح فى جريدتكم الغراء ولكم الشكر .

« نابلس » . « ... ... »

* * *

والله يا أخى لا أدرى كيف سوّلت لك نفسك أن تكتب الينا هـذا الخطاب ! فما نشرت "الأهرام" يوما ما اعلان زواج . ولم تطلب الينا سـيدة مصرية شابا يعرف الانكليزية والعربية مع أن ثروتها ٣٠٫٠٠٠ جنيه ، لأن ذلك يكون طلبا رخيصا وهى غالية !

وبالطبع إن ثلاثين ألف جنيه تملكها سـيدة سيأتى اليها (العرسان) لا من نابلس فحسب، بل من الهنـد والسند أيضا .

وإنى أؤكد لك أن شباننا المصريين فى منتهى اليقظـة والتنبه الى مثل هذا، فلو أنهم استنشقوا رائحة ثلاثة آلاف فقط، لا ثلاثين ألفا، لوجدت على بابها (بضرب السيف)

ولانصرف النـاس عن تجارتهم وصـناعتهم الى اتقان اللغتين الانكليزية والعـربية، مادام ذلك يعود عليهم بعروس تحمـل فى(ألحفة) السعادة و (بطاطين) الهناءة ثلاثين ألف أهيف، تكال بالكيل، لأن مصلحة الاحصاء بجلالة قدرها «تتلخبط» فى عدها .

اطمئن ياسيدى الى ان هذا حديث خرافة، وأن صاحبالك قـد داعبك باسم «الأهرام» . واذا كنت تملك كما زعمت خمسة آلاف جنيه فاننا نرسل اليك من هنا طلبات من خمسة آلاف عروس، فان الزمن قد تغير وتبـدّل، وأصبح النـاس مسعورين على المـال لا يفكرون فى الحب وسلام البيت وراحة القلب ، والمـال الذى يسـتخدمونه لسعادتهم هو الذى يذلهم ويشقيهم ويحيرهم ويجعلهم يزهدون فى بنات بلدهم، ويريدون أن يسافروا فى سبيل ذلك من مصر الى نابلس أو بالعكس ! ...

*

طالب زواج أيضا ! ...

يقول مراسل « الاهرام » فى طنطا أمس أن المدعو حمدى محمد عوض، من أهالى كفر الخادم، قد تناول حامض الكربوليك بقصد الانتحار لأن شقيقه تزوج قبله ، بينما كان الاتفاق بينه و بين والدته يقضى بزواج الشقيقين فى وقت واحد، وقد نقله رجال الإسعاف الى المستشفى الأميرى .

حقا أنه يصعب على أى أحد فى الدنيا أن يشهد للزواج بأحسن مما شهد له به هذا المنتحر ، الذى جاد بروحه حزنا لأنه لم يتزوج . فهو إذن من أعداء (جحا) الذى لعن من تزوج قبله لأنه لم يحذره ، ولعن من تزوج بعده لأنه لم يأت لاستشارته .

وما سمعنا حتى الآن بأحد ينتحر إلا من ضيق ذات اليد أو السقوط فى الامتحان أو المرض أو من الحب، ولكننا لم نسمع عن إنسان ينتحر لأنه لم يتزوج . فلابد أن أهالى كفر

الخـادم هم أسعد الناس بالزواج حتى يحسدهم الى هذا الحد «حمدى محمد عوض» ويؤثر الموت على العزوبة .

واذا كان الافرنج يتشاءمون من زواج الأخوين أو الأختين فى يوم واحد فالظاهر أنهم فى ضواحى طنطا يتشاءمون اذا لم يتزوجوا جماعة .

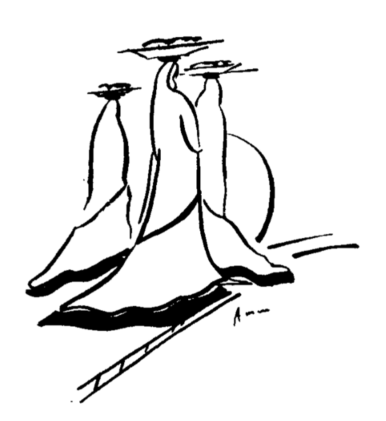
ولا أدرى علام يحسـد « حمـدى محمد عوض » شقيقه الذى تزوج قبـله ! ونحن فى رمضان، وكان يمكنه أن يصـبر قليلا ولو الى العيد الصغير، وعندئذ يعوض ما فاته، بل ربمـا سبق أخاه وآتاه الله ذرية قبله .

لم تكن السماء ستنقلب على الأرض (ياسى حمـدى) ولم يتزوج جميـع بنات كفر الخـادم . واذا كانت الدول تخلف اتفاقاتها وتلغى معاهداتها فان (السـت أم عوض) لم ترتكب وزرا وأمرا إدا، ولعلها فقط تريد (أن تبلع ريقها) من المهر الذى دفعته، والفرح الذى تكلفته (والعزائم والمأذون وشـيخ الخفر والحلاق وشوبش) .

وهكذا شاء (الجدع) أن يقلب العرس مأتما ، وبدلا من

أن يرتفع (صوات) العروس ارتفع (صوات) الأم، و بدلا من أن تطلق الطلقات النار ية فى الهــواء دق جرس الإسعاف .
لأنه بدلا من أن يأ كل (الكسكسى) و يشرب الأوتار أ كل الحزن قلبه وشرب حامض الكربوليك .

ولكن (معلهش)، هذه قسمة ونصيب فمن يدر ى ! لعل المكتوب على جبينه قد ظهر قبل أوانه، ولو أنه كان قد تريث قليلا وتزوّج فلربما كان بعد ذلك قد انتحر أيضا ! .



*

سندات الدين !

يا بخت اللى عنده سندات دين موحد ! لقد باضت له فى القفص بيضـة من ذهب وصدر بذلك أمس حكم المحكمة المختلطة . وهكذا سـوف تكع الحكومة أجوازا وأفـرادا . أو بالأحرى إننا نحن الذين سوف نكع ! .

ورأت المحكمة ألا تهز البورصة فلم تؤجل الحكم بل أعلنته من فورها، و بذلك هزت فرائصنا نحن الغلابة اللى لا قدامنا ولا ورانا...ولا يلبث دولة صدقى باشا أن يفرض علينا ضرائب جديدة،ضرائب للمشى فى الشوارع على الشمال،وضرائب للأكل بالشوكة والسكين،وضرائب على الكتابة فى الجرائد،وضرائب على الضحك والابتسام! ... فأبو السباع بارع فى ذلك ولكننا نسأل الله ألا تصيب هذه الضرائب سكان العزب والكفور، والحارات والأزقة ، والبيوت الواقفـة بقدرة قادر ، فكفاهم

« ضريبة » الفقر و « دمغة » البؤس ... وكفاهم « احتياطى » الشقاء و « معاش » الغلب .

وسيجلس المعلم جعلص، ونحن فى رمضان ، بعـد فطور المغرب وصلاة التراويح يشرب الجوزة، رجلا على رجل ، أوفردة بلغة فى الأرض وأخرى على الدكة، وبعد كام نفس يسأل عن الدين الهباب ده وهوه لسه ما انسدش ... وكانت السبع دول اللى ملكت البحر والبر ساكتة على حكومتنا ليه لحد دلوقت... دى خيانة! ... وليه تاخدها غدر كده فى السنة الهباب اللى القطن فيها يدفعوا عليه فلوس علشان الناس تشيله من الغيطان ... ولحد امتى تسكت الحكومـة على الحكم ؟ وفين جيشها وعساكرها والمدافع اللى فى القلعـة ... ولكن سيبك ... ده برضـه ولس الانجليز! بق يعنى لو الانجليز كانوا مش عايزين يفقرونا كان حد قدر يقـول تلت التلاته دهب مش ورق ... وهـوه يا ناس الدهب ده حد بيشوفه لما يحكموا به ؟ يا عم ... نهايتـه ... يحلها سيدك ... وياما بلاوى أكتر من دى وزاحها الكريم . شىء لله يا أم هاشم !

هذه هى فلسفة ابن البلد ، فلسفة الاستهتار والصبر على الشدائد والأمل فى الله... ونحن بحاجة اليوم الى هذه الفلسفة، لنروح عنا ما نشعر به من ضجر وضيق .

وأشهد أن للجهل فوائد ! !



*

حـــــد الله

فى حديث مراسل «الأهرام» بمدينة جنيف مع عبد الحميد شديد بك جاء ذكر المملكة العربية السعودية فقال : إن حالة الأمن هناك على غاية ما يرام حتى إنك لتجد السجن خاليـا ، والأحكام تصدر بمقتضى نصوص الشريعة الغراء ، والقضايا لا تكلف أصحابها فلسا ، وهى يفصل فيها وقتيا ، وكل تاجر يشتغل بماله الخاص ، والتفاليس تكاد تكون معدومة ، والحكومة غير مدينة إلا لأغنياء البلاد أنفسهم بمائة وخمسة وسبعين ألف جنيه ، ولا دخل فى ذلك للأجانب مطلقا ، وهذه الديون قد صرفت فى المنافع العامة كفتح الطرق وإدخال اللاسلكى وتسهيل المواصلات . وهذه البلاد نسبيا أقل دول الأرض دينا . وعدد السكان يبلغ ثمانية ملايين نسمة من الرجال فقط فى جميع المملكة ... الخ

وأنا أرجو القراء الأعزاء ، والحالة هذه ، أن يحزموا معى حقائبهم ويحضروا «بقجهم» لأننى ناوى أهج على الحجاز .

فنحن فى بلاد سجونها مكتظة بالنزلاء الكرام وغير الكرام ، والقضايا فيهـا تكلف أصحابهـا أضعاف أضعاف ما يكسبونه من ورائها ، وبعض الأوصياء ونظار الأوقاف عاوزين قطع رقبتهم ، وكل تاجر يشتغل بالدين والتقسيط والدفع يؤجل مرة والتفاليس تسـد عين الشمس . والحكومـة مديونة لشوشتها للأجانب اللى عاملين صندوق الدين كالسيف يحز فى رقبتنا ويذل أنوفنا . والأموال تلتهمها ماهيات الموظفين والعلاوات الاستثنائية للمحاسيب والأقارب والحبايب وشو بش ...

ولكن الشىء الذى لا أفهمه ويجعلنى لا أقفل حقائبى وارجع فأفك البقجة وأتردد فى السفر هو أن بلاد الحجاز فيها ٨ ملايين رجل فقط ! . فهل النساء الحجازيات لا وجود لهن أو أنهن سـواقط ؟ ! لا يا عم ! حد الله ما بيننا وبين بلاد لا يحسب فيها للنساء حساب !

*

حدّ الله أيضا

جاءنى اعتراضان على مقالة أمس وقولى فيها : لا يا عم ، حد الله بيننا وبين بلاد لا يحسب فيها للنساء حساب !

أوّل الاعتراضين من (حجازى) يقول فيه ان التقاليد لها أثرها فى إسقاط عدد النساء من إحصائيات المملكة السعودية العربيـة (لأنهن يمعن فى الحشمة ويتأنقن فى الحيـاء . بلاد لا يمكن أن تعرف تعـداد نسائها وليس هناك تبرج ولا سينما ولا خرافات وإنما امرأة مهتمة بواجبها تضحى بقواها فى سبيل سعادة الزوج عند قلبها الكبير) .

والاعتراض الثانى من سـيد كريم هو « ع . م » الذى يقرأ « الأهرام » من خمسين سـنة وهى بالاسكندرية لأن عمره ٦٨ سنة . وهذا الشيخ المبارك من زبائن ما قل ودل . وهو شرف لنـا بلا نزاع . وهو يعتقـد أنه لو منحت المرأة العربيـة ما منحته المرأة الغربيـة من الحريات لاكتظت

السجون وكثرت القضايا واغتيلت الحقوق من أوقاف وغيرها والتفاليس والاستدانة وبالجملة لساءت الأخلاق إطلاقا .

أما الرد على الحجازى الفاضل فهو أن دعواه تنقض نفسها . فعند ما تكون المرأة كما ذكر من الحشمة والكمال ومن الحرص على سعادة الزوج وعلى هناءة البيت فإنى أحصيها قبل الرجل وأعدها بمائة من الرجال . ومن أغرب الأمور أن دولة فى القرن العشرين تتحرج من إحصاء نسائها نزولا على حكم الحشمة المزعومة . ان المرأة الفاضلة يجب أن نرفعها فوق رءوسنا ونهتف بكل قوانا : لقد ظفرنا بالمرأة الفاضلة .

ولست أضرب هنا مثلا بباريس وبالمرأة الفرنسية ولكن بالمرأة العربية الصميمة وبالنبي العربى الكريم .

فقد جاء فى الحديث الصحيح ما معناه أن بعض الحبشان كانوا يلعبون فى يوم عيد لعبة حبشية فأشرف عليهم صلى الله عليه وسلم وخلفه عائشة رضى الله عنها فوضعت خدها على كتفه لتتفرج على لعبهم فقال صلى الله عليه وسلم : « دونكم بنى ارفده ليعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة » .

وهو مثل عظيم يصح أن تدركه الشعوب الإسلامية كلها والحجاز ضمنا . فإن وجود النساء قبل الرجال فى كشوف الإحصاء والتعداد لا يدل إلا على أننا نفهم الحياة ونقدر كرامة المرأة، كرامة أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا ، أى كرامة أنفسنا .

وليست المرأة هى السبب فى ملء السجون والفوضى والديون ، ولكنها سياسة الرجل الذى يغلب شهواته وأنانيته ويقتل أشرف وأسمى ما فى المرأة ليقضى لبانته وبعد ذلك يعدها مرة آثمة ويعدها أخرى غير جديرة حتى بأن تذكر فى كشف إحصاء !

*

يا قلبـــه !

«أحيط حضرتكم علما بأنى كنت طالبة باحدى المدارس الثانوية ومكثت الآن بالمنزل مصير كل بنت ، ولى أخ عمره ١٧ سنة طالب بالسنة الثالثة ثانوى ، وأخى هذا غاوى أن يكون (حانوتى) وذلك لأنه حينما يعود من المـــدرسة يذهب إلى دكان (الحانوتى) و يمكث عنده ، واذا كان عندهم (ميت) اشتغل معهم فى غسله وتكفينه وحمله حتى مقره الأخير . كل هذا بدون أن نعلم ، وكان إذا رآه أحد من الأصحاب أو الأقارب أخبرونا عن حالته مع الوصـف الدقيق مظهرين الاستغراب والتعجب ونحن أيضا مثلهم فنسأله عند حضوره فيكذب كل شىء ، و بعد ذلك ضبطه والدى بنفسه فكان اذا ما رآه من بعد ترك حمل النعش لشخص آخر وولى هاربا كأن لم يكن ، وحينما يحضر بالمنزل يلاقى جزاءه من والده من أنواع الضرب المؤلم والتوبيخ ، و يعترف بأن لا يعود الى مثل هذا العمل مرة ثانية أى أن هذه آخر مرة ؛ و بمجرد خروجه من المنزل يرجع لمـا كان عليه . وهدده والدى مرة بالطرد من المنزل ، وفعلا طرده يوما واحدا فما كان منه إلا أن ذهب الى منزل (الحانوتى) ومكث عنده وحينما أتى المساء ذهب الى منزل خالتى و بات عنـدها وطلب منها أن تتوسط له أمام والده بأنه حرم ولن يفعل ثانيا . وكان ما كان بأن حالته لم تتغير ووالدى يريد أن يسير معه حتى يتم كل علومه لأن الولد نبيه وذاكرته

قوية جدا . وها قد أتت المسامحة ويذهب الى الحانوتى كل يوم عقب خروج والدى من المنزل ولا يطيق المكث بالمنزل ساعة واحدة، ووالدى الآن مصمم على طرده من المنزل نهائيا ما دام لم يعرض عن هذه المهنة الحقيرة الدنيئة التى لم يقبل أحد على مصاهرتها ومناسبتها . وقد لجأت الى حضرتكم بالقاء هذه القصة على مسامعكم لأنى من المغرمين بقراءة مقالاتكم « ما قل ودل » : فلعلى أجد من حضرتكم ردا مقنعا على صفحات «الأهرام» الغراء كى يقتنع به والدى ويعمل به أخى وأكون لحضرتكم شاكرة مع العلم بأن والدى من أرباب الأعمال الحرة .

« آنسة »

حقيقة يا سيدتى أن هذا الأخ مصيبة . فمن أغرب الأذواق الشاذة الهيام بغسل الموتى وتكفينهم وحملهم الى مقرهم الأخير (يا قلبه !) فإذا كان الأخ يبحث من وراء ذلك عن المكسب فلا أظنه واصلا اليه لأنه حانوتى نظيف مترهف ابن مدارس . . وإذا كان بعض الحمق قد أدخلوا فى رأسه أن ذلك عمل حلال له أجره عند الله فان من الحلال أيضا الا تضيع نقود والده التى يصرفها عليه فى المدارس هباء بل أن يعطيه ويعطى نفسه حقها من الدرس والتثقيف مقابل ذلك حتى يكون رجلا نافعا لبلاده . وعمل الحانوتى هو عمل آلى يفعله رجل يحفظ من

القرآن آيات قليلة يرددها بعينها و يكررها دائما . وعملية الغسل يقوم بها الصبيان ببساطة تامة . وحمل الميت يقوم به كل رجل تحمل كتفه ثقلا معينا لمدة معينة ، فلابد من أن يكون قد أصاب أخاك مس فى عقله . ومن رأيى أن هذا الأخ هو حجر عثرة فى سبيل مستقبلك لأن كل خطيب سيقصدك و يعرف الخبر يقول : يانهار اسود ! . . أخوها حانوتى ! . . . بيننا و بينها ربنا ! . .

و إذا كان هذا الأخ المجذوب يريد أجرا عند الله (لأن الدنيا مش مالية عينه) فأخبروه أن الأشرف من ذلك والأنفع التطوع فى جمعية الاسعاف العمومية و إغاثة الجرحى والمنكوبين والملهوفين . فإن الأحياء أحوج الى أيد متطوعة من الأموات .

ويجب أن تتحروا مصدر هذه الغية . ومن هو هذا الحانوتى الذى يغويه ؟ وما سيره وسلوكه ؟ وكيف يسكت أبوك على صلة ابنه به وكيف لا يتحرى عنه و يهدده إذا ظل على إغراء ابنه بالانصراف عن درسه وبيته وهو قاصر . فربما كان هذا الحانوتى مفسدا للأخلاق . وفى اعتقادى أن والدك متهاون فى هذا الشأن متسامح فلو كان ابنى لوضعت له شطة وفلفلا ، فى هذا الحر !

*

مداعبـــــة

فكر بعض الشبان فى السفر الى السودان وفاتحونى فى قيام حمـلة كبيرة من الراغبين فى الزواج للانضمام تحت لواء المصلح الكبير السيد المهدى لأنه يزوج الناس هناك بالألوف ويقضى بمهر متواضع آسمى هو ثلاثة جنيهات .

وهـذا هو الذى يسمى الزواج « ببلاش » ... بالنسـبة للغرورات والمفتونات فى هذا البلد . فإن الفتاة هنا تريد الرجال الجمال والمـال، والدخول فى هيئـة العمال ! ... تريده مقطوعا من شجرة : فلا أب، ولا أم، ولا أخت، ولا أخ ...

تقول عن أمه « الأُرمة » وعن أبيه « الساطور » وعن أخته «الحية» وعن أخيه «التعبان» ... وتقول عن كل هذا : « قطيعة » ! ...

فإذا كان الرجل جميلا فإنها تظل غيورا كالذئبة، وإذا كان قبيحا فإنها تسخط على الدنيا .

وإذا كان غنيا اجتهدت أن تفقره بالصرف فى الكلام الفارغ، وإذا كان فقيرا نكدت عيشه .

وإذا كان كبير السن اعتبرته عجوزا، وإذا كان صغيرا عدته طائشا .

وإذا كان أسمر اللون قالت : ما أجمل البيض! وإذا كان أبيضه قالت : أسمر حليوه ...

وإذا كان سمينا غنت طول النهار : «يانحيف القوام!...» وإذا كان نحيفا قالت : عصاعيص النقارية !

وإذا كان موظفا قالت : إيه الماهيه الدون دى اللى كلها معاش ودمغة واحتياطى وإضافى ؟! وإذا كان تاجرا قالت : والله شغل الحكومة قيمه وسيمه !

وإذا كان يحب الخروج تقول : ياميلة بختى دايما بره هو انت ملكش بيت ؟ !

وإذا كان يحب البيت تقول: دايما فى بوزى، أيوه اخرج اتهوا شوية ! ...

وإذا كان من هواة الموسيقى يعزف على آلة ماتقول :

قلبت دماغنا بلا دوشــه ! ... و إذا كان لا يحبها تقول : اللى ما تعرف عود ولا قانون تفرفش به قلوبنا !

و إذا كان يحب القــراءة تقــول : هو أنت ما تجــوزنى و إلا متجوز الكتب ؟ ! و إذا كان لايحبها تقول : اللى ماتيجى وفى إيدك رواية ؟ !

و إذا كان يحب السينما تقول : والنبى انت قصــدك تبصبص للبنات ! . و إذا كان لا يحبها تقول : وده مزاج إيه المقريف ده ؟ !

و إذا كان رزينــا تقول : بق دائمــا مبوز اللى ســنّك ما يضحك يا شيخ ! . و إذا كان مرحا تقول : بق ما تقعدش عاقل زى الناس ؟ !

وإذا تقــدّم للزواج منها قبل هذا كله تأمر وتنهر وتطلب مهر بنت خمــارويه الذى كان فيه ألف هاون من الذهب .

أردت اليوم مداعبة المرأة، لأخزى العين !...



*

فهرس

فهـــرس

كَمُلَ طبع ثلاثة آلاف وثلثمائة نسخة من كتاب
« ما قل ودل » بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الخميس ٥ يوليه سنة ١٩٣٤
(٢٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٣)

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤/٨/٣٣٠٠)

